فرانتس كافكا

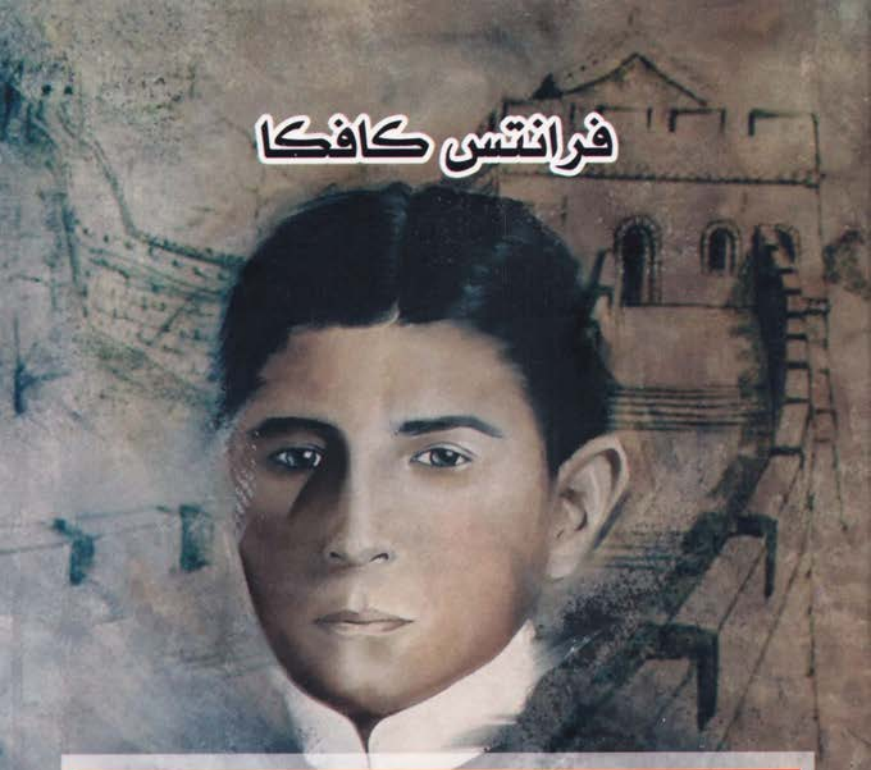

لدى بناء سور الصين

وكتابات أخرى من التركة الأدبية

الكراسات الثماني والشذرات

عن النسخة الأصلية المكتوبة بخط اليد

ترجمة: أحمد فاروق

منشورات الجمل

مكتبة
t.me/soramnqraa

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

انقر هنا .. اتبع الرابط

telegram @soramnqraa

فرانتس كافكا: لدى بناء سور الصين

وكتابات أخرى من التركة الأدبية

فرانتس كافكا

لدى بناء سور الصين

وكتابات أخرى من التركة الأدبية

الكراسات الثماني والشذرات

عن النسخة الأصلية المكتوبة بخط اليد

ترجمة: أحمد فاروق

مكتبة
t.me/soramnqraa

منشورات الجمل

فرانتس كافكا: لدى بناء سور الصين وكتابات أخرى من التركة الأدبية
الطبعة الأولى
ترجمة: أحمد فاروق
كافة حقوق النشر والاقتباس باللغة العربية
محفوظة لمنشورات الجمل، الشارقة – بغداد ٢٠٢٣
ص.ب: ٧٣١١١ – الشارقة – الإمارات العربية المتحدة

Franz Kafka
Beim Bau der chinesischen Mauer
und andere Schriften aus dem Nachlaß
In der Fassung der Handschriften

Veröffentlicht im Fischer Taschenbuchverlag, Frankfurt am Main, Juni 2008.

© *Al-Kamel Verlag* 2023
Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

لإنجاز هذه الترجمة حصل المترجم على منحة من صندوق دعم المترجمين الألماني Deutscher Übersetzerfonds وبرنامج Neustart Kultur الممول من وزيرة الدولة لشؤون الثقافة والإعلام.

Deutscher Übersetzerfonds

NEU START KULTUR

مقدمة المترجم

مكتبة
t.me/soramnqraa

نشأ اهتمامي بترجمة «الكراسات الثماني» أثناء ترجمتي لكتاب ف. ج. زيبالد «دوار. أحاسيس» الذي يتخذ من قصة «الصياد غراكوس» لكافكا موتيفة أساسية تمرق بتفصيلات متنوعة عبر فصول الكتاب الأربعة، مع تخصيص فصل خاص عن كافكا وأزمته الحياتية وتسليط الضوء على هذه القصة ذات المغزى المهم في أعمال كافكا. ومن هنا بدأ بحثي عن «الكراسات الثماني» التي دوّن فيها كافكا هذه القصة بصياغات عديدة. وقد شرعتُ بالفعل في ترجمة «الكراسات» وفقًا لنسخة مجانية متاحة على منصة مكتبة «غوتنبرغ» الإلكترونية، ولكن سرعان ما اكتشفت أنني أعمل على الطبعة التي نشرها ماكس برود عام ١٩٣١ بترتيب مختلف عن المخطوطات الأصلية وحجمها لا يتعدى الثمانين صفحة. أراد ماكس برود أن يقدم للقارئ نصوصًا متماسكة وذات مغزى، وبالتالي تخلص من الكثير من النصوص غير المكتملة، وغيّر ترتيب الكراسات أو نقل بعض النصوص مثل «لدى بناء سور الصين» إلى مجلدات أخرى، أو قام حتى بدمج محاولات مختلفة لكتابة أحد النصوص في نص واحد ومثال على ذلك قصة «الصياد غراكوس» وأيضًا «تقرير إلى أكاديمية». أما الشذرات التي كتبها كافكا في الكراستين الأخيرتين، ثم أعاد تدوينها مرقمة على

قصاصات خارجية، فقد نشرها برود أيضًا عام ١٩٣١ في طبعة خاصة بعنوان «تأملات حول الخطيئة والأمل والمعاناة والطريق الحقيقي»، محاولًا بهذا العنوان إضفاء صبغة دينية إيجابية عليها. وهو ما يناقض تمامًا أفكار كافكا الذي قال لبرود في حوار بينهما: «نحن أفكار عدمية وانتحارية تخطر ببال الله... عالمنا ليس سوى اعتلال في المزاج الإلهي، ليس سوى يوم رديء من أيامه... نعم هناك ما يكفي من الأمل، بل ما لانهاية له من الأمل، لكنه ليس لنا.» (من مقال «فرانز كافكا، في الذكرى العاشرة لرحيله» لفالتر بنيامين، ترجمة هيثم الورداني).

لكن محرري الطبعة النقدية لأعمال كافكا الكاملة نشروا في عام ١٩٩٢ «الكراسات الثماني والشذرات» كاملة وفق ترتيبها الأصلي وبحسب المخطوطات الأصلية الموجودة في مكتبة جامعة أوكسفورد، ووجدتُ من الأهمية بمكان ترجمة النصوص حسب ترتيبها الأصلي، وإتاحة الفرصة للاطلاع على ورشة كتابة كافكا وكيفية تطويره لنصوصه، وأيضًا ربط ذلك بالظرف السياسي والاجتماعي والنفسي المحيط به في تلك الفترة الحاسمة في تاريخ أوروبا والعالم. إضافة إلى ذلك يتزامن هذا العام مع حلول الذكرى المئة والأربعين على ميلاد كافكا، وفي العام القادم ستحل الذكرى المئوية لوفاته، وأرى أنه من الجيد بهذه المناسبة تقديم هذه النصوص الغُفل لأحد أكثر الكتاب تأثيرًا في الأدب العالمي الحديث في حالتها الأولية. وقد اعتمدت في هذه الترجمة وبسبب حقوق النشر على طبعة شعبية مطابقة للطبعة النقدية.

* * *

يخلط كثيرون بين «يوميات» كافكا التي دأب على تدوينها على مدار حياته وبين «الكراسات الثماني» التي تمثل مرحلة مهمة في نشاطه الإبداعي والتي رافقت أيضًا منعطفًا مهمًا في حياته الشخصية، وربما يعود هذا الخلط إلى الطبيعة الشذرية لهذه الكراسات وأنها تضم بعض التدوينات المؤرخة التي تشبه اليوميات، لكنها تضم أيضًا محاولة لكتابة مسرحية ومسودات لعدد من القصص التي نشرها في حياته ضمن مجموعة «طبيب الأرياف» (أنهاها عام ١٩١٧ ونُشرت عام ١٩٢٠) وبدايات عديدة لقصص محتملة بقدر عال من التجريب والتنوع في أساليب القص، بالإضافة إلى الشذرات الفلسفية ذات الطابع الوجودي. معظم النصوص غير معنونة، أحيانًا نجد كلمة واحدة أو جملة غير مكتملة، أو كلمات متجاورة، وتفصل خطوط بين النصوص المختلفة. وربما يعود هذا الخلط أيضًا إلى أن كافكا كان يدون يومياته أيضًا في كراسات مدرسية مشابهة. وقد ضمت اليوميات أحيانًا نصوصًا إبداعية، لكن كتابة اليوميات تراجعت بشكل واضح خلال فترة كتابة هذه الكراسات ما بين نهاية عام ١٩١٦ وربيع عام ١٩١٨ (بل وتوقفت تمامًا من نوفمبر/تشرين الثاني ١٩١٧ وحتى يونيو/حزيران ١٩١٩)[١]. وتشير مصادر عديدة إلى أن ثمة كراستين أخريين مفقودتين. وقد جاءت كتابة الكراسات بعد فترة من النضوب الإبداعي لدى كافكا خلال عامي ١٩١٥ و١٩١٦. بعد فسخ خطوبته الأولى مع فيليتسه باور في برلين في صيف عام ١٩١٤، شرع كافكا في كتابة رواية «المحاكمة» التي

---

(١) Gulia Frare. Franz Kafkas acht blaue Oktavhefte. Eine synchronische und diachronische Analyse der Bilder u.d Motive. Università Ca'Foscare. Venezia. 2013-14. pp. 30ff.

بناها، بحسب قراءة إلياس كانيتي لـ«رسائل كافكا إلى ميلينا» في كتابه «محاكمة كافكا»، ما بين لحظتي الخطوبة (الاعتقال) وفسخ الخطوبة (الإعدام)، وكتب كذلك قصة «في مستعمرة العقاب». لكنه توقف بعدها عن الكتابة، وازدادت شكواه من التوعكات والصداع والأرق. وفي الأثناء كانت الحرب العالمية الأولى قد اندلعت، ولكونه ساعتها ضمن الفئة العمرية المطلوبة للتجنيد، فقد ذهب طوعًا للاختبارات وكان يتمنى أن يُجند، لأنه رأى في ذلك خلاصًا من آلامه وتوعكاته ومن أزمته العاطفية. ورغم أنه كان لائقًا، فقد قدمت شركة التأمين التي يعمل بها طلبًا لإعفائه لكونه ثالث أكبر موظف في الشركة ولا غنى عن خدماته. رغم ذلك كرر المحاولة لاحقًا وأنقذته الشركة مرة أخرى. وكانت شقيقته الصغرى أوتلا، وهي أقرب شيقيقاته إليه، قد استأجرت بمبلغ زهيد غرفة صغيرة في مكان يعرف بحارة «الخيميائيين» في قلعة براغ، لتتمكن من قضاء بعض وقت الفراغ هناك بعد عملها في محل الخردوات التي يمتلكه أبوها، وأيضًا لتلتقي حبيبها، حينما يعود من الجبهة. وعندما رأى كافكا الغرفة أعجبته للغاية وطلب من أخته استخدامها وأصبح يتردد عليها يوميًا بعد العمل وينهمك في الكتابة. وقد استمر في المواظبة على ذلك حتى ١١ أغسطس/آب ١٩١٧، عندما تقيأ دمًا في هذه الغرفة واكتشف من بعدها إصابته بالسل. وهذه اللحظة ستكون فارقة أيضًا في الكتابة، فبعد التدفق السردي الذي ميز الفترة السابقة في قبو حارة «الخيميائيين»، حيث أنهى كتابة الكراسات الأربع الأولى، ستبدأ لدى كافكا مرحلة جديدة من الكتابة، تركز على تساؤلات وجودية بشأن الحياة والموت والمصير الإنساني:

«إذا مت في الفترة المقبلة أو أصبحت غير قادر على الحياة- هذا الاحتمال كبير نظرًا لأنني كححت في الليلتين الماضيتين كحة دامية عنيفة، فيجوز لي القول إذًا، إنني مزقت نفسي. وإذا كان أبي قد اعتاد في السابق أن يقول في تهديد عنيف وفارغ: سأمزقك كالسمكة- وفي الحقيقة لم يمسني بإصبع واحد- فإن تهديده يتحقق الآن من دونه. العالم- وف (فيليتسه) هي ممثلته- وأناي نمزق جسدي في نزاع لا حل له.»

نظرًا لأنه لم يرغب في الاستجابة لأساليب الطب التقليدي في العلاج فقد نصحه الأطباء أن يستجم على الأقل في مكان نقي الهواء، وكانت شقيقته أوتلا قد انتقلت في أثناء ذلك إلى قرية تسوراو Zürau (سيريم حاليًا) الواقعة بالقرب من براغ لتدير مزرعة يمتلكها زوج أختها وقد دعت كافكا للانتقال إلى هناك بعد حصوله على عطلة مرضية، وهناك سيكون لديه وقت أكثر للقراءة والكتابة وممارسة بعض العمل اليدوي، سيقرأ مؤلفات كيركغارد مثلا، الذي يشترك معه في العلاقة المتأزمة مع الحبيبة. بعد إصابته بالسل سيضحي كافكا، على غرار كيركغارد، بعلاقته بفيليتسه وسيفسخ الخطوبة للمرة الثانية ليتفرغ للكتابة، وسنجد أصداء لكتاب «خوف ورعدة» في الشذرات. كما سنجد طرحًا وتأملات جديدة حول الجنة والخير والشر والحية بوصفها أول حيوان منزلي للإنسان.

يمكن النظر إلى «الكراسات الثماني» على أنها نموذج مصغر لمجمل أعمال كافكا التي ظلت، بما في ذلك الروايات الثلاث، أعمالًا غير مكتملة. ويمكننا أن نلجأ أيضًا إلى قصة «لدى بناء سور

الصين» ونقتبس تعبير «نظام البناء الجزئي» كما فعلت الباحثة أنيته شوتيرله Anette Schütterle[1] في وصف كتابة كافكا للكراسات الثماني، تمامًا مثل البنائين الموزعين في شتى أنحاء الإمبراطورية، ينهون أجزاءً من السور، ثم ينتقلون لمكان بعيد آخر، يترك كافكا الكثير من الفجوات بين نصوص الكراسات، يبدأ محاولات كثيرة ولا ينهيها أو تكون النهاية من دون مخرج، مثلما هي الحال مع القرد «بيتر الأحمر» أو مع «الصياد غراكوس»، وهي الورطة التي يشترك فيها جميع أبطال كافكا.

غالبًا ما يرتبط اسم فرانتس كافكا في الأذهان بنوفيلا «المسخ» وتحول غريغور سامسا إلى حشرة، وغالبًا ما نربط عالم كافكا بخياله الغرائبي المرتبط بالقهر العائلي والاضطراب النفسي، ونتندر على الواقع السياسي بأنه أصبح كافكاويًا. لكن بالنظر إلى الواقع الحياتي الذي عاشه كافكا وخصوصًا خلال فترة الحرب العالمية الأولى، سندرك أن خيالات كافكا ليست بعيدة كثيرًا عما يحدث من حوله، فبعد مرور عامين على الحرب، لاحت هزيمة الإمبراطورية النمساوية في الأفق وتوفى الإمبراطور فرانتس يوزف الذي حكم البلاد ٦٨ عامًا، وفشلت الإمبراطورية العظمى في السيطرة على المجاعة التي سادت أنحاءها وطالت أيضًا الأسر الميسورة ماديًا ومنها عائلة كافكا، كما كان هناك نقص كبير في الفحم اللازم للتدفئة. وكافكا بدوره كان موظفًا في شركة تأمين تقوم برعاية مصابي الحرب وكانت

(١) Franz Kafkas Oktavhefte: ein Schreibprozess als "System des Teilbaues". Freiburg 2002.

بصدد تأسيس مصحة نفسية لإعادة تأهيلهم ومعالجتهم من صدمات الحرب. كما انتشرت الأوبئة ومنها السل الذي أُصيب به هو نفسه وبعد الحرب جاءت الإنفلونزا الإسبانية القاتلة التي أُصيب بها هو أيضًا. ينضاف إلى ذلك واقعه الشخصي، رغبته في الاستقلال عن بيت العائلة وخوفه من الارتباط ورغبته في الحياة للكتابة وإدراكه لدنو الموت بعد إصابته بالسل. في هذا الفضاء الواسع بين التحولات السياسية الكبرى والأزمة الذاتية وُلدت نصوص «الكراسات الثماني». لذا لن نجد أن نصوص كافكا رغم عوالمها التي تبدو للوهلة الأولى مغرقة في الخيال، بعيدة عن الواقع. مثلًا، في النص الأطول في هذه المجموعة «لدى بناء سور الصين»، ورغم الإحالة البعيدة إلى زمن بناء السور، فإن أصداء وفاة الإمبراطور فرانتس يوزف التي هزت جميع الرعايا في الإمبراطورية النمساوية المتداعية، حاضرة بقوة، فالشعب لا يعرف أي إمبراطور يحكم، والإمبراطور الميت يبعث برسالة لا يمكن أن تصل بأي حال إلى شخص نكرة. وأيضًا في نص «ورقة قديمة» ينظر الإمبراطور من مقصورته إلى احتلال البدو الغزاة «برأس محني». أيضًا سنجد أن قصة «راكب الدلو» مستوحاة أيضًا من الواقع، من ندرة الفحم والفقر والظروف القاسية التي عاشها الناس. وهناك أيضًا النص الساخر من أجواء الحرب «إلى كل رفاقي من سكان البيت». هذا لا يعني أن كافكا كاتب واقعي، ولكنه كما يصفه دولوز وجتاري في كتابهما «كافكا. من أجل أدب أقلي»:

«مبدع يجر وراءه كل سياسة، كل اقتصاد، كل بيروقراطية وسلطة قضائية، يمتصها مثل مصاص الدماء كي ينتج منها أصواتًا لم يعهدها أحد من قبل، أصواتًا تنتمي للمستقبل

القريب- الفاشية، الستالينية، الأمركة، *القوى الشيطانية* التي تطرق على الأبواب.» (ترجمة مي التلمساني)

بحكم انتمائه إلى الأقلية الألمانية اليهودية في براغ، يرى دولوز وجتاري في الكتاب ذاته أن كافكا يكتب بلغة الهامش، بألمانية براغ الفقيرة الجافة، وقد استطاع بحسبهما الذهاب بهذه اللغة إلى «أقصى حدود الخلخلة... وأكثر من الزهد. وبما أن المفردات قد جفت، فقد جعلها تموج وتشع بالكثافة. واجه كل استخدام رمزي أو بلاغي أو حتى دلالي للغة باستخدام مكثف محض.» (ترجمة مي التلمساني) وبالتالي فإنه لا مجال للاستعارة لدى كافكا، وإنما ثمة تحولات تحدث بسلاسة، انصهار للواقع مع الخيال، الحيوانات تتحدث بتلقائية، بينما يفتقد البدو الغزاة في «ورقة قديمة» لأي لغة، وتشبه صيحاتهم نعيق طيور الزاغ. يتحول حصان الاسكندر الأكبر بوسيفالوس في عصرنا إلى محامٍ ينشغل بدراسة «كتبنا القديمة»، ويتخلى القرد بيتر الأحمر عن أيّ محاولة للعودة إلى حياة القرود، كما يرفض طلب الأكاديمية تذكر هذه الحياة.

ومثال أيضًا على هذا الاستخدام المكثف للغة قصة «بنات آوى وعرب» المثيرة للجدل والملغزة، التي ربما فسرها البعض في العالم العربي باعتبارها دعمًا للصهيونية. بينما تُفسر في النقد الأدبي الألماني على أنها أمثولة لاضطهاد اليهود في أوروبا، مثلما يُنظر إلى قصة «تقرير إلى أكاديمية» على أنها أمثولة عن محاولة اليهود الاندماج في المجتمع الأوروبي. من جهته رفض كافكا مقترح مارتن بوبر Martin Buber[1] الذي نشر القصتين المذكورتين في مجلة

---

(١) مارتن بوبر (١٨٧٨-١٩٦٥) فيلسوف أديان يهودي نمساوي، كان عضوًا

«اليهودي» تصنيفهما كأمثولتين وأصر على اعتبارهما من قصص الحيوانات. فما كان يهم كافكا، بحسب مؤرخ سيرته راينر شتاخ، هو المغزى الجمالي لأعماله. أما بوبر نفسه فكان قلقًا بعض الشيء من نشر «بنات آوى وعرب» التي تصور «اليهود» على أنهم حيوانات تسيطر عليها غرائزها.

جدير بالذكر هنا أن كافكا كان مهتمًا بالحركة الصهيونية ونشاطها ومتابعًا عن كثب للهجرات اليهودية إلى فلسطين وللمشاكل التي نشأت مع تلك الهجرات، لكن موقفه من الصهيونية كان واضحًا في تلك الفترة على الأقل وهو ما سيرد في أحد نصوص الكراسات:

«لا تقودني يد المسيحية المنكسة الثقيلة جدًا عبر هذه الحياة كما يفعل كيركغارد ولم أمسك بآخر ذيل تطاير من طليس الصلاة اليهودي كما يفعل الصهاينة. إنني بداية ونهاية.»

وهنا تجدر الإحالة إلى دراسة عاطف بطرس العطار المستفيضة «كافكا عربيًا، أيقونة تحترق» التي تتناول هذه القضية بالتفصيل.

في الكراستين الخامسة والسادسة ستتراجع النصوص المكتملة لصالح حوارات قصيرة ومحاولات سردية بصيغ مختلفة، وتدوينات مؤرخة وملاحظات هامشية، بمعنى أصح سيخفت التدفق السردي تدريجيًا. ويُستثنى من ذلك نصان هما «عن المسرح اليهودي» و«كل إنسان مميز» وهما يعكسان جانبًا خاصًا من حياة كافكا، حيث يظهر بوضوح موقفه الطليعي العلماني، فقد كان يشجع صديقه المسرحي «إسحق لوفي» المنحدر من أسرة حاسيدية متزمتة على خوض مجال المسرح ونظم له أمسية للإلقاء في براغ، أما نص «كل إنسان متميز»،

نشطًا في الحركة الصهيونية، وهاجر إلى إسرائيل عام ١٩٣٨. أسس مجلة «اليهودي Der Jude» عام ١٩١٦. (المترجم)

فيعكس موقف كافكا من أسلوب التربية القمعي، وقد استطاع إقناع أخته الكبرى بإدخال أولادها مدرسة تتبع نظام التعليم الحر.

سيشهد تكثيف اللغة ذروة جديدة، خلال فترة إقامته في مزرعة أخته في تسوراو، حيث سيتراجع التدفق السردي لصالح تأملات فكرية لا تخلو من صور. يدون كافكا هذه التأملات Meditationen في الكراستين الأخيرتين، وسينتقي بعضها لكتابته على قصاصات منفصلة مع بعض التعديلات أحيانًا. عددها في المجمل ١٠٥ شذرات، لكن الترقيم يصل إلى ١٠٩، وليس من الواضح إن كان ذلك بسبب خطأ في الترقيم أم بسبب فقدان بعضها. وفي ربيع عام ١٩٢٠ سيضيف كافكا بعض الشذرات على القصاصات نفسها. كان كافكا يظن أن نهايته قد اقتربت ولذلك أراد كما قال لماكس برود في براغ في ديسمبر/كانون الأول عام ١٩١٧ «إيضاح الأمور بشأن الأشياء الأخيرة». يرى راينر شتاخ أن شذرات كافكا لا تشبه بأي حال كتابات مؤلفي الشذرات المعروفين مثل ليشتنبرغ أو نوفاليس أو كارل كراوس أو نيتشه أو حتى أدورنو، فهي لا تسعى لإحداث هذا الأثر المفاجئ الذي تحدثه الشذرات عادة في نفس القارئ، وبحسبه فإن كافكا يضحي بالأثر الجمالي لصالح حد أقصى من التكثيف اللغوي والمجازي، إلى حافة القابلية للفهم وأحيانًا إلى ما وراء ذلك. وهي مجموعة من النصوص المتنوعة من حيث الشكل والنبرة والطول.[١] تتأرجح الشذرات بين عالم المثل الأفلاطوني وعالم

(١) Franz Kafka. "Du bist die Aufgabe" Aphorismen. Herausgegeben, kommentiert und mit einem Nachwort von Rainer Stach. pp. 237-238.

الظواهر أو العالم الحسي من جهة:

«يوجد فقط عالم فكري ولا شيء سواه، ما نسميه بالعالم الحسي هو الشر في العالم الفكري. وما نسميه شرًا هو مجرد ضرورة للحظة تطورنا الأبدي.»

واللحظة التوراتية الحاسمة للطرد من الجنة من جهة أخرى:

«لسنا آثمين لأننا أكلنا فحسب من شجرة المعرفة، وإنما لأننا لم نأكل بعد من شجرة الحياة.»

وبينهما تنويعات على ألاعيب الشر ومحاولته خداع الخير، وتأملات حول الإرادة الحرة ومفهوم الزمن والأبدية وحتى الجاذبية الأرضية:

«الملائكة لا يطيرون، لم يزيلوا أي جاذبية، فقط نحن، مراقبي العالم الأرضي، لا يمكننا تصور الأمر على نحو أفضل»

يعول كافكا كثيرًا على الوجود الإنساني غير القابل للتدمير، على الأمل في أننا لا زلنا نعيش في الجنة:

«الطرد من الجنة في جزئه الأساسي هو حدث أبدي خارج الزمن. صحيح أنه طرد نهائي من الجنة، ولا مناص من الحياة في الدنيا، لكن أبدية الحدث أو من منظور زمني، تكراره الأبدي يتيح لنا رغم ذلك ألا نتمكن من البقاء على الدوام في الجنة فحسب، وإنما أن نكون هناك باستمرار، بغض النظر عن إن كنا نعرف ذلك هنا أم لا.»

في خاتمة كتابه الشارح للشذرات يجد راينر شتاخ تطبيقًا عمليًا طريفًا لهذه الشذرة في رواية «القصر»

«يوجد في الشذرات عالم حسي وعالم فكري. العالم الفكري بعيد المنال بالنسبة لنا، ومع ذلك فإن كل واحد يعيش

فيه «حقا». في رواية القصر هناك القرية وهناك القصر بعيد المنال، ومع ذلك «هذه القرية ملك للقصر، ومن يعيش هنا أو يبيت، يعيش أو يبيت نوعًا ما في القصر.»»[1]

بالطبع يصعب عرض هذه التأملات خلال هذا التقديم السريع، كما أنني لا أرغب في الحجر على القارئات/القراء في تكوين تصور مستقل عن هذه النصوص البكر، كل ما أردته هو تقديم مدخل موجز لها.

في الختام أتمنى أن أكون قد وُفقت في مهمة نقل هذه النصوص ذات الطبيعة الخاصة إلى اللغة العربية، وأود أن أتوجه بشكر خاص إلى مؤرخ سيرة كافكا راينر شتاخ الذي لم يبخل عليّ بالمشورة، بالإضافة إلى أنني قد استفدت كثيرًا من كتاباته في فهم النص الأصلي وخصوصًا الجزء الثالث من سيرة كافكا بعنوان «سنوات العرفان Kafka, Jahre der Erkenntnis». وأشكر كذلك الأصدقاء مي التلمساني وهيثم الورداني وكاميران حوج على تزويدي بترجماتهم التي لم تنشر بعد لنصوص كل من دولوز وجتاري «كافكا. من أجل أدب أقلي»، وفالتر بنيامين «فرانز، كافكا. في الذكرى العاشرة لرحيله»، وإلياس كانيتي «محاكمة كافكا» على التوالي. وهي نصوص استفدت منها كثيرًا في قراءة أعمال كافكا وفي التقديم لهذا الكتاب. وافر الشكر أيضًا لصندوق دعم المترجمين الألماني DÜF وبرنامج Neustart Kultur على توفير الدعم لإنجاز هذه الترجمة.

أحمد فاروق

برلين ٢٤/ ٤/ ٢٠٢٣

---

(١) المصدر السابق. ص ٢٥١.

مكتبة
t.me/soramnqraa

حلم راسخ

سارتْ بطول الطريق الزراعي، لم أرها، جلستُ على طرف الحقل ونظرتُ إلى مياه الجدول الصغير. مرتْ عبر القرى، وقف الأطفال على الأبواب ونظروا إليها وتتبعوها بنظراتهم.

حلم ممزق

قضى مزاج أمير من زمن قديم بضرورة وضع حارس للضريح عند النعوش مباشرة. عارض رجال عاقلون ذلك، وفي نهاية المطاف وافقوا هذا الأمير الذي عادة ما يكون ضيق الصدر كثيرًا على هذا الأمر التافه. تقدم للوظيفة واحد من مصابي حروب القرن الماضي، أرمل وأب لثلاثة أبناء قضوا في الحرب الأخيرة. وقد قُبل ورافقه إلى الضريح موظف قديم في البلاط الملكي. وتبعتهما امرأة غسالة محمَّلةً بأشياء عديدة، كانت مخصصة للحارس. حتى الجادة التي أدت بعد ذلك مباشرة إلى الضريح، واكب الحارس رغم عكازه خطى موظف البلاط. ثم تضعضع بعد ذلك قليلًا وكحكح وبدأ يحك في ساقه اليسرى. «والآن يا فريدريش» قال موظف البلاط الذي كان قد تقدم مع الغسالة لمسافة للأمام وجال ببصره. «لدي مزق في

ساقي» قال المعاق، وقلب وجهه، «صبرًا للحظة، عادة ما سيتوقف الألم في الحال.»

مسرح ضيق للغاية مفتوح السقف

غرفة مكتب صغيرة، نافذة عالية، وأمامها قمة شجرة عارية من الأوراق.

الأمير (جالسًا أمام المكتب على الكرسي ذي المسند وناظرًا عبر النافذة)

المعاون (لحية بيضاء، يقف عند الحائط بجوار الباب الأوسط وقد حشر نفسه بتصابٍ في جاكيت ضيق)

فاصل قصير من الصمت

الأمير (يولي ظهره للنافذة ناظرًا باتجاه المعاون) والآن؟

المعاون لا يمكنني أن أنصح بذلك، سموك.

الأمير لماذا؟

المعاون لا أستطيع في هذه اللحظة أن أصيغ قلقي بدقة، وهو لحد كبير ليس كل ما أريد قوله، عندما استشهد فقط بالمقولة الإنسانية الشائعة: فلنترك الموتى يرقدون في هدوء.

الأمير وهذه هي نيتي أيضًا

المعاون إذًا لم أفهم المسألة على نحو صحيح

الأمير هكذا يبدو

استراحة

الأمير الشيء الوحيد الذي جعلك تخطئ فهم الموضوع هو أنني لم أصدر الأمر مباشرة وإنما أعلنته لك مسبقًا.

المعاون بالتأكيد يضع الإعلان على عاتقي مسؤولية كبرى، يتحتم عليّ أن أبذل جهدي لأكون على قدرها.

الأمير (بضيق) ليس ثمة مسؤولية.

استراحة

الأمير مرة أخرى إذًا، حتى الآن كان الضريح في حديقة فريدريش يُحرس من خفير لديه بيت صغير عند مدخل الحديقة، يعيش فيه مع عائلته. هل ثمة ما يعيب في الأمر برمته؟

الحاجب بالتأكيد لا. الضريح عمره أكثر من أربعمئة عام، وكان يُحرس طوال هذه المدة بهذه الطريقة.

الأمير قد يكون في ذلك سوء تصرف قديم. لكنه ليس سوء تصرف؟

الحاجب إنه مرفق ضروري.

الأمير إذًا هو مرفق ضروري. لكنني الآن وجدت أن الحارس في الحديقة غير كافٍ، لا بد أن يكون بالأحرى أيضًا حارس في الأسفل داخل الضريح. ربما لن تكون مهمة مريحة، خصوصًا وأنه لا بد أيضًا من إغلاق الضريح من الخارج. ولكن بحسب الخبرة يوجد لكل منصب أناس راغبون فيه ومؤهلون له.

الراحة بقربك هي أعظم ما يمكن لخادم أن يصل إليه.

من أجل زيارة الأمير.

حكاية الجد

كنتُ في أيام الأمير المرحوم ليو الخامس حارسًا للضريح في حديقة فريدريش. بالطبع لم أصبح حارسًا على الفور. لا زلت أتذكر بدقة عملي، كيف كان ينبغي عليّ كخادم في مزرعة ألبان القصر أن أحمل الحليب لأول مرة في المساء لحرس الضريح. «ياه»، قلت لنفسي، «إلى حرس الضريح.» هل يعرف أحد بالضبط ما هو الضريح؟ كنت حارس ضريح، ويفترض أن أعرف ذلك، لكنني في الحقيقة لا أعرف شيئًا. وأنتم يا من تسمعون حكايتي، ستدركون في النهاية أنكم، حتى لو ظننتم أنكم تعرفون ما هو الضريح، أنه سيتحتم عليكم الاعتراف بأنكم لا تعرفون شيئًا. آنذاك لم يهمني الأمر كثيرًا، بل وكنت فقط فخورًا عمومًا بأنني سأُرسل إلى حرس الضريح. وهكذا انطلقت في الحال مع دلو حليبي عبر ضباب طرق المروج المؤدية إلى حديقة فريدريش. أمام البوابة الذهبية المسيجة نفضت سترتي من الغبار ونظفت حذائي ذا الرقبة، ومسحت البلل عن الدلو. قرعت الجرس وترقبت واضعًا جبيني على قضبان السياج ما سيحدث الآن. من وسط الدغل ظهر الآن بيت الحارس على ارتفاع طفيف. انبعث الضوء من باب صغير ينفتح وفتحت البوابة امرأة عجوز جدًا، بعد أن قلت لها من أنا وأظهرت لها الدلو، لإثبات صدق ما أقول. كان عليّ أن أسير أمامها ولكن ببطء مثلها تمامًا. كان الأمر غير مريح للغاية، لأنها كانت تمسك بي من الخلف وتوقفت مرتين في الطريق القصير لتلتقط أنفاسها. بجانب الباب بأعلى جلس رجل عملاق على دكة حجرية واضعًا ساقًا على ساق، وقد عقد يديه أمام صدره، واستند بظهره للوراء وسدد نظرته إلى الشجيرات الملاصقة له تقريبًا، بحيث صرفته عن أي منظر آخر. لا إراديًا نظرت للمرأة

متسائلًا. قالت «إنه المملوك، ألا تعرف ذلك؟»، هززت رأسي نافيًا، ونظرت للرجل مرة أخرى بدهشة، وخصوصًا قبعته العالية المصنوعة من القطيفة، لكن العجوز جذبتني بعدها إلى داخل البيت. في غرفة صغيرة جلس رجل هرم ملتحٍ إلى مائدة مفروشة بالكتب على نحو منظم جدًا وقد ارتدى قميص النوم، ونظر إليّ من أسفل غطاء الأباجورة. ظننت طبعًا أنني لم أدخل المكان الصحيح واستدرت راغبًا في الخروج مرة أخرى من المكان، لكن المرأة العجوز سدت عليّ الطريق وقالت للرجل: «إنه صبي الحليب الجديد». «تعال أيها السلطعون الصغير»، قال الرجل وضحك. جلست عندئذ على دكة صغيرة قرب مائدته، وقرب وجهه لوجهي كثيرًا. للأسف صرت نتيجة للمعاملة اللطيفة وقحًا بعض الشيء وقلت:

في السقيفة

كان لدى الأطفال سر. في زاوية غائرة في السقيفة وسط كراكيب قرن كامل، حيث لم يعد ممكنًا للكبار أن يتلمسوا طريقهم هناك، اكتشف هانس ابن المحامي رجلًا غريبًا. كان يجلس على صندوق استند بطوله على الحائط. عندما نظر هانس إليه، لم يتبد على وجهه فزع أو دهشة، بل فقط مجرد جلافة، ورد نظرة هانس بعينين صافيتين. اعتمر على رأسه قبعة من القطيفة ضخمة ومستديرة وغائصة في جبينه. امتد شاربه الكثيف منتصبًا. وارتدى معطفًا بنيًا واسعًا يربطه بحزام متين يذكر بلجام حصان. وعلى حجره كان لديه سيف قصير ومنحنٍ بنصل ذي لمعة كابية. غاصت القدمان في حذاء ذي رقبة طويلة بمهمازين. إحدى القدمين استندت على زجاجة نبيذ ساقطة والقدم الأخرى التي على الأرض كانت مفرودة بعض الشيء

واصطدم كعب الحذاء والمهماز بالخشب. «ابتعد!»، صرخ هانس عندما أراد الرجل أن يمسك به بحركة يد بطيئة، وأخذ يجرى بعيدًا إلى أنحاء جديدة من السقيفة ولم يتوقف إلا عندما لطم الغسيل المنشور وجهه فبلله. لكنه عندئذ عاد ثانيةً في الحال. جلس الغريب هناك وقد مط شفته السفلى بشيء من الاحتقار ولم يحرك ساكنًا. تأكد هانس من خلال اقترابه بحذر إن كان انعدام الحركة هذا ليس خدعة ماكرة. لكن لم يبد أن الغريب يضمر شرًا، لقد جلس في ارتخاء تام، ومن فرط ارتخائه أومأ برأسه إيماءةً تكاد تكون غير ملحوظة. وهكذا تجرأ هانس وأزاح حاجز مدفأة، كان يفصل بينه وبين الغريب واقترب منه جدًا، بل ولمسه في النهاية. «إنك مغبر جدًا!» قال باندهاش، وسحب يده المسوَّدة. «نعم مغبر» قال الغريب، وسوى ذلك لم يقل شيئًا. كان نطقه غريبًا ولم يفهم هانس كلامه إلا في صداه، ثم قال «أنا هانس، ابن المحامي، ومن أنت؟»، «هكذا»، قال الغريب، «أنا أيضًا هانس، اسمي هانس شلاغ، أنا صياد من بادن وأنحدر من كوسغارتن على نهر النيكر. حكايات قديمة.»

الخلاف بين هانس وأبيه كان قائمًا منذ زمن بعيد، وقد بلغ بعد وفاة الأم درجة من الاحتدام جعلت هانس ينسحب من أعمال أبيه ويذهب إلى الخارج ويقبل في الحال في شرود بوظيفة صغيرة أُتيحت له بالصدفة، وقد نجح في تجنب كل صلة بأبيه سواء عبر الرسائل أو المعارف لدرجة جعلته لم يعرف بموت أبيه الذي توفى بسكتة قلبية بعد عامين تقريبًا من مغادرته، إلا من خلال المحامي الذي أخبره بموضوع الإرث. صحيح أن هانس قد أُعلن وريثًا وحيدًا، لكن

التركة كانت مثقلة جدًا بالديون والوصايا، بحيث أنه، وكما لاحظ بعد تقييم ظاهري، لم يكد ليتبقى منها من بعد سوى منزل الوالدين. ولم يكن هذا بالكثير: إنه بناء بسيط قديم من طابق واحد، لكن هانس كان شديد التعلق بالمنزل، كما أنه لم يعد ثمة ما يبقيه هنا في الغربة بعد وفاة الأب، بل إن إتمام أعمال الإرث يتطلب حضوره بشكل عاجل، لذلك أنهى في الحال التزاماته، وهو أمر لم يكن صعبًا، وسافر إلى مسقط رأسه. كان الوقت متأخرًا في إحدى أماسي ديسمبر وقد غطى الجليد كل شيء، عندما اقترب هانس من بيت الوالدين. خرج البواب الذي كان في انتظاره من الباب مسنودًا من ابنته، كان شيخًا واهنًا، عمل في خدمة جد هانس. تبادلا التحية، ولكن ليس بحرارة شديدة، ففي سنوات طفولته لم يكن هانس يرى في البواب سوى طاغية غبي، والخنوع الذي تقرب إليه به الآن، كان محرجًا لهانس. قال هانس للابنة التي حملت وراءه الحقائب على الدرج الضيق المنحدر، إنه لن يطرأ أي تغيير على وضع والدها ودخله، بغض النظر عما حصل عليه من التركة. شكرته الابنة والدموع في عينيها واعترفت له أنه بذلك قد زال هم والدها الأساسي، الذي أذهب عنه النوم تقريبًا منذ وفاة السيد المرحوم. وقد جعل هذا الشكر هانس الآن واعيًا بالأمور المزعجة التي سببها الإرث له والتي يمكن أن يتسبب فيها لاحقًا. ولهذا فرح أكثر بوحدته في غرفته القديمة، وتهيئًا لذلك ربتَ على القط الذي مرق من أمامه بحجمه الكامل، كأول ذكرى صافية من الزمن القديم. لكن الآن لم تقد الابنة هانس إلى الغرفة التي كان من المفروض أن تجهز له حسب التعليمات التي أرسلها، وإنما إلى غرفة نوم والده سابقًا. سأل لماذا حدث ذلك. وقفت الفتاة أمامه وهي تتنفس بصعوبة بسبب ما

تحمِله. لقد أصبحت طويلةً وقويةً خلال العامين، وكانت نظرتها صافيةً على نحو لافت. رجته أن يسامحها، ففي غرفته أقام العم تيودور، ولم يريدوا أن يزعجوا السيد العجوز، خصوصًا وأن هذه الغرفة أكبر وأكثر راحة. كان الخبر بأن العم تيودور يسكن في البيت جديدًا على هانس.

الحاجب بالطبع كل ما يأمر به سموك سيُنفذ، حتى لو لم تكن ضرورة الأمر مفهومة.

الأمير (غاضبًا) ضرورة! هل الحراسة عند بوابة الحديقة ضرورية؟ حديقة فريدريش هي جزء من حديقة القصر، وهي محاطة بها تمامًا، بل إن حديقة القصر نفسها بها الكثير من الحراسات العسكرية؟ ما الغرض إذًا من حراسة حديقة فريدريش؟ هل الأمر مجرد شكليات؟ معسكر لطيف لاحتضار الشيخ المسكين الذي يقوم بالحراسة هناك؟

الحاجب إنه أمر شكلي وإظهار ضروري للاحترام تجاه الموتى العظماء.

الأمير وحراسة القبر نفسه؟

الحاجب حسب رأيي ستكون أهميتها ثانوية من الناحية الشُرطيّة، فهي ستكون حراسة حقيقية لأشياء غير حقيقية بعيدة عما هو إنساني.

الأمير (ينهض) هذا القبر هو في عائلتي الحد بين الإنساني والشيء الآخر وعند هذا الحد أريد أن أضع الحراسة. وبشأن الضرورة الشُرطيّة، حسب تعبيركم، يمكننا استجواب الحارس نفسه. لقد أرسلت في طلبه. (يقرع الجرس).

الحاجب إنه، إذا سمح لي سموكم بهذه الملاحظة، شيخ مشوّش

الأفكار، ومنفلت جدًا.

الأمير هل الأمر كذلك، هذا من شأنه إذًا أن يكون دليلًا آخر على ضرورة تعزيز الحراسة وفقا لفكرتي.

الخادم

الأمير حارس القبر!

يُدخل الخادم الحارس، ويمسك به من ذراعه، وإلا سيسقط منهارًا. معطف احتفالي أحمر قديم يعوم فيه من فرط اتساعه، وأزرار فضية مُلمّعة، أوسمة عديدة. الطاقية في يده. يرتعش في ظل نظرات السيدين.

الأمير على الأريكة!

يضعه الخادم عليها ويذهب

استراحة، فقط حشرجة خفيضة صادرة عن الحارس

الأمير (جالسًا مرة أخرى على الكرسي ذي المسند) هل تسمع؟

الحارس يبذل جهدًا ليجيب، لا يستطيع، منهك للغاية يسقط ثانية للوراء.

الأمير حاول أن تتماسك، نحن ننتظر.

الحاجب (مائلًا على الأمير) عن أي شيء يمكن لهذا الرجل أن يعطي معلومات، ناهيك عن أن تكون معلومات مهمة وذات مصداقية. كان من الأفضل لو تركه الحارس في سريره.

الأمير لم يكن في السرير

الحارس لم أكن في السرير، لم أكن في السرير- لا زلت قويًا-نسبيًا - لا زلت أقوم بواجبي.

الأمير هذا ما ينبغي أن يكون. لا زلت في الستين من العمر. لكنك تبدو واهنًا جدًا.

الحارس سأتعافى حالًا، حالًا سأتعافى.

الأمير لم يكن هذا لومًا. أنا آسف فقط لأن حالتك سيئة لهذه الدرجة. هل لديك ما تشكو منه؟

الحارس عمل صعب-سموك- عمل صعب- لا أشكو ولكنه منهك جدًا- مصارعة- أصارع كل ليلة.

الأمير ماذا تقول؟

الحارس عمل صعب.

الأمير قلت شيئًا آخر.

الحارس مصارعات.

الأمير مصارعات؟ أي مصارعات إذًا؟

الحارس مع الأسلاف المباركين.

الأمير لا أفهم ذلك. هل لديك أحلام مزعجة؟

الحارس ليست أحلام، سموك، لا أنام في الليل إطلاقًا.

الأمير فلتحك لي إذًا عن هذه- هذه المصارعات.

الحارس يصمت.

الأمير (للحاجب) لماذا يصمت؟

الحاجب (يهرع للحارس) نهايته قد تأتي في أي لحظة.

الأمير (يقف ويبقى عند الطاولة)

الحارس (عندما يلمسه الحاجب) ابتعد، ابتعد، ابتعد (يصارع إصبع الحاجب، ثم يلقي بنفسه على الأريكة باكيًا).

الأمير إننا نعذبه.

الحاجب بماذا؟

الأمير لا أعرف

الحاجب الطريق إلى القصر، الاقتياد، مرأى سموكم، طرح الأسئلة- لم يعد لديه ما يكفي من العقل لمواجهة كل ذلك.

الأمير (لا يزال ينظر باتجاه الحارس) ليس هذا هو السبب. (يذهب للأريكة ويميل على الحارس ويمسك بجمجمته الصغيرة بين يديه) لا حاجة لأن تبكي، لماذا تبكي؟ إننا نريد لك خيرًا. أنا نفسي اعتبر وظيفتك ليست سهلة. ولا شك أنك حصلت على استحقاقات من بلاطي. لا تبك إذًا، واحك.

الحارس يصرخ: وإذا كنت أخاف للغاية من السيد هناك. (لا ينظر للحاجب بخوف وإنما بتهديد)

الأمير إنه يخشى منك. عليك أن تذهب، إذا كان سيحكى. سأستدعيك.

الحاجب أنظر سموك، لديه زَبد أمام فمه، إنه مريض جدًا.

الأمير (شاردًا) نعم، فلتذهب، لن يستغرق الأمر طويلًا.

الحاجب يذهب.

الأمير (يجلس على طرف الأريكة).

استراحة

الأمير لماذا خِفتَ منه؟

الحارس (استجمع قواه بوضوح) لم أخف. أخاف من خادم؟

الأمير ليس خادمًا، إنه دوق، حر وغني.

الحارس بل مجرد خادم. أنت السيد.

الأمير (يبتسم) إن شئت ذلك. لكنك قلت بنفسك أنك تخاف.

الحارس أن أحكي أمامه أشياء لا ينبغي أن يعرفها أحد سواك. ألم أقل بالفعل الكثير جدًا أمامه؟

الأمير إذًا نحن مقربان من بعضنا، ومع ذلك أراك اليوم للمرة الأولى.

الحارس رأيتني للمرة الأولى. لكنك تعرف منذ زمن بعيد أن لدي (سبابة مرفوعة) أهم منصب في البلاط. لقد اعترفت بذلك رسميًا عندما منحتي ميدالية «الأحمر الناري». ها هي (يجذب الميدالية من معطفه).

الأمير (يبتسم) لا، إنها ميدالية تُمنح لخمسة وعشرين عامًا في خدمة البلاط، لقد منحها جدي لك، لكنني سأكرّمك أيضًا.

الحارس (حاسمًا) افعل ما تشاء وما يناسب أهمية خدماتي. خدمتك حارسًا للقبر لثلاثين عامًا.

الأمير لم تخدمني، فحكمي لم يتعد العام.

الحارس (غارقًا في أفكاره) ثلاثون عامًا.

استراحة

الحارس (عائدًا بعض الشيء لملاحظة الأمير) الليالي تدوم هناك سنوات.

الأمير لم أتلق تقريرًا من مكتبك بعد. كيف هي الخدمة؟

الحارس على الشاكلة نفسها كل ليلة. في كل ليلة تقترب عروق رقبتي من الانفجار.

الأمير هل هي خدمة ليلية فقط؟ خدمة ليلية لك أنت أيها الرجل الهرم؟

الحارس هذا هو الأمر، سموك. إنها خدمة نهارية. خدمة للكسالى. يجلس المرء أمام البيت في ضوء الشمس وفمه مفتوح. أحيانًا يربت كلب الحراسة بأقدامه الأمامية على ركبتك ويرقد. هذا هو التنويع الوحيد.

الأمير إذًا.

الحارس (يومئ) لكنها تحولت إلى خدمة ليلية.

الأمير على يد من إذًا؟

الحارس على يد سادة القبر.

الأمير هل تعرفهم؟

الحارس نعم

الأمير أيأتون إليك؟

الحارس نعم

الأمير في الليلة الماضية أيضًا؟

الحارس أيضًا

الأمير وكيف كان ذلك؟

الحارس كما هي الحال دائمًا. (يعتدل في جلسته)

الأمير ينهض.

الحارس كما هي الحال دائمًا. حتى منتصف الليل يسود الهدوء. أرقد-سامحني- في السرير وأدخن الغليون. وبجانبي في السرير تنام

ابنتي. عند منتصف الليل يُطرق للمرة الأولى على النافذة. أنظر إلى الساعة. دائمًا في الوقت المضبوط. ثم يُطرق مرتين أخريين على النافذة، ويختلط الطرق مع دقات الساعة الصادرة عن البرج ولا يقل عنها ضجة. إنها ليست ببراجم أصابع بشرية. لكنني أعرف كل ذلك ولا أحرك ساكنًا. ثم يُهمس في الخارج وكأن أحدهم يتعجب من عدم فتحي للنافذة. يتعجب كل ليلة. ربما يتعجب السمو الأميري! لكن الحارس القديم لا يزال موجودًا (يظهر قبضته)

الأمير هل تهددني؟

الحارس (لا يفهم في الحال) ليس أنت، ولكن هذا الواقف أمام النافذة.

الأمير ومن هو؟

الحارس إنه يظهر في الحال. بضربة واحدة تنفتح النافذتان والشيش. بالكاد يكون لدي وقت لأضع الغطاء فوق وجه ابنتي. تهب عاصفة داخل الغرفة وتُطفئ الضوء في التو. الدوق فريدريش! يسد وجهه بشعره ولحيته نافذتي تمامًا. كيف تغير عبر القرون. عندما يفتح فمه ليتحدث، تُطيّر الريحُ ذقنه العجوز لتدخل بين أسنانه ويعض عليها.

الأمير انتظر. تقول الدوق فريدريش؟ أيهم تقصد؟

الحارس الدوق فريدريش. وحده الدوق فريدريش.

الأمير هل يذكر اسمه هكذا؟

الحارس (خائفًا) لا، لا يذكره-

الأمير من أين لك أن تعرف؟ (يتوقف) إذًا أكمل الحكاية.

الحارس أينبغي عليّ أن أكمل؟

الأمير بالطبع احك، الأمر مهم لي جدًا، ثمة خطأ في توزيع العمل. لقد تحملت فوق طاقتك.

الحارس (راكعًا) لا تأخذ مني وظيفتي، سموك! إذا كنت قد عشت طويلا من أجلك، فلتدعني أموت من أجلك. لا تسد أمامي القبر الذي سأموت عنده. أنا أخدم عن طيب خاطر وما زالت لدي القدرة على الخدمة. وحضوري لدى سموك اليوم يعطيني القوة لعشر سنوات أخرى. دعني فقط أنعم مثل اليوم مرة أخرى بأكبر سعادة ينالها خادم، وهو أن يستريح عند سيده.

الأمير (يجلسه على الأريكة) لن يأخذ أحد منك وظيفتك. كيف يمكن لي أن أستغني عن خدماتك. لكنني سأعين حارسًا آخر وستكون أنت كبير الحراس.

الحارس ألست كافيًا؟ هل سمحت في مرة لأحد أن يتسلل؟

الأمير إلى حديقة فريدريش؟

الحارس لا، من الحديقة. من ذا الذي يريد الدخول؟ إن بقي أحدهم مرة أمام السياج، ألوح له بيدي من النافذة، فيختفي. لكن الكل يريد الخروج من الحديقة. بعد منتصف الليل يمكنك أن ترى كل أصوات القبر مجتمعةً حول بيتي. أظن فقط لأنها تزاحم بعضها بعضًا لا يمكنها الدخول كلها بكل ما هي عليه عبر ثقب النافذة الضيق. وإذا أصبح الأمر مزعجًا للغاية، أحضر الفانوس من أسفل السرير وأطوّحه عاليًا، فتتفرق، على نحو غير مفهوم بالضحك والنواح، وأظل أسمع صخبها في آخر الحديقة وحتى آخر شجيرة. لكن سرعان ما تتجمع ثانية.

الأمير وهل تفصح عن طلبها؟

الحارس في البداية يأمرون. خصوصًا الدوق فريدريش. لا يتمتع أي من الأحياء بمثل هذه الثقة. منذ ثلاثين عامًا يتوقع كل ليلة أن يجدني هشًا.

الأمير إذا كان يأتي منذ ثلاثين عامًا، فلا يمكن أن يكون الدوق فريدريش، فلم يمت إلا قبل خمسة عشر عامًا. لكنه الوحيد الذي يحمل هذا الاسم داخل المقبرة.

الحارس (متأثرًا بشدة بما يُحكى) لا أعرف سموكم، أنا لم أدرس. أعرف فقط كيف يبدأ. «أيها الكلب الهرم» يبدأ عند النافذة. «السادة يطرقون وأنت تبقى في سريرك القذر.» إنهم يغضبون جدًا من الأسرة. وها نحن نقول الكلام نفسه تقريبًا كل ليلة. هو في الخارج، وأنا في مقابله مستندًا بظهري للباب. أقول «خدمتي نهارية فقط». يلتف الأمير وينادي في الحديقة: «لديه خدمة نهارية فقط»، وبعدها يسود الضحك بين النبلاء المجتمعين. ثم يقول لي الدوق مرة ثانية: «لكن الوقت نهار»، وأرد باقتضاب «أنتم على خطأ». يقول الدوق: «نهار أو ليل، افتح البوابة» أنا: «هذا ضد تعليمات عملي.» وأشير بعصا الغليون إلى ورقة على الحائط. الدوق: «ألست حارسنا أم ماذا؟» أنا: «أنا حارسكم ولكنني معين من الأمير الحاكم.» هو: «أنت حارسنا وهذا هو الشيء الأساسي. إذًا افتح، بل وفورًا». أنا: «لا» هو: «مجنون، ستفقد وظيفتك. لقد دعانا الدوق ليو إليه اليوم.»

الأمير (بسرعة) أنا؟

الحارس أنت

استراحة

عندما أسمع اسمك أفقد تماسكي. لذلك استندت من باب الحذر على الباب. في الخارج يردد الجميع اسمك. «أين الدعوة؟» سألت بصوت واهن. «يا بهيمة السرير» يصرخ ويوقظني من دون قصد، «أتشكك في كلامي أنا الدوق؟» أقول: «ليست لدي تعليمات ولذلك لا أفتح، لا أفتح، لا أفتح.» يصرخ الدوق في الخارج «لا يفتح، إذًا كل الأسرة الملكية إلى الأمام، سنفتح بأنفسنا.» وفي هذه اللحظة يكون المكان أمام شباكي خاليًا.

استراحة

الأمير هذا كل شيء

الحارس كيف ذلك؟ عندئذ تبدأ خدمتي الحقيقية. خارجًا من الباب، أقوم بجولة حول البيت، فاصطدم بالدوق ونتأرجح في العراك. إنه طويل جدًا وأنا قصير جدًا، إنه عريض جدًا وأنا نحيف جدًا. أتعارك فقط مع قدمه، لكنه أحيانًا يرفعني وأتعارك معه بأعلى. ويحيط بنا كل رفاقه في دائرة ويسخرون مني. أحدهم يقوم مثلًا بقطع سروالي من الخلف والآن يلعبون جميعهم بأطراف قميصي أثناء العراك. سبب ضحكهم غير مفهوم. نظرًا لأنني كنت الفائز لحد الآن.

الأمير لكن كيف يمكن لك أن تفوز. هل لديك أسلحة؟

الحارس فقط في الأعوام الأولى كنت آخذ أسلحة. لكن كيف للأسلحة أن تساعدني في مواجهته، إنها تثقلني فقط. إننا نتعارك بقبضات الأيدي، أو في الحقيقة فقط بقوة النَفَس. وأنت دائمًا على بالي.

استراحة

الحارس لكنني لا أشك أبدًا في انتصاري. أخشى فقط أحيانًا من أنه قد يفقدني من بين أصابعه ولا يعود يعرف أنه يصارع.

الأمير ومتى تكون قد انتصرت؟

الحارس عند الصباح. عندها يلقي بي على الأرض ويبصق باتجاهي. وهذا اعتراف بالهزيمة. لكن يتحتم عليّ أن أبقى راقدًا لساعة، قبل التقط نفسي فعليًا.

استراحة

الأمير (ينهض) لكن قل لي، ألا تعرف ماذا يريدون جميعهم حقًا؟

الحارس الخروج من الحديقة.

الأمير لكن لماذا؟

الحارس لا أعرف.

الأمير ألم تسألهم؟

الحارس لا.

الأمير لماذا؟

الحارس أخجل من ذلك، لكن إن أردت، سأسالهم اليوم.

الأمير (يفزع بصخب) اليوم!

الحارس (بخبرة) نعم اليوم.

الأمير ولا تدرك أيضًا ما يريدون؟

الحارس (متأملًا) لا.

استراحة

الحارس أحيانًا، ربما ينبغي عليّ أن أقول ذلك أيضًا، يأتي إليّ مبكرًا، فيما أنا راقد من دون نَفَس، وواهن جدًا بحيث لا أستطيع فتح عيناي، كائن أشعر به رهيفًا ورطبًا ومشعرًا، الكونتيسة إيزابيلا التي التحقت بهم. تتحسسني في مواضع عدة وتمسك ذقني وتمر بكيانها كله على رقبتي، تحت ذقني وتقول عادة: «لا تخرج الآخرين، لكن أخرجني أنا» أهز رأسي رافضًا بقدر ما أستطيع. «إلى الأمير ليو، لكي أصافحه» لا أكف عن هز رأسي رافضًا. «لكن أنا، لكن أنا» أظل أسمعها، ثم تنصرف. ثم تأتي ابنتي بالغطاء، وتلفني وتنتظر بجانبي، حتى أكون قادرًا على الذهاب بنفسي. إنها بنت ذات طيبة غير عادية.

الأمير إيزابيلا، اسم غير معروف.

استراحة

الأمير تصافحني (يقف عند النافذة وينظر للخارج)

استراحة

الأمير (يعود للطاولة، ويدق الجرس)

الخادم

الأمير الحاجب

الحاجب يدخل وفي الوقت نفسه يسقط الحارس مع صرخة خفيضة من على الأريكة.

الأمير (يقفز نحوه) يا لعدم الحرص الأبدي! كان عليّ أن أفكر في ذلك! الطبيب! الخدم!

الحاجب يخرج ويعود في الحال بالخدم، ويبقى عند الباب المفتوح.

الأمير (راكعًا عند الحارس) آتوا بالماء! جهزوا له سريرًا! أينما يحلو لكم. بجانب غرفة نومي. أحضروا محفة. هل سيأتي الطبيب؟ هل سيطول غيابه! النبض ضعيف. القلب غير المحسوس! الضلوع البائسة! كم هو مستهلك وبالٍ كل ذلك. ومع ذلك التنفس أفضل، جذع سليم، لا يعجز حتى في أقصى الأحوال البائسة. لكن الطبيب! ألن يأتي إذًا أبدًا (نظرة إلى الباب، يرفع الحارس يده، ويربت مرة على خد الأمير)

كبير مدبري شؤون البلاط يدخل ببطء ويبقى عند الباب (شاب أصغر سنًا، في زي الضباط، نظرة متأملة هادئة، يقول بصوت عالٍ) لن يستطيع الطبيب القدوم قبل ربع ساعة. لقد خرج وأُرسل أحد جنود الخيالة ليلحق به.

الأمير (أكثر تماسكًا، يلقي نظرة على الحراس) يمكننا الانتظار، لقد أصبح أكثر هدوءًا.

الخادم ومعه محفة

الأمير (ينهض ذاهبًا إلى كبير مدبري شؤون البلاط) لقد جئتَ أيضًا.

كبير مدبري شؤون البلاط لقد رأيت التوتر في الممرات. وظننت حتمًا أن كارثةً قد وقعت.

الأمير (دون أن يرد، ينتقل لحمالي المحفة ويساعد في وضعه عليها) أمسكوه برفق. آه، بمخالبكم هذه. ارفعوا الرأس قليلًا. قربوا المحفة أكثر. انزلوا الوسادة أسفل الظهر. الذراع! الذراع! إنكم، إنكم ممرضون سيئون. ترى أستصبحون منهكين أيضًا هكذا مثل هذا الشخص على المحفة. -هكذا- بالخطى الأكثر بطأ، والأهم من ذلك بشكل منظم. سأبقى وراءكم.

«تبييض القطعة المسرحية «حارس المقبرة»»

غرفة مكتب صغيرة، نافذة عالية، أمامها قمة شجرة عارية.

الأمير (جالسًا إلى المكتب ومستندًا بظهره على الكرسي، ينظر من النافذة)

الحاجب (لحية بيضاء، وقد حشر نفسه بتصابٍ في جاكيت ضيق، مستندًا إلى الحائط بجانب الباب الأوسط)

استراحة

الأمير (أدار ظهره للنافذة):

والآن؟

الحاجب:

لا أنصح بذلك سموك.

الأمير:

لماذا؟

الحاجب:

لا أستطيع في هذه اللحظة أن أصيغ قلقي بدقة، وهو لحد كبير ليس كل ما أريد قوله، عندما استشهد فقط بالمقولة الإنسانية الشائعة: فلنترك الموتى يرقدون في هدوء.

الأمير:

وهذه هي نيتي أيضًا

الحاجب:

إذًا لم أفهم المسألة على نحو صحيح

الأمير:

هكذا يبدو

استراحة

الأمير:

الشيء الوحيد الذي جعلك تخطئ فهم الموضوع هو أنني لم أصدر الأمر مباشرة وإنما أعلنته لك قبل ذلك.

الحاجب:

لكن الإعلان يضع على عاتقي مسؤوليةً كبرى، يتحتم عليّ أن أبذل جهدي لأكون على قدرها.

الأمير:

ليس ثمة مسؤولية.

استراحة

الأمير:

إذًا مرة أخرى، حتى الآن كان الضريح في حديقة فريدريش يُحرس من خفير واحد لديه بيت صغير عند مدخل الحديقة، يعيش فيه مع عائلته. هل ثمة ما يعيب في الأمر برمته؟

الحاجب:

بالتأكيد لا. الضريح عمره أكثر من أربعمئة عام، وكان يُحرس طوال هذه المدة بهذه الطريقة.

الأمير:

قد يكون في ذلك سوء تصرف. لكنه ليس سوء تصرف؟

الحاجب:

إنه مرفق ضروري.

الأمير:

إذًا هو مرفق ضروري. الآن أنا هنا منذ فترة طويلة هنا في القصر الريفي وأطلعُ على تفاصيل الأمور التي عُهد بها حتى الآن لغرباء- وقد تبين أنهم أدوا واجبهم بقدر الإمكان- ووجدت أن الحارس في الحديقة غير كافٍ، لا بد أن يكون بالأحرى أيضًا حارس في الأسفل داخل الضريح. ربما لن تكون مهمة مريحة. ولكن بحسب الخبرة يوجد لكل منصب أناس راغبون فيه ومؤهلون له.

الحاجب:

بالطبع كل ما يأمر به سموك سيُنفذ، حتى لو لم تكن ضرورة الأمر مفهومة.

الأمير:

ضرورة! هل الحراسة عند بوابة الحديقة ضرورية؟ حديقة فريدريش هي جزء من حديقة القصر، وهي محاطة بها تمامًا، بل إن حديقة القصر نفسها بها الكثير من الحراسات العسكرية؟ ما الغرض إذًا من حراسة حديقة فريدريش؟ هل الأمر مجرد شكليات؟ معسكر لطيف لاحتضار الكهل المسكين الذي يقوم بالحراسة هناك؟

الحاجب:

إنه أمر شكلي وإظهار ضروري للاحترام تجاه الموتى العظماء.

الأمير:

وحراسة القبر نفسه؟

الحاجب:

حسب رأيي ستكون أهميتها ثانوية من الناحية الشُرَطّية، فهي ستكون حراسة حقيقية لأشياء غير حقيقية بعيدة عما هو إنساني.

الأمير:

هذا القبر هو في عائلتي الحد بين الإنساني والشيء الآخر وعند هذا الحد أريد أن أضع الحراسة. (ينهض) وبشأن الضرورة الشُرَطّية، حسب تعبيرك، يمكننا استجواب الحارس نفسه. لقد أرسلت في طلبه. (يقرع الجرس)

الحاجب:

إنه، إذا سمح لي سموكم، شيخ مشوش الأفكار، ومنفلت جدًا.

الأمير:

هل الأمر كذلك، هذا من شأنه إذن أن يكون دليلًا آخر على ضرورة تعزيز الحراسة وفقًا لفكرتي.

الخادم

الأمير:

حارس القبر!

يُدخل الخادم الحارس، ويمسك به من ذراعه، وإلا فسيسقط منهارًا. معطف احتفالي أحمر قديم يعوم فيه من فرط اتساعه، وأزرار فضية مُلمّعة، أوسمة عديدة. الطاقية في يده. يرتعش في ظل نظرات السيدين.

الأمير:

على الأريكة!

يضعه الخادم عليها ويذهب، استراحة، فقط حشرجة خفيضة صادرة عن الحارس

الأمير (جالسًا مرة أخرى على الكرسي ذي المسند):

هل تسمع؟

الحارس (يبذل جهدًا ليجيب، لا يستطيع، منهك للغاية يسقط ثانية للوراء.)

الأمير:

حاول أن تتماسك، نحن ننتظر.

الحاجب (مائلًا على الأمير):

عن أي شيء يمكن لهذا الرجل أن يعطي معلومات، ناهيك عن أن تكون معلومات مهمة وذات مصداقية. كان ينبغي أن يوضع في سريره بأقصى سرعة.

الحارس:

لا سرير- لا زلت قويًا-نسبيًا - لا زلت أقوم بواجبي.

الأمير:

هذا ما ينبغي أن يكون. لا زلت في الستين من العمر. لكنك تبدو واهنًا جدًا.

الحارس:

سأتعافى حالًا، حالًا سأتعافى.

الأمير:

لم يكن هذا لومًا. أنا آسف فقط لأن حالتك سيئة لهذه الدرجة. هل لديك ما تشكو منه؟

الحارس:

عمل صعب-سموك- عمل صعب- لا أشكو ولكنه منهك جدًا- مصارعة- أصارع كل ليلة.

الأمير:

ماذا تقول؟

الحارس:

عمل صعب

الأمير:

قلت شيئًا آخر.

الحارس: مصارعات.

الأمير:

مصارعات؟ أي مصارعات إذًا؟

الحارس:

مع الأسلاف المباركين.

الأمير:

لا أفهم ذلك. هل لديك أحلام مزعجة؟

الحارس:

ليست أحلام، سموك، لا أنام في الليل إطلاقًا.

الأمير:

فلتحك لي إذًا عن هذه- هذه المصارعات.

الحارس (يصمت)

الأمير

لماذا يصمت؟

الحاجب (يهرع للحارس):

نهايته قد تأتي في أي لحظة.

الأمير (يقف عند الطاولة)

الحارس (عندما يلمسه الحاجب):

ابتعد، ابتعد، ابتعد (يصارع إصبع الحاجب، ثم يلقي بنفسه على الأريكة باكيًا).

الأمير:

إننا نعذبه.

الحاجب:

بماذا؟

الأمير:

لا أعرف

الحاجب:

الطريق إلى القصر، الاقتياد، مرأى سموكم، طرح الأسئلة- ليس لديه ما يكفي من العقل لمواجهة كل ذلك.

الأمير (لا يزال ينظر باتجاه الحارس):

ليس هذا هو السبب. (يذهب للأريكة ويميل على الحارس ويمسك بجمجته الصغيرة بين يديه)

لا حاجة لأن تبكي، لماذا تبكي؟ إننا نريد لك خيرًا. أنا نفسي اعتبر وظيفتك ليست سهلة. ولا شك أنك نلت استحقاقات من بلاطي. لا تبك إذًا، واحك.

الحارس:

وإذا كنت أخاف للغاية من السيد هناك. (لا ينظر للحاجب بخوف وإنما بتهديد)

الأمير:

عليك أن تذهب، إذا كان سيحكى.

الحاجب:

أنظر سموك، لديه زَبد أمام فمه، إنه مريض جدًا.

الأمير (شاردًا):

نعم، فلتذهب، لن يستغرق الأمر طويلًا.

يذهب الحاجب.

الأمير (يجلس على طرف الأريكة)

استراحة

الأمير:

لماذا تخاف منه؟

الحارس (استجمع قواه بوضوح):

لم أخف. أخاف من خادم؟

الأمير:

ليس خادمًا، إنه دوق، حر وغني.

الحارس:

بل مجرد خادم. أنت السيد.

الأمير:

إن شئت ذلك. لكنك قلت بنفسك أنك تخاف.

الحارس:

أن أحكي أمامه أشياء لا ينبغي أن يعرفها حد سواك. ألم أقل بالفعل الكثير جدًا أمامه؟

الأمير:

إذًا نحن مقربان من بعضنا، ومع ذلك أراك اليوم للمرة الأولى.

الحارس:

رأيتني للمرة الأولى. لكنك تعرف منذ زمن بعيد أن لدي (سبابة مرفوعة) أهم منصب في البلاط. لقد اعترفت بذلك رسميًا عندما منحتي ميدالية «الأحمر الناري». ها هي (يجذب الميدالية من معطفه).

الأمير:

لا، إنها ميدالية تُمنح لخمسة وعشرين عامًا في خدمة البلاط، لقد منحها جدي لك، لكنني سأكرِّمك أيضًا.

الحارس:

افعل ما تشاء وما يناسب أهمية خدماتي. خدمتك حارسًا للقبر لثلاثين عامًا.

الأمير:

لم تخدمني، حكمي لم يتعد العام.

الحارس (غارقًا في أفكاره):
ثلاثون عامًا.

استراحة

الحارس (عائدًا نوعًا ما لملاحظة الأمير):
الليالي تدوم هناك سنوات.
الأمير:
لم أتلق تقريرًا من مكتبك بعد. كيف هي الخدمة؟
الحارس:
على الشاكلة نفسها كل ليلة. في كل ليلة تقترب عروق رقبتي من الانفجار.
الأمير:
هل هي خدمة ليلية فقط؟ خدمة ليلية للرجل الهرم؟
الحارس:
هذا هو الأمر، سموك. إنها خدمة نهارية. خدمة للكسالى. يجلس المرء أمام البيت في ضوء الشمس وفمه مفتوح. أحيانًا يربت كلب الحراسة بأقدامه الأمامية على ركبتي ويرقد. هذا هو التنويع الوحيد.
الأمير:
إذًا.
الحارس (يومئ):
لكنها تحولت إلى خدمة ليلية.
الأمير:
ممن إذًا؟

الحارس:

من سادة القبر.

الأمير:

هل تعرفهم؟

الحارس:

نعم

الأمير:

أيأتون إليك؟

الحارس:

نعم

الأمير:

في الليلة الماضية أيضًا؟

الحارس:

أيضًا.

الأمير:

وكيف كان ذلك؟

الحارس (يعتدل في جلسته):

كما هي الحال دائمًا.

الأمير (ينهض):

الحارس:

كما هي الحال دائمًا. حتى منتصف الليل يسود الهدوء. أرقد- سامحني- في السرير وأدخن الغليون. وبجانبي في السرير تنام ابنتي. عند منتصف الليل يُطرق للمرة الأولى على النافذة. أنظر إلى الساعة.

دائمًا في الوقت المضبوط. ثم يُطرق مرتين آخريين على النافذة، ويختلط الطرق مع دقات الساعة الصادرة عن البرج ولا يقل عنها ضجة. إنها ليست ببراجم أصابع بشرية. لكنني أعرف كل ذلك ولا أحرك ساكنًا. ثم يهمسون في الخارج ويتعجبون من عدم فتحي للنافذة رغم الطرقات. يتعجبون كل ليلة. ربما يتعجب السمو الأميري! لكن الحارس القديم لا يزال موجودًا! (يظهر قبضته)

الأمير:

هل تهددني؟

الحارس: (لا يفهم في الحال)

ليس أنت، ولكن هذا الواقف أمام النافذة.

الأمير:

ومن هو؟

الحارس:

إنه يظهر في الحال بضربة واحدة تنفتح النافذتان والشيش. بالكاد يكون لدي وقت لأضع الغطاء فوق وجه ابنتي. تهب عاصفة داخل الغرفة وتُطفئ الضوء في التو. الدوق فريدريش! يسد وجهه بشعره ولحيته نافذتي تمامًا. كيف تغير عبر القرون. عندما يفتح فمه ليتحدث، تُطيّر الريحُ ذقنه العجوز لتدخل بين أسنانه ويعض عليها.

الأمير:

انتظر. تقول الدوق فريدريش؟ أيهم تقصد؟

الحارس:

الدوق فريدريش. وحده الدوق فريدريش.

الأمير:

هل يذكر اسمه هكذا؟

الحارس (خائفًا)

لا، لا يذكره.

الأمير:

من أين لك أن تعرف- (يتوقف) إذًا أكمل الحكاية.

الحارس:

أينبغي عليّ أن أكمل؟

الأمير:

بالطبع احك، الأمر مهم لي جدًا، ثمة خطأ في توزيع العمل. لقد تحملت فوق طاقتك.

الحارس (راكعًا)

لا تأخذ مني وظيفتي، سموك. إذا كنت قد عشت طويلًا من أجلك، فلتدعني أموت من أجلك! لا تسد أمامي القبر الذي سأموت عنده. أنا أخدم عن طيب خاطر وما زالت لدي القدرة على الخدمة. وحضوري، كما هو اليوم، واستراحاتي لدى السيد يعطياني القوة لعشر سنوات أخرى.

الأمير (يجلسه على الأريكة):

لن يأخذ أحد منك وظيفتك. كيف يمكن لي أن أستغني عن خدماتك. لكنني سأعين حارسًا آخر وستكون أنت كبير الحراس.

الحارس:

ألست كافيًا؟ هل سمحت في مرة لأحد أن يتسلل؟

الأمير:

إلى حديقة فريدريش؟

الحارس:

لا، من الحديقة. من ذا الذي يريد الدخول؟ إن ظل أحدهم مرة أمام السياج، ألوح له بيدي من النافذة فيفر. لكن الخروج من الحديقة. الكل يريد الخروج. بعد منتصف الليل يمكنك أن ترى كل أصوات المقبرة مجتمعةً حول بيتي. وأظن أنه فقط لكونها تزاحم بعضها بعضًا لا تستطيع كلها الدخول عبر ثقب النافذة الضيق. وإذا أصبح الأمر مزعجًا، أحضر الفانوس وأطوحه عاليًا فتتفرق على نحو غير مفهوم بالضحك والنواح، وأظل أسمع صخبها في آخر الحديقة وحتى آخر شجيرة. لكن سرعان ما تتجمع ثانية.

الأمير:

وهل تفصح عن طلبها؟

الحارس:

في البداية يأمرون. خصوصًا الدوق فريدريش. لا يتمتع أي من الأحياء بمثل هذه الثقة. منذ ثلاثين عامًا يتوقع كل ليلة أن يجدني هشًا.

الأمير:

إذا كان يأتي منذ ثلاثين عامًا، فلا يمكن أن يكون الدوق فريدريش، فلم يمت إلا قبل خمسة عشر عامًا. لكنه الوحيد الذي يحمل هذا-

«الكراسة ب»

كنتُ متصلبةً وباردةً، كنتُ قنطرةً، رقدتُ فوق وهدة، في هذه الناحية انغرست أطراف قدميّ، وفي الناحية الأخرى يداي، وتشبثتُ بأسناني بالتربة الطينية المتفتتة. هفهفتْ ذيولُ تنورتي على جانبيّ وفي العمق ضج جدول أسماك السلمون المرقط البارد كالثلج. لم يضل سائح طريقه إلى هذا الارتفاع غير المطروق، لم تكن القنطرة قد سُجلت بعد على الخرائط. وهكذا رقدتُ وانتظرت؛ كان عليّ أن انتظر؛ لا يمكن لقنطرة شُيدت ذات مرة أن تتوقف عن أن تكون قنطرة، دون أن تهوي. ذات مرة عند المساء، هل كانت الأمسية الأولى، هل كانت الأمسية الألف، لا أدري، غرقت أفكاري باستمرار في فوضى، ودائمًا دائمًا في هذه الحلقة- قرب المساء في الصيف، صدر ضجيج غامض من الجدول، وسمعت خطى رَجُلٍ قادمةً إليّ، إليّ. تمطي يا قنطرة، انهضي يا جسرًا خاليًا من الأسوار، تمسكي بالثقة، ووازني على نحو غير لافت اضطراب خطاه، لكن إذا ترنح، فلتدركي ذلك، واسقطيه مثل إله جبلي على الأرض. لقد أتى بالسن الحديدي لعصاه وطرق على سطحي، ثم رفع به أذيال تنورتي ووضعها فوقي بهندام، ثم دخل بالسن الحديدي في شعري الكثيف كالدغل وتركه بالداخل طويلًا، غالبًا وهو يجول

ببصره جولة واسعة. لكنه بعد ذلك -للتو حلمت به عبر الجبل والوادي- قفز بكلتا قدميه على منتصف جسمي. لقد اقشعر جسمي بألم وحشي، وأنا جاهلة تمامًا. من كان ذاك؟ طفلًا؟ لاعب جمباز؟ شخصًا أرعن؟ انتحاريًا؟ غاويًا؟ مدمرًا؟ واستدرت لأراه. القنطرة تستدير! لم أكن قد استدرت بعد، وعندها هويت، هويت وكنت ممزقة وقد طعنتني الحصوات المسننة التي كانت دائمًا ما تحدق فيّ بهدوء من المياه المندفعة بسرعة.

جلس صبيان يلعبان النرد على سور المرفأ. وقرأ رجل صحيفة على درجات نصب تذكاري للأبطال الملوحين بسيوفهم. عند البئر ملأت فتاة دلوها. ورقد بائع فاكهة بجوار بضاعته وهو ينظر إلى البحر. في عمق إحدى الحانات وعبر ثقوب الباب والنافذة كان يمكن رؤية رجلين يحتسيان النبيذ. جلس صاحب الحانة في الأمام إلى إحدى الموائد ونعس. تهادى قارب بهدوء، وكأنه محمول فوق الماء في الميناء الصغير. هبط رجل بمعطف أزرق إلى البر ومرر الحبل حول حلقات المرساة. وراء البحار حمل رجلان يرتديان معطفين داكنين بأزرار فضية نقّالة، وعليها وتحت الملاءة الحريرية الكبيرة المنقوشة بالورود والمزودة بأهداب رقد بوضوح إنسان. لم يهتم أحد في المرفأ بالقادمين، حتى عندما وضع الرجلان النقالة على الأرض، كي ينتظرا البحار الذي كان لا يزال مشغولًا بربط الحبال، لم يقترب أحد منهما، ولم يتوجه أحد إليهما بسؤال، ولم يدقق أحد النظر فيهما. كذلك أوقفت قائد المركب لوقت قصير امرأة ظهرت على ظهر المركب بشعر طليق وهي تحمل طفلًا على صدرها. ثم جاء وأشار إلى منزل مُصْفَرّ اللون من طابقين، ارتفع

باستقامة إلى اليسار بالقرب من الماء، رفع الحمالان النقالة وحملاها عبر البوابة الواطئة، المكونة رغم ذلك من أعمدة رفيعة. فتح صبي صغير نافذة ولاحظ للتو اختفاء المجموعة داخل المنزل، وأغلق النافذة ثانية بسرعة. والآن أُغلقت البوابة أيضًا. كانت مطعمةً بعناية بخشب الزان الأسود. وحط سرب حمام، كان يحلق حتى اللحظة حول برج أجراس الكنيسة، في الساحة أمام المنزل. تجمعت الحمامات أمام بوابة المنزل وكأن طعامها محفوظ فيه. طارت إحداها إلى الطابق الأول ونقرت زجاج النافذة. كانت طيورًا رشيقةً فاتحة اللون ومعتنى بها. بعزم شديد ألقت إليهم المرأة من المركب حبوبًا، التقطتها الطيور وطارت نحو المرأة. من إحدى الحواري الضيقة المتحدرة المؤدية إلى الميناء جاء رجل يعتمر قبعة أسطوانية يلفها شريط حداد. نظر حوله باهتمام. كان معنيًا بكل شيء. وبدا على وجهه الامتعاض من منظر النفايات الملقاة في إحدى الزوايا. على درجات النصب التذكاري كانت ثمة قشور فاكهة، أزاحها بعصاه أثناء مروره. دق على الباب ذي الأعمدة وأمسك بقبعته الأسطوانية في يده اليمنى ذات القفاز الأسود. فُتح الباب في الحال وكون نحو خمسين من الصبية الصغار تشريفة في الممر الطويل وانحنوا. جاء قائد المركب، هابطًا الدرج، وحيا السيد وقاده إلى أعلى، في الطابق الأول تجول معه في الفناء المحاط بشرفات رقيقة بسيطة البناء، ودخل كلاهما إلى قاعة كبيرة وباردة في الجانب الخلفي من المنزل، حيث لم يوجد أي منزل في مقابلها، بل مجرد جدار صخري ذي لون رمادي داكن، هذا فيما تقاطر الصبية بعدهما إلى داخل القاعة متخذين مسافة مناسبة. كان الحمالان مشغولَيْن بوضع وإشعال بعض الشموع الطويلة عند رأس

النقالة، لكن الشموع لم تضئ المكان، بل هشت فقط بعض الظلال التي كانت ساكنة من قبل وجعلتها تهتز على الجدران. أُزيحت الملاءة عن النقالة. ورقد رجل يشبه الصيادين، بشعر رأس ولحية متشابكين في فوضى همجية، وببشرة اكتسبت لونًا بنيًا. لقد رقد من دون حراك، وعلى ما يبدو من دون تنفس بعينين مغلقتين، مع ذلك أوحى الجو المحيط وحده بأنه ربما كان ميتًا.

اقترب السيد من النقالة ووضع يده على جبين الراقد، ثم ركع وصلى. وأشار قائد المركب للحماليْن بأن يغادرا الحجرة، فخرجا، وأخرجا الصبية الذين تجمعوا في الخارج، ثم أغلقا الباب. لكن هذا السكون بدا للسيد غير كافٍ، ونظر إلى قائد المركب الذي فهم وخرج من باب جانبي إلى غرفة مجاورة. وعلى الفور فتح الرجل الراقد على النقالة عينيه وأدار وجهه للسيد وهو يبتسم بألم وقال: «من أنت؟»- نهض السيد من وضع الركوع وأجاب من دون اندهاش: «عمدة ريفا»، أومأ الرجل وأشار بذراع ممدودة بوهن إلى مقعد، وقال بعد أن لبى العمدة دعوته للجلوس: «كنت أعرف يا سيدي العمدة، لكني للوهلة الأولى أنسى كل شيء. كل شيء يدور لدي في حلقة ومن الأفضل أن أسأل، حتى إن كنت أعرف كل شيء. أنت أيضًا تعرف على الأرجح أنني الصياد غراكوس». «بالتأكيد»، قال العمدة «لقد أُبلغت ليلًا بقدومك. كنا قد نمنا منذ فترة. ثم نادتني زوجتي: سالفاتوره -هذا هو اسمي- أنظر إلى الحمامة على النافذة! وكانت بالفعل ثمة حمامة، لكنها كبيرة بحجم ديك. طارت إلى أذني وقالت؟ «غدًا يأتي الصياد غراكوس. استقبله باسم المدينة». أومأ الصياد، ومرر طرف لسانه بين شفتيه: «أجل لقد سبقني الحمام، ولكن هل تعتقد يا سيدي العمدة إنه ينبغي عليّ البقاء

في ريفا؟» «لا أستطيع أن أقرر ذلك بعد»، أجاب العمدة. «إنك ميت». «أجل»، قال الصياد، «كما ترى. منذ سنوات طوال، لا بد أن ذلك كان منذ سنوات طويلة جدًا، عندما هويت في الغابة السوداء- إنها في ألمانيا- من فوق جرف صخري، أثناء مطاردتي لظبية. ومنذ ذاك الوقت وأنا ميت». «لكنك تحيا أيضًا»، قال العمدة. «لحد ما»، قال الصياد، «لحد ما أعيش أيضًا. لقد أخطأ قارب موتي طريقه. لفة خاطئة لدفة القيادة، في لحظة عدم انتباه لقائد المركب الذي انشغل عن الدفة بموطني الرائع، لا أعرف ما الذي حدث، أعرف فقط أنني بقيت في الأرض وظل مركبي منذ ذلك الحين يطوف بحارها، وهكذا أسافر، أنا الذي أراد فقط أن يعيش في الجبال، بعد موتي عبر كل بلاد الأرض». «وليس لك نصيب في الآخرة؟»، سأل العمدة بجبين متغضن. «أنا دائمًا»، أجاب الصياد، «على هذا الدرج المؤدي إلى هناك، على هذا الدرج الكبير الواسع أتجول، تارة صاعدًا وتارة هابطًا، إلى اليمين مرة وإلى اليسار مرة أخرى، في حركة دائبة. وإذا ما قمت بأكبر قفزة وأضاء لي الباب في أعلى الدرج، أجدني استيقظ في قاربي القديم القابع مهجورًا في إحدى البحار الأرضية. يحيطني الخطأ الأساسي الذي تسبب في موتي الأول في كابينتي بابتسامة ماكرة. تدق يوليا، زوجة قائد المركب على باب الكابينة وتجلب لي وأنا راقد على نقالتي مشروب الصباح الخاص بالبلد الذي وصلنا لسواحله». «قدر سيء»، قال العمدة وقد رفع يده معترضًا. «وليس لك أي ذنب فيما وقع؟»، «لا ذنب لي»، قال الصياد، «كنت صيادًا، فهل يعد هذا ذنبًا؟ كنت متمركزًا كصياد في الغابة السوداء، حيث كان لا يزال ثمة ذئاب هناك. كنت أتربص وأطلق النار وأصيب، وأنزع الفراء، هل هذا

ذنب؟ كان عملي يُبارك. كان ينعتونني بصياد الغابة السوداء الكبير. هل هذا ذنب؟». «لست مخولًا للبت في ذلك»، قال العمدة «ومع ذلك لا يبدو لي أن ثمة ذنب في ذلك. لكن من يتحمل الذنب؟». «البحار»، قال الصياد.

كل إنسان يحمل حجرة في داخله. بل ويمكن للمرء التحقق من صحة هذه الحقيقة عبر السمع. إذا ما سار بسرعة وأنصت، في الليل مثلًا، عندما يصبح كل ما يحيط به ساكنًا، فإنه يسمع على سبيل المثال صلصلة مرآة حائط لم تُثبت جيدًا أو المظلة

«والآن هل تفكر في أن تبقى لدينا في ريفا؟». «أنا لا أفكر»، قال الصياد مبتسمًا، ولكي يحسن أداء المزحة، وضع يده على ركبة العمدة. «أنا هنا. لا أعرف أكثر من ذلك، ولا أستطيع أن أفعل شيئًا زائدًا. مركبي دون دفة، يسير مع الريح التي تهب في أسفل مناطق الموت.»

أنا الصياد غراكوس، موطني هو الغابة السوداء في ألمانيا.

لا أحد سيقرأ ما أكتبه، لن يأتي أحد لمساعدتي. وإذا كانت المهمة هي مساعدتي، فستبقى كل أبواب كل البيوت مغلقة وكل النوافذ، الجميع سيرقدون في أسرتهم وقد سحبوا الأغطية فوق رؤوسهم، وستصبح الأرض كلها نُزل مبيت ليلية. ولهذا الأمر مغزى جيد، لأن لا أحد يعرف عني شيئًا، ولو عرف بأمري، لما عرف مقر إقامتي، ولو عرف مقر إقامتي، لما استطاع أن يبقيني هناك، وبذا لن

يكون قادرًا على مساعدتي. فكرة الرغبة في مساعدتي هي مرض، لا بد من مداواته في السرير.

إنني أعرف ذلك ولا أكتب من أجل طلب النجدة. حتى وإن كنت أفكر في ذلك بشدة في لحظات أكون فيها منفلتًا كما هي حالي الآن مثلا. لكن يكفي لطرد تلك الأفكار أن أنظر حولي وأدرك أين أنا الآن، وأين أقطن- كما يجوز لي أن أزعم- منذ قرون. إنني أرقد أثناء كتابتي لهذا على دكة خشبية، وأرتدي- ليس من الممتع النظر إليّ- كفنًا متسخًا، شعر الرأس واللحية أسود يتخلله الشيب وقد تشابك في فوضى ببعضه بعضا، وقد غُطيت ساقاي بملاءة حريمي كبيرة من الحرير منقوشة بالورود وذات أهداب طويلة. عند رأسي توجد شمعة كنسية تضيء لي. وعلى الحائط المواجه لي توجد لوحة صغيرة، من الواضح أنها لأحد رجال البوشمان يصوب برمحه في اتجاهي، ويغطي نفسه بقدر الإمكان بدرع ذي ألوان رائعة. يجد المرء في السفن مثل هذه اللوحات الغبية، لكن هذه هي أغباهم. وبخلاف ذلك فإن قفصي الخشبي فارغ تمامًا. من كوة الحائط الجانبي يأتي هواء الليل الجنوبي الدافئ وأسمع صوت الماء وهو يضرب القارب القديم.

إنني أرقد هنا منذ ذاك الوقت، عندما كنت- لا أزال بعد الصياد غراكوس الحي- طاردت ظبية في موطني بالغابة السوداء، وهويت. كل شيء سار وفقا للنظام. طاردت وهويت، ونزفت في قاع الأخدود، ومِتُّ، وهذا القارب كان من المفترض أن ينقلني إلى الآخرة. لا زلت أذكر، كم كنت مبتهجًا وأنا أرقد هنا للمرة الأولى على الدكة الخشبية. لم تسمع الجبال مني قط أهازيج كتلك التي سمعتها آنذاك هذه الجدران الصخرية الغارقة في الغسق. أحببت

الحياة ومُت عن طيب خاطر، وقبل أن أصعد على ظهر المركب ألقيت سقط متاعي، بعلبة الذخيرة والحقيبة ومعطف الصيد الذي كنت أفخر بارتدائه، وأدخلت نفسي في الكفن، مثلما ترتدي فتاة ثوب عرسها. رقدت هنا وانتظرت.

ثم حدث

راكب الدلو

استُهلك كل الفحم، الدلاء فارغة، لا معنى للجاروف، المدفأة تتنفس برودةً، والغرفة متخمة بالصقيع، أمام النافذة أشجار متصلبة في الندى المتجمد والسماء درع فضي في وجه كل من يطلب منها العون. يجب أن يكون لدي فحم، فلا يصح أن أتجمد، ورائي المدفأة التي لا ترحم، وأمامي السماء التي لا ترحم أيضًا، وتبعًا لذلك لا بد أن أمضي بينهما بحدة ممتطيًا وفي المنتصف أطلب العون من بائع الفحم. لكنه متبلد إزاء توسلاتي المعتادة، لا بد أن أثبت له بدقة أنه لم تعد لدي ذرة غبار واحدة من الفحم، ولذلك فإنه يعني لي الشمس في عليائها. لا بد أن آتي له مثل الشحاذ الذي يبتغى أن يهلك من فرط الجوع مصدرًا حشرجة الموت عند عتبة الباب، ولذلك تقرر طباخة السادة أن تسقيه تفل القهوة الأخيرة، على هذا النحو يجب أن يكون التاجر غاضبًا عليّ، ولكن تحت إشعاع وصية «لا تقتل»، يلقي لي ملء جاروف في الدلو.

انطلاقتي يجب أن تحدد ذلك، أمتطي الدلو. وكراكب دلو، واليد بأعلى على المقبض، وهو أبسط لجام، ألتف بصعوبة هابطًا الدرج، لكن بأسفل يرتفع الدلو، رائع، رائع، الجِمال التي تبرك على الأرض، لا تنهض منتفضة تحت عصا قائدها بهذا الجَمَال. عبر

الزقاق المتجمد يسير الركب بخبب منتظم، كثيرًا ما أكون على ارتفاع الطابق الأول، ولا أنخفض أبدًا إلى مستوى باب البيت. على ارتفاع غير مألوف أحلق أمام قبو التاجر الذي ينكفئ في قاعه العميق على مائدته الصغيرة ويدون. ومن أجل أن يقلل من الحرارة المفرطة، يترك الباب مفتوحًا.

«يا تاجر الفحم!»، صحت بصوت أجوف لفحته البرودة، مغلفًا بسحب دخان أنفاسي، «دلوي فارغ، أعطني قليلًا من الفحم، دلوي أصبح فارغًا لدرجة أنني أستطيع أن أمتطيه. كن طيبًا. سأدفع حين أستطيع.»

يضع التاجر يده على أذنه. «هل صحيح ما أسمعه؟»، يلتفت ليسأل زوجته التي تحيك فوق مصطبة الفرن، «هل صحيح ما أسمعه؟ زبون.»

«لا أسمع شيئًا»، تقول الزوجة بهدوء- وتزفر فوق إبر الحياكة، مُدفأةً ظهرها بارتياح.

أصيح «أينعم، إنه أنا، زبون قديم، ومخلص، ولكنني معدم حاليًا.»

«يا امرأة»، يقول التاجر، «ثمة شخص ما، ولو لم يكن يتهيأ لي، فلا بد أنه زبون قديم جدًا، يعرف كيف يخاطب قلبي.»

«ماذا دهاك يا رجل؟»، قالت المرأة وضغطت للحظة الشغل اليدوي براحة على صدرها، «إنه لا أحد، الزقاق خاوٍ، لقد زودنا كل زبائننا، يمكننا أن نغلق المحل لأيام ونرتاح.»

«لكنني أجلس هنا فوق الدلو»، أصيح ودموع غير محسوسة من فرط البرودة تغطي عيني، «أرجوكما، انظرا لأعلى، ستكتشفاني،

أتوسل لكما أن تعطياني ملء جاروف، ولو أعطيتماني جاروفين، ستجعلاني أطير من الفرح. لقد زودتم كل الزبائن الآخرين. آه، أسمعت قرقعة في الدلو.»

«أنا قادم»، يقول التاجر ويريد بساقيه القصيرتين أن يصعد درج القبو، لكن المرأة تمسك بذراعه وتقول: «ستبقى، إن لم تتخل عن عنادك، سأخرج أنا. تذكر كحتك العنيفة اليوم في الليل. لكن من أجل شغل، حتى ولو كان متوهمًا، تنسى زوجتك وأولادك وتضحي برئتيك. سأذهب». «إذًا فلتذكري له كل الأنواع التي لدينا في المخزن، وسأنادي عليك لأقول لك الأسعار»، «طيب»، تقول المرأة وتصعد إلى الزقاق وبالطبع تراني في الحال.

ناديتها «أيتها السيدة تاجرة الفحم، تحية مخلصة، أعطيني فقط جاروفًا من الفحم، هنا مباشرة في الدلو، سآخذه بنفسي إلى البيت، ملء جاروف من أردأ الأنواع. سأدفع ثمنه كاملًا طبعًا ولكن ليس حالًا، ليس حالًا». يا لهاتين الكلمتين «ليس حالًا» من رنين كالجرس، تمتزجان على نحو مدوخٍ مع أجراس المساء التي تُسمع من برج الكنيسة القريب.

«ماذا يريد؟»، ينادي التاجر، «لا شيء» ترد المرأة، «لا شيء، لا أرى شيئًا، ولا أسمع شيئًا، فقط لقد دقت الساعة السادسة، وسنغلق. البرودة شنيعة، غالبًا سيكون أمامنا حقًا الكثير من العمل غدًا.»

إنها لا ترى شيئًا ولا تسمع شيئًا، لكنها مع ذلك تفك رباط المريلة وتحاول أن تهشني بالمريلة. للأسف تنجح. فدلوي يتمتع بكل فضائل المطايا، لكنه لا يمتلك قوة المقاومة، خفيف جدًا، مريلة امرأة تطيّر أقدامه عن الأرض.

«يا شريرة»، أصيح ردًا عليها، فيما تلتفت هي نحو المحل، وهي تلوح بيدها في الهواء في حالة ما بين الازدراء والرضا، «يا شريرة. لقد طلبت جاروفًا من النوع الرديء ولم تعطيني شيئًا.»، وبذلك أصعد إلى مناطق جبال الجليد وأضيع للأبد دون رجعة.

إلى المحترم ف.[1]

عميق امتناني على كتاب بيتهوفن. سأبدأ في شوبنهاور اليوم. هل تريد بيدك الأنعم وبنظرتك الأقوى للواقع الحقيقي، وبجذوة نار كيانك الشعري القوية والمنضبطة وبعالمك الواسع على نحو رائع، أن تشيد المزيد من مثل هذه النصب التذكارية، وذلك لفرحتي التي يعجز الكلام عن وصفها.

خيمنا في الواحة. نام رفاق الرحلة. مر بي عربي طويل وأبيض، لقد أطعم الجمال وذهب إلى مكان النوم. استلقيت بظهري على النجيل، وأردت النوم، ولم أستطع، العويل الباكي الآتي من بعيد لإحدى بنات آوى، اعتدلت جالسًا مرة أخرى. وما كان بعيدًا جدًا، أصبح فجأة قريبًا. قطيع من بنات آوى أحاط بي، بعيون تلمع وتخفت بلون ذهبي مُطفأ، أجساد رشيقة تتحرك بتلقائية وسرعة وكأنها تحت سطوة سوط. جاء واحد منها من الخلف وحشر نفسه تحت ذراعي ملتصقًا بي وكأنه يحتاج لدفئي، ثم وقف أمامي وتحدث وعينه

---

(١) المقصود الكاتب والمترجم الألماني باول فيغلر Paul Wiegler (١٨٧٨-١٩٤٩)، وقد حرر رسائل ومحادثات وذكريات كلًا من بيتهوفن وشوبنهاور. (المترجم)

في عيني تقريبًا: «أنا أكبر بنات آوى على الإطلاق. ويسعدني أنه ما زال بإمكاني الترحيب بك هنا، لقد كدت أفقد الأمل، لأننا انتظرناك أبد الدهر، لقد انتظرت أمي وأم أمي، وكل أمهات الأمهات وصولا إلى أم كل بنات آوى. صدقني!». «أتعجبُ لذلك»، قلتها ونسيت أن أشعل كومة الحطب، التي كانت موضوعة من أجل أن أبعد بدخانها بنات آوى. «أتعجب للغاية من سماع ذلك. أنا آت هنا بالصدفة من أقاصي الشمال وبصدد القيام برحلة قصيرة. ما الذي تبغينه إذًا يا بنات آوى؟»، وكأنها تشجعت ربما من حديثي الودود للغاية، فضيقت الدائرة المحيطة بي أكثر وتنفست كلها مصدرة فحيحًا. «نحن نعرف» قال أكبرها سنًا، «أنك قادم من الشمال، وهذا ما نبني عليه آمالنا. فهناك العقل الذي لا وجود له هنا بين العرب. من هذه الغطرسة الباردة، كما تعرف، لا يمكن أن تنتزع ذرة من عقل. إنهم يقتلون حيوانات ليأكلوها ويحتقرون الجيف.»، «لا تتحدث بصوت عالٍ»، قلت، «ثمة عرب ينامون بالقرب من هنا». «إنك حقًا غريب»، قال ابن آوى، «وإلا لعرفت أنه لم يحدث قط في تاريخ الدنيا أن خشي ابن آوى عربيًا. أينبغي أن نخشاهم؟ أليس بؤسًا كافيًا أننا منبوذون وسط شعب كهذا». «ربما، ربما»، قلت أنا «أنا لا أطلق حكمًا على أمور تبعد كثيرًا عن اهتمامي، لا بد أنه نزاع قديم جدًا، وهو على الأغلب في الدم، وربما لن ينتهي إذًا إلا بالدم». «إنك ذكي جدًا»، قال ابن آوى، وتنفست كل بنات آوى بسرعة أكبر وبرئات متحفزة، رغم أنها وقفت ساكنة، وانبعثت من أفواهها المفتوحة رائحة مُرة لم يكن تحملها أحيانًا ممكنًا إلا حينما يكز المرء على أسنانه. «إنك ذكي جدًا، ما تقوله يطابق تعاليمنا القديمة. إذًا سنأخذ دماءهم وبهذا ينتهي النزاع»، «ها»، قلت بانفعال أكثر مما

أريد، «سيدافعون عن أنفسهم، سيصفونكم بالبنادق قطيعًا قطيعًا». رد قائلًا «إنك تسيء فهمنا على طريقة البشر التي لم تتغير إذًا حتى في الشمال. إننا لن نقتلهم بالتأكيد. فمياه النيل كلها ما كانت لتطهرنا. إننا نفر حتى من مجرد مرآى أجسادهم الحية، إلى الهواء النقي، إلى الصحراء التي هي لذلك موطننا». ونكست كل بنات آوى المحيطة بي، والتي انضمت إليها في الأثناء أعداد أكبر قادمة من بعيد، رؤوسها بين الساقين الأماميتين ونظفت أقدامها، وكأنها تريد أن تخفي نفورا فظيعًا جدًا من أنني كنت أتمنى الإفلات من دائرتهم بقفزة عالية. «ماذا تنوون فعله إذًا؟»، سألت وأردت النهوض، لكنني لم أستطع، عض حيوانين صغيرين جاكتي وقميصي من الخلف، وكان عليّ أن أبقى جالسًا. «إنهما يمسكان بذيل ملابسك»، قال ابن آوى العجوز، «هذا دليل على التكريم». «ينبغي عليهما أن يتركاني»، صحت ملتفتًا تارة للعجوز وتارة أخرى للصغيرين. قال العجوز، «سيفعلان ذلك طبعًا. إذا ما طلبت ذلك، لقد عضا وفقًا للعرف بقوة شديدة ولا بد أولا أن يتركا الأسنان تنفك عن بعضها ببطء. في أثناء ذلك استمع لطلبنا». قلت، «سلوككم لم يجعلني مرحبًا جدًا بالإصغاء لكم.». «لا تجازينا على عدم حصافتنا» قال العجوز واستعان الآن وللمرة الأولى بالنبرة الشجية في صوته الطبيعي، «إننا حيوانات مسكينة وليس لدينا في كل ما نريد أن نفعله سوى الأسنان، في الطيب والرديء، لا يتبقى لنا سوى الأسنان». «ماذا تريد إذًا؟»، قلت وقد هدأتُ قليلًا فقط. «أيها السيد»، صاح ثم عوت كل بنات آوى وبدا لي عواءها في أقصى الأقاصي وكأنه لحن. «أيها السيد، عليك أن تنهي هذا الصراع الذي يقسم العالم. من مظهرك ينطبق عليك وصف قدمائنا للشخص الذي سيفعل ذلك. لا بد أن نسلم من

العرب، هواء صالح للتنفس، لا بد أن يتطهر المنظر منهم على امتداد الأفق، لا ثغاء باكيًا للخروف الذي يطعنه العربي، فلتهلك كل الحيوانات بهدوء، ولنشرب دماءها عن آخرها دون إزعاج، ولتُنظف حتى العظم. النقاء ولا شيء سوى النقاء». ثم بكت جميعها وانتحبت. دون تفكير خبطني الحيوانان خلفي برأسيهما- «كيف لك أن تتحمل ذلك في هذا العالم، أيها القلب النبيل والأحشاء الحلوة. الدنس هو أبيضهم، الدنس هو أسودهم، رعب هي لحيتهم، لا بد للمرء أن يبصق عند النظر لزوايا عيونهم، وإذا ما رفعوا أذرعهم، ينفتح الجحيم في الإبط. لذلك أيها السيد، لذلك أيها السيد الغالي، بالاستعانة بيدك القادرة على كل شيء، بالاستعانة بيدك القادرة على كل شيء قص رقابهم بهذا المقص.» واتباعًا لهزة من رأسه جاء واحد من بنات آوى حاملًا مقصًا صغيرًا علاه صدأ قديم في أحد نابيه.

«إذًا أخيرا المقص، وبهذا تكون النهاية.»، صاح قائد قافلتنا العربي الذي جاء متسللًا إلينا في مواجهة الريح والآن يلوح بكرباج هائل.

حدث كل شيء بسرعة، لكن الحيوانات الكثيرة بقيت مع ذلك على مسافة ما متكومة متلاصقة، كانت متلاصقة ومتصلبة جدًا لدرجة أن منظرها بدا مثل حاجز رفيع يتطاير فوقه وهج مستنقعي. «إذًا هل رأيت وسمعت أيها السيد هذه المسرحية؟»، قال العربي وضحك بفرحة تتجاوز ما يسمح به تحفظ قبيلته. سألت «أنت تعرف إذًا ما تريده هذه الحيوانات؟». قال، «طبعًا سيدي، هذا شيء معروف، طالما هناك عرب سيتجول هذا المقص عبر الصحراء وسيتجول معنا حتى نهاية الأيام. وهو يُقدم لكل أوروبي من أجل العمل الكبير.

يبدو لها أن كل أوروبي هو بالذات الشخص المختار. أمل عبثي لدى هذه الحيوانات، إنها مجنونة، مجنونة جنونًا حقيقيًا. إننا نحبها لذلك، إنها كلابنا، وهي أجمل من كلابكم. أنظر، لقد نفق جمل في الليل وأمرت بإحضاره إلى هنا.»

جاء أربعة حمالين وألقوا بالجثة الثقيلة أمامنا. وبمجرد أن رقدت الجثة على الأرض رفعت بنات آوى عقائرها. وكأن كل واحد منها كان مجذوبًا بالحبال على نحو لا يقاوم، أتت مشلولة تمسح أجسادها الأرض. لقد نسيت العرب، ونسيت الكراهية. لقد سحرها الحضور الماحي لكل شيء للجثة التي تنبعث منها الأبخرة بقوة. وبالفعل علق واحد منها بالرقبة ووجد الشريان من العضة الأولى. مثل مضخة صغيرة محمومة، تسعى بأي حال ومن دون أمل أيضًا في إطفاء حريق قاهر، اهتزت وارتعشت كل عضلة في جسمه في مكانها. وهكذا تكومت الحيوانات كلها مثل جبل فوق الجثة وانخرطت في عمل مماثل.

عندها ضرب القائد بالكرباج اللاسع بقوة فوقها بالطول والعرض. رفعت الحيوانات رؤوسها، شبه منتشية وشبه مغشي عليها، ورأت العرب واقفين أمامها، والآن أحست بلطمة الكرباج على خطومها، انسحبت وتقهقرت لمسافة. لكن دم الجمل صنع بركًا هنا، وتصاعد منه البخار، كان جسم الجمل ممزقًا بشكل كبير في مواضع مختلفة. لم تستطع بنات آوى المقاومة وعادت ثانية ومرة أخرى رفع القائد الكرباج، فأمسكتُ بذراعه، قال، «أنت على حق يا سيدي، فلنتركها أيضًا تمارس وظيفتها، حان وقت الرحيل. ها أنت قد رأيتها. حيوانات رائعة، أليس كذلك؟ وكم تكرهنا!»

هرم أنا، بجسد ممتلئ ضخم، رقدتُ، وأنا أعاني من متاعب قلبية خفيفة، بعد الغذاء على الأريكة واضعًا إحدى قدمي على الأرض، وقرأت عملًا تاريخيًا. جاءت الخادمة وأبلغتني، وقد وضعت إصبعين على شفتيها المضمومتين، أن ضيفًا قد حضر. «من؟»، سألتها منزعجًا من أنه سينبغي عليّ استقبال ضيف في وقت أتوقع فيه تناول قهوة ما بعد الظهيرة. «صيني»، قالت الخادمة وكتمت بتشنج وهي تستدير ضحكة لا ينبغي للضيف الواقف أمام الباب أن يسمعها. «صيني؟ يزورني أنا؟ هل يرتدي ملابس صينية؟»، أومأت الخادمة، وهي لا تزال تقاوم رغبتها في الضحك. «اذكري له اسمي وتأكدي إن كان يريد حقا زيارتي. إذا كان الجيران لا يعرفونني، فسأكون بالأحرى غير معروف في الصين.» انسلت الخادمة إليّ وهمست: «لديه فقط بطاقة زيارة ويطلب السماح له بالدخول. إنه لا يتحدث الألمانية. يتكلم لغة غير مفهومة، وقد كنت خائفة، عندما أخذت البطاقة منه.»، «فليدخل!،» هتفت، وألقيت بانفعال كثيرًا ما يصيبني بسبب متاعبي القلبية الكتاب على الأرض ولعنت قلة حذق الخادمة. نهضتُ فاردًا قامتي الضخمة التي لا محالة أثير بها رعب أي زائر لي في هذا الغرفة الواطئة، وذهبت إلى الباب. وبالفعل ما كاد الصيني أن يراني، إلا واتجه في الحال ثانية للخروج من البيت. بمجرد دخولي إلى الردهة، جذبت الرجل بحذر من حزامه الحريري إليّ. من الواضح أنه كان رجلًا ذا علم، قصيرًا وضعيفًا، ويرتدي نظارات سميكة وله لحية تيس خفيفة يابسة بشعر أسود غزاه الشيب. رُجيْل ودود يطأطئ رأسه ويبتسم بعينين شبه مغمضتين.

ذات صباح استدعى المحامي د. بوسيفالوس مدبرة منزله إلى سريره وقال لها: «اليوم تبدأ المداولة الكبرى في قضية أخي بوسيفالوس ضد شركة ترولهيتا. إنني أتولى الدعوى ولأن المرافعات ستستغرق بضعة أيام على الأقل، وذلك دون انقطاع فعلي، لذلك فلن آتي إلى البيت إطلاقًا. وإلى أن تنتهي المرافعات أو يكون ثمة أمل في نهايتها، سأهاتفك. لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك، ولا أستطيع الإجابة على أقل سؤال، لأنه لا بد لي أن أحرص على الحفاظ على كامل قوة صوتي. لذلك أحضري لي للإفطار بيضتين نيئتين وشايًا مع عسل»، وصمت وهو يستند بظهره ببطء إلى الوسادة وقد وضع يديه على عينيه.

تأثرت مدبرة المنزل الثرثارة، التي تموت رغم ذلك خوفًا من سيدها، تأثرًا شديدًا، فقد باغتتها مثل هذه التعليمات الطارئة. حتى مساء أمس تحدث السيد معها، لكنه لم يعط أي تلميحات بشأن ما سيحدث. لا يمكن أن تكون المرافعات قد بدأت ليلًا. وهل هناك مرافعات تستمر طوال النهار من دون هوادة؟ ولماذا ذكر السيد أسماء أطراف القضية وهو ما لم يفعله أمامها من قبل قط؟ وأي قضية مريعة يمكن أن تكون لأخي السيد، تاجر الخضر الصغير أدولف بوسيفالوس، الذي لم تكن للسيد علاقة طيبة به منذ فترة طويلة؟ وكيف يتسق ذلك مع المجهودات الخارقة للغاية التي كانت في انتظار السيد، حتى أنه رقد الآن مرهقًا جدًا في سريره، وعند بزوغ ضوء الضحى بوضوح لا لبس فيه، غطى وجهه الناحل نوعًا ما بيديه؟ وعليها أن تحضر شايًا وبيضًا فقط وليس كما في السابق قليلًا من النبيذ وجمبون لإنعاش الروح؟ بهذه الأفكار عادت مدبرة المنزل إلى المطبخ وجلست لبرهة قصيرة في مكانها المفضل، إلى الزهور

وعصافير الكناري، ونظرت إلى الناحية المقابلة من الفناء حيث يلعب طفلان شبه عاريان لعبة المصارعة خلف قضبان نافذة، ثم استدارت متنهدة وصبت الشاي وأحضرت بيضتين، من حجرة المؤن، ورتبت كل شيء على الصينية، ولم تستطع أن تفوت أخذ زجاجة النبيذ معها أيضًا كإغراء مفيد، وذهبت بكل شيء إلى غرفة النوم. كانت خالية، كيف ذلك، لم يذهب السيد بعد، أليس كذلك. لا يمكن أن يكون قد ارتدى ملابسه خلال دقيقة. لكن غيارات السيد الداخلية وملابسه لم تعد موجودة أيضًا. ماذا ينوي السيد فعله بحق السماء؟ إلى الردهة. اختفى المعطف والقبعة والعصا أيضًا. إلى النافذة! يا إلهي، ها هو السيد يخرج من باب البناية والقبعة قد غاصت في قفاه والمعطف مفتوح وقد ضغط حافظة الملفات بجانبه وعلق العصا في جيب معطفه. رسائل من باريس

لدينا محام جديد، د. بوسيفالوس. يذكر مظهره قليلًا بالزمن الذي كان لا يزال فيه حصان الإسكندر المقدوني في المعركة. وبالتأكيد يلاحظ المطلع على الأوضاع أمورًا عديدةً. لكنني رأيت بنفسي مؤخرًا على السلم الخارجي للمحكمة أحد الكتبة الأغبياء، وهو يتأمل باندهاش وبنظرة خبيرة لزائر دائم لسباقات الخيول، المحامي عند صعوده للسلم درجةً درجةً رافعًا فخذه عاليًا بالخطوة المصلصلة على الرخام. عمومًا وافق المكتب على ضم بوسيفالوس إليه. وقيل بتبصر مدهش إن بوسيفالوس في وضع صعب في ظل النظام الاجتماعي الحالي، وإنه يستحق، بأي حال، وأيضًا لأهميته التاريخية العالمية، معاملة لطيفة. اليوم -وهذا أمر لا يمكن لأحد إنكاره- لا وجود للإسكندر الأكبر. صحيح أن البعض يستطيع

القتل، كذلك لا تنقص مهارة رمي الرمح عبر طاولة المأدبة وإصابة الصديق، وكثيرون ضاقت عليهم مقدونيا للغاية، حتى أنهم صاروا يلعنون فيليب الأب، لكن لا أحد، لا أحد يستطيع أن يقود إلى الهند. حتى في الماضي كان من غير الممكن الوصول لبوابات الهند، لكن الاتجاه المؤدي إليها كان قد أُشير له بسن سيف الملك. اليوم نُقلت البوابات إلى مكان آخر وصارت أبعد وأعلى، لا أحد يشير للاتجاه، كثيرون يمسكون بسيوف، لكن من أجل أن يلوحوا بها فحسب، والنظرة التي ترغب في تتبعهم، تضطرب. لذلك فإن أفضل شيء حقًا هو أن يُغرق المرء نفسه في كتب القانون كما فعل بوسيفالوس. حرًا وغير مضغوط الجانبين من خاصرتي الراكب، يقرأ ويقلب في ظل مصباح هادئ -بعيدًا عن صخب معركة الإسكندر- صفحات من كتبنا القديمة.

بالأمس جاءت اونماخت إليّ. إنها تسكن في البيت المجاور، كثيرًا ما رأيتها هناك ليلًا وهي تختفي محنية داخل البوابة الواطئة. امرأة طويلة بفستان طويل منساب وقبعة عريضة مزينة بريش. هُرعت إليّ عبر الباب محدثةً حفيفًا، وكأنها طبيب يخشى أن يكون قد أتى متأخرًا للمريض المحتضر. «أنطون» صاحت بصوت أجوف لكنه مفتون بنفسه. «لقد أتيت. أنا هنا» وتهاوت في المقعد الذي أشرت إليها بالجلوس عليه. «إنك تسكن في طابق عال. تسكن في طابق عال»، قالت وهي تنهنه. أومأتُ وأنا غارق في الكرسي ذي المسند. تقافزت أمام عيني درجات السلم التي تقود لغرفتي واحدة تلو الأخرى في موجات صغيرة لا تكل بحيث لا يمكن حصرها. «لم هذه البرودة الشديدة؟» سألت، وخلعت قفازا المبارزة الطويلين القديمين، وألقت

بهما على المائدة ونظرت إليّ برأس مائل غامزة بعينها. شعرت وكأنني عصفور، أتدرب على قفزاتي على السلم وهي تنكش ريشي الرمادي الناعم المنفوش. «آسفة من صميم قلبي لأنك تشتاق إليّ. كثيرًا ما نظرت بحزن حقيقي في وجهك العليل، حين كنت تقف في الفناء وترفع بصرك إلى نافذتي. حسنًا، ليس لدي شيء ضدك، وإن كنت لم تستحوذ على قلبي بعد فبإمكانك الآن أن تغزوه».

إلى أي درجة من الغفلة يمكن للبشر أن يصلوا، وما مدى عمق قناعتهم بأنهم ضلوا الطريق الصحيح إلى الأبد.

خطأ. لم يكن الباب الذي فتحته في الممر الطويل بأعلى هو بابي. «خطأ»، قلت وأردت الخروج ثانية، عندها رأيت ساكن الغرفة. رجل نحيف لا لحية له بفم مغلق بإحكام وقد جلس إلى مائدة لا يوجد عليها سوى مصباح نفطي، .

في بيتنا، هذا المنزل الشنيع في الضاحية، هذا المبنى السكني الذي التحم بأطلال القرون الوسطى التي لا تفنى، انتشرت في صباح هذا اليوم الضبابي القارص البرودة الدعوة التالية.

إلى كل رفاقي من سكان البيت

لدي خمس بنادق لعبة. وهي معلقة في صندوقي، على كل مشجب واحدة. الأولى لي، ومن يرغب في الحصول على واحدة من الأخريات، أن يبلغني. وإذا ما أعلن أكثر من أربعة أشخاص عن رغبتهم، يجب على الأشخاص الزائدين عن العدد أن يحضروا بنادقهم معهم، ويضعوها في صندوقي. لأن الوحدة ضرورية، من

دون وحدة لن نتقدم. بالمناسبة لدي فقط بنادق غير صالحة لأي استخدام آخر. آليتها معطلة، السدادة مقطوعة، الزناد فقط لا يزال يقرقع. لن يكون من الصعب إذًا، توفير بنادق أخرى كهذه عند الضرورة. لكن بالأساس يناسبني أيضًا في الفترة الأولى أن يكون ثمة أناس من دون أسلحة. نحن الذين لدينا أسلحة سنقوم في اللحظة الحاسمة بأخذ غير المسلحين في الوسط. وهي طريقة في القتال ثبتت نجاعتها لدى المزارعين الأمريكيين في مواجهة الهنود الحمر، فلماذا لا يُكتب لها النجاح هنا، حيث الأوضاع مشابهة. بل وربما يمكن على المدى البعيد التخلي عن الأسلحة، وحتى البنادق الخمسة ليست ضرورية، فقط لكونها موجودة، ينبغي استخدامها. وإذا لم يرغب الأربعة الآخرون في استخدامها، فليتركوها. وعندئذ سأحمل أنا واحدة بوصفي قائدًا. لكن ينبغي ألا يكون لنا قائد، وهكذا سأحطم بندقيتي أو أضعها جانبًا.

كانت تلك هي الدعوة الأولى. في بيتنا لا أحد لديه الوقت والرغبة في قراءة دعوات أو حتى التفكير في ذلك. سرعان ما عامت الوريقات في تيار المياه القذرة الذي ينطلق من السطح وتغذيه كل الممرات ليشطف الدرج ويتصارع فوقها مع التيار المضاد القادم الذي يرتفع من أسفل. لكن بعد أسبوع جاءت دعوة ثانية.

رفاقي سكان المبنى!

حتى الآن لم أتلق أي رد. كنت طوال الوقت الذي لم يتحتم عليّ فيه كسب معاشي موجودًا باستمرار في البيت، وفي فترة غيابي التي كان باب غرفتي خلالها مفتوحًا دائمًا، كانت على مائدتي ورقة يمكن لأي شخص أن يسجل اسمه فيها ولكن أحدًا لم يفعل ذلك.

أحيانًا أظن أنه يمكنني أن أكفر عن كل خطاياي السابقة والقادمة بآلام عظامي عند عودتي إلى البيت ليلًا أو حتى صباحًا من نوبة ليلية في مصنع الآلات. أنا قوي بما فيه الكفاية لإنجاز هذا العمل، أنا أعلم ذلك جيدًا منذ فترة طويلة، لكن هذا لا يغير من الأمر شيئًا.

الإدراك الوحيد، في الانتقال

في بيتنا، هذا المنزل الشنيع في الضاحية، هذا المبنى السكني الذي التحم بأطلال القرون الوسطى يسكن لدى أسرة من الطبقة العاملة كاتب حكومي، في ذات الممر الذي أسكنه. صحيح أنهم ينعتونه بالموظف، لكنه لا يعدو أن يكون كاتبًا صغيرًا، يبيت الليالي في وسط عش الزوجين الغريبين وأطفالهما الستة على فرشة من القش. وطالما أنه إذًا كاتب صغير، فلماذا أهتم. حتى في هذا البيت الذي يتجمع فيه كل البؤس الذي تفور به المدينة، يوجد بالتأكيد أكثر مئة شخص.

في الممر ذاته الذي أسكنه، يسكن رفّاء. رغم كل الحرص الذي أوليه، أستهلك الملابس بسرعة، ومؤخرا اضطررت للذهاب بجاكيت إلى الرفّاء. كانت أمسية صيفية دافئة جميلة. وكانت لدى الرفّاء هو وزوجته وأطفاله الستة غرفة واحدة هي في الوقت ذاته مطبخ. وفوق ذلك لديه مستأجر، كاتب لدى مصلحة الضرائب. يتجاوز إشغال هذه الحجرة حد المعتاد، الذي يعتبر في بنايتنا مزعجًا بما يكفي. على الأقل، يُترك كل امرئ وشأنه، من المؤكد أن للخياط أسباب قاطعة لتقتيره، ولا يخطر ببال أي شخص غريب أن

يناقش هذه الأسباب. لكن عندما يأتي المرء كزبون إلى الحجرة، يتبين له لا إراديًا،

١٧/١١/١٩

قرأت اليوم هيرمان ودوروتيا، وبعضًا من ذكريات ريشتر، رأيت صورًا له وأخيرًا قرأت مشهدًا من مسرحية غريزيلدا لهاوبتمان. أنا إنسان آخر في لحظة الساعة القادمة. صحيح أن كل الآراء ضبابية كما هي الحال دائمًا، لكنها صور ضبابية متغيرة. في الحذاء الطويل والثقيل الذي ارتديته اليوم للمرة الأولى (كان في الأصل مخصصًا للخدمة العسكرية) يقف إنسان آخر.

أسكن عند كرومهولتس، واقتسم الغرفة مع كاتب من مصلحة الضرائب. إلى ذلك تنام في الغرفة في سرير مشترك اثنتان من بنات كرومهولتس، واحدة في السادسة والأخرى في السابعة. منذ اليوم الأول لانتقال الكاتب إلى هنا- أنا أسكن لدى كرومهولتس منذ سنوات- كان لدي في البداية اشتباه غير محدد تمامًا بشأنه. رجل طوله أقل من المتوسط، ضعيف، ويعاني غالبًا من أمراض الرئة، بملابس رمادية مهلهلة، ووجه متغضن يصعب تحديد سنه، وشعر طويل أشقر يميل للرمادي وممشط فوق الأذنين، ونظارات منزلقة على الأنف لحد بعيد، ولحية تيس قصيرة غزاها الشيب أيضًا.

جلست في كوخي الخشبي في الشرفة المغطاة. وعوضًا عن حائط جانبي فُردت ناموسية ذات شبكة دقيقة على نحو غير مألوف، كنت قد اشتريتها من زعيم القبيلة الذي يمر خط قطارنا عبر أراضيه.

شبكة من القنب، قاسية وناعمة في الوقت ذاته، لن يكون بالإمكان إنتاج مثلها في أوروبا إطلاقًا. كنت فخورًا بها وكثيرًا ما حُسدت عليها. من دون هذه الشبكة لم يكن ممكنًا أن أجلس في هدوء في الشرفة مساءً، وأشعل الضوء كما أفعل الآن وأطالع صحيفة أوروبية قديمة وأقوم أثناء ذلك بتدخين الغليون بكثافة.

لديّ- ومن ذا الذي لا يزال يستطيع أن يحكي بحرية عن قدراته - رسغ صياد سمك عجوز سعيد لا يكل.

أجلس مثلًا في بيتي، قبل أن أذهب للصيد وألف يدي اليمنى بحدة مرة في هذا الاتجاه ومرة أخرى في الاتجاه الآخر وأنا أنظر إليها، وهذا كافٍ لكي أتنبأ في كثير من الأحيان بمنظر وإحساس نتيجة الصيد القادم حتى أدق تفاصيله. أرى المياه في مكان صيدي في تيارها الخاص في ساعة بعينها، يُظهر لي مقطع عرضي من النهر نفسه، ويبرز بوضوح أمام هذا المقطع عدد ونوع الأسماك التي قد تصل إلى عشرة، أو عشرين أو مئة في المواضع المختلفة. والآن أعرف كيف أحرك الصنارة، بعض الأسماك يخترق برأسه هذه المساحة وأترك الصنارة تتأرجح أمامها، وسرعان ما تعلق بها، قصر هذه اللحظة القدرية يبهجني وأنا جالس على المائدة المنزلية، تتقدم أسماك أخرى حتى بطنها في هذه المساحة، ويكون الوقت قد حان لأن أعاجل بعضها، والبعض الآخر يفلت بذيله من المنطقة الخطرة، ويكون قد ضاع مني هذه المرة، هذه المرة فقط، فالصياد الحقيقي لا تفوته أي سمكة.

«الكراسة ت»

ربما كان ينبغي عليّ أن أهتم من قبل بوضع هذا السُلَّم، وأي ارتباطات نشأت هنا، وما الذي كان يتوقعه المرء هنا، وكيف كان من المفترض استيعاب ذلك. إنك لم تسمع قط بهذا السُلَّم، قلت لنفسي معتذرًا، وفي الصحف والكتب ثمة ثرثرة متواصلة عن كل ما هو فقط موجود على نحو ما. لكن ليس ثمة ما يُقرأ عن هذا السلم. هذا جائز، أجبت نفسي، لا بد أنك قد قرأت على نحو غير دقيق. كثيرًا ما شردت، وأهملت قراءة مقاطع، بل واكتفيت بالعناوين، وربما ذُكر السلم هناك وهكذا فات عليك. والآن تحتاج بالذات لما فاتك. وبقيت للحظة واقفًا وفكرت في هذه الحجة. عندها ظننت أنني استطعت أن أتذكر أنه من المحتمل أنني قرأت ذات مرة في أحد كتب الأطفال شيئًا عن سلم شبيه. لم يكن بالكثير، على الأرجح مجرد ذكر ولم يكن هذا لينفعني في شيء.

عندما وقعت الفأرة الصغيرة، التي كانت محبوبة في عالم الفئران حبًا لم ينعم به غيرها، ذات ليلة في المصيدة وأسلمت حياتها بصرخة عالية لأجل مرأى دهن الخنزير، أصيبت كل فئران المنطقة في جحورها بالارتجاف والارتعاش، ونظرت لبعضها بعضًا واحدةً تلو

الأخرى بأعين غامزة لا سيطرة لها عليها، بينما كانت ذيولها تمسح الأرضية باجتهاد عبثي. ثم أتت مترددة، تدفع الواحدة منها الأخرى. جميعها انجذب لمكان الموت. هناك رقدت الفأرة الصغيرة العزيزة، وحديد المصيدة مغروز في عنقها، والأرجل الوردية مضغوطة، والجسد الضعيف الذي كان يمكن جدًا منحه القليل من دهن الخنزير، متصلب. بجواره وقف الوالدان وحدقا في بقايا طفلتهما.

بعد مرات عديدة من التيه وصلت رسالتكم، عنواني هو بوريتش رقم ٧. بداية أشكر لكم الثقة التي عبرت عنها رسالتكم وأسعدتني حقا. إنه شيء مفيد بالتأكيد أو حتى شيء ضروري، وتكفل الأسماء الجيدة في دليلكم ذلك، كما تكفل أيضًا مستقبل كل شيء.

رغم هذا لا بد أن أتحفظ، فأنا لست قادرًا تحديدًا على أن أوضح لنفسي المقصود بروح النمسا العظمى الموحدة، وبدرجة أقل بالأخص أن أتصور نفسي خاضعًا تمامًا لهذه الروح، إنني أفزع من مثل هذا القرار.

الآن لن يترتب على ذلك أي خسارة لجمعيتكم، على العكس. فأنا قطعًا لست مؤهلًا عضويًا، ومعرفتي بالناس محدودة، ونوعًا ما ليس لدي نفوذ واسع. ومشاركتي ستجعلكم إذًا تشعرون سريعًا بالأسف.

إذا ما تحولت القاعة الفنية إلى جمعية بمساهمات الأعضاء وما إلى ذلك، وهو أمر ربما لا يمكن الحيلولة دون حدوثه، فسأنضم للجمعية عن طيب خاطر.

أرجو ألا تستاؤون من رفضي، فهو ضرورة لي.

مع فائق الاحترام

انتهى بناء سور الصين عند أقصى موضع شمالي له. تقدم البناء من الجنوب الشرقي والجنوب الغربي والتأم هنا. اتُبع نظام البناء الجزئي هذا أيضًا على نطاق ضيق داخل جيشي العمال الكبيرين، الجيش الشرقي والجيش الغربي. وقد حدث ذلك هكذا، بحيث تشكلت مجموعة من نحو عشرين عاملًا، كانت تقوم ببناء سور بطول حوالي خمسمئة متر، وتقوم مجموعة مجاورة في المقابل ببناء سور بالطول نفسه. وبعدما يتم الالتئام، لم يكن البناء يُستأنف عندئذ في نهاية الألف متر تلك، بل تُرسل بالأحرى مجموعات العمال مرة أخرى لبناء السور في مناطق مختلفة تمامًا. وبالطبع نشأت بهذه الطريقة فجوات كثيرة كبيرة، لم تُسد إلا بالتدريج البطيء، بل ولم يُسد بعضها إلا بعد الإعلان عن الانتهاء من بناء السور. أجل، ينبغي أن تكون ثمة فجوات، لا تُسد إطلاقًا، ووفقًا للبعض فإن هذه الفجوات أكبر بكثير من الأجزاء المبنية، لكنه زعم ينتمي للكثير من الأساطير التي نشأت حول البناء، والتي يصعب على الإنسان الفرد أن يختبر صحتها على الأقل بعينه وبمقياسه الخاص نظرًا لتوسع البناء. الآن قد يعتقد المرء من البداية، أنه كان سيكون من الأفضل من جميع النواحي لو جرى البناء بشكل مترابط أو على الأقل بشكل مترابط في الجزئين الأساسيين، فالسور قد بُني، كما هو شائع عمومًا ومعروف، من أجل الحماية من الشعوب الشمالية. لكن كيف يمكن لسور أن يحمي وهو غير مترابط. أجل مثل هذا السور لا يعجز عن توفير الحماية فحسب، بل إن عملية البناء نفسها في خطر مستمر، فهذه الأجزاء من السور المتروكة في مناطق قاحلة، يمكن للبدو الرحل أن يحطموها بسهولة مرارًا وتكرارًا، خصوصًا وأن هؤلاء قد

قاموا آنذاك خوفًا من بناء السور، بسرعة لا يمكن إدراكها، مثل الجراد بتغيير أماكن سكناهم، وربما أصبحت لديهم ربما نظرة أشمل على تقدم عملية البناء منا نحن أنفسنا مشيدي السور. مع ذلك لم يكن ممكنًا على الأغلب بناء السور بشكل مغاير لما جرى. ولفهم ذلك لا بد للمرء أن يفكر في التالي: كان من المفترض أن يشكل السور حمايةً لقرون، والبناء بأكبر قدر من العناية، واستخدام حكمة البناء من كل العصور والشعوب المعروفة، والشعور الدائم بالمسؤولية الشخصية للبنائين، كل هذه كانت لذلك شروطًا للعمل لا يمكن الالتفاف عليها. صحيح أنه بالنسبة للأعمال الدنيا كان من الممكن إذًا استخدام عمال مياومة جهلة من عامة الشعب، رجال ونساء وأطفال، أي من يعرض نفسه من أجل المال الجيد، لكن لإدارة أربعة عمال مياومة، كان من الضروري وجود رجل مؤهل على دراية وعلم بمجال البناء، رجل قادر على أن يستشعر من أعماق القلب، عما يدور الأمر هنا. وكلما كانت الإدارة أعلى، كانت المتطلبات بالطبع أكبر. وهؤلاء الرجال كانوا بالفعل متاحين بأعداد كبيرة، وإن لم يكن بهذا القدر الذي يمكن لبناء كهذا أن يتطلبه. لم يكن المرء يتعامل مع البناء باستخفاف. قبل خمسين عامًا من بداية البناء، أُعلن في الصين التي ستحاط كلها بالسور عن جعل فن العمارة، وخصوصًا بناء الأسوار، هو العلم الأهم، وكل ما عداه لا يُعترف به إلا إذا كانت ثمة صلة تربطه بهذا الفن. لا أزال أتذكر جيدًا ونحن أطفال صغار نقف بالكاد على أرجلنا في حديقة معلمنا، أنه كان علينا أن نبني ما يشبه السور من الحصى، وكان المعلم يربط سترته ويجري ليصطدم بالأسوار، وبسبب ضعف بنائنا، كان يوجه لنا مثل هذه الانتقادات التي تجعلنا نهرع مولولين إلى أهالينا في كل

النواحي. حادثة صغيرة، لكنها تعبر عن روح العصر. كنت محظوظًا، لكوني عندما اجتزت في سن العشرين الامتحان الأعلى للمدرسة الدنيا، بدأ بناء السور. أقول محظوظا لأن كثيرين ممن وصلوا في السابق لذروة التعليم المتاح لهم، لم يعرفوا لسنوات ماذا يفعلون بعلمهم، وهاموا على وجوههم من دون نفع، وفي رؤوسهم أعظم خطط البناء، وضاعت منهم أعداد كبيرة. لكن هؤلاء الذين تمكنوا أخيرًا من المشاركة في البناء كقادة للعمال ولو في أدنى الدرجات، كانوا حقًا أهلًا له، رجال تفكروا كثيرًا في البناء ولم يكفوا عن التفكير فيه، رجال كانوا يشعرون مع الحجر الأول الذي غرسوه في التربة أنهم يلتحمون على نحو ما مع المبنى. هؤلاء الرجال كانت تحركهم بالطبع أيضًا إلى جانب الرغبة في إنجاز العمل الأدق، اللهفة على رؤية البناء أخيرا منتصبًا في اكتماله. لم يعرف عمال المياومة هذه اللهفة، فالأجر وحده هو ما يحركهم، وأيضًا القيادات الأعلى، بل وحتى القيادات الوسطى قد رأت ما يكفيها من ارتفاع البناء من جوانب متعددة، ما يجعلها تظل قويةً روحيًا، لكن بالنسبة للقيادات الأدنى، هؤلاء الرجال الذين يقفون روحيًا على مستوى أعلى كثيرًا من مهامهم الصغيرة ظاهريًا، فكان من الضروري العناية بهم على نحو مختلف. لم يكن من الممكن مثلًا أن يُتركوا لأشهر أو لسنوات يضعون حجرًا فوق حجر في منطقة جبلية غير مأهولة على بعد مئات الأميال من مسقط رأسهم؛ فانعدام الأمل لدى مثل هؤلاء المجتهدين، وأيضًا هذا العمل نفسه الذي لا يصل للهدف حتى على مدار حياة طويلة، كان من شأنه أن يبث اليأس في نفوسهم ويجعلهم عديمي القيمة بالنسبة للعمل. لذلك وقع الاختيار على نظام البناء الجزئي، إنجاز خمسمئة متر من السور كان يمكن أن يتم خلال

حوالي خمسة أعوام، بعدها يكون القادة عادة منهكين حد الموت، وقد فقدوا كل ثقة في أنفسهم وفي المبنى وفي العالم، لكنهم كانوا يُرسلون، وهم لا يزالون في قمة الإحساس بالاحتفال بعيد التئام سور الألف متر، بعيدًا بعيدًا، ويرون في طريق رحلتهم أجزاء مكتملة من السور تنتصب هنا وهناك، يمرون بأحياء القادة الأعلى، الذين يمنحونهم الأوسمة، ويسمعون تهليل جيوش العمال الجدد، الذين يأتون من أعماق البلاد، يرون غابات تُقتلع، لتُصنع من خشبها سقالات السور، وجبالًا تحطمها المعاول لتصبح أحجارًا له، ويسمعون في الأماكن المقدسة ترانيم تتوسل الإنجاز الحسن للبناء، وكل هذا كان يخفف من لهفتهم، وتُكسبهم الحياة الهادئة التي يقضونها لبعض الوقت في موطنهم قوة، والتقدير الذي كان يتمتع به كل البنائيين، والتواضع الصادق الذي كانت تُسمع به قصصهم والثقة التي كان المواطن البسيط الهادئ يضعها في إتمام بناء السور ذات يوم، كل هذا كان يشد أوتار الروح، مثل أطفال مفعمين بالأمل للأبد كانوا يودعون موطنهم، وقد أصبحت رغبتهم في استئناف العمل في الصرح الشعبي لا تقهر، وينطلقون من بيوتهم في وقت أبكر من اللازم وترافقهم نصف القرية لمسافات طويلة وفي كل الطرق تحايا ورايات وأعلام، لم يسبق أن رأوا من قبل قط كم هي عظيمة بلدهم وغنية وجميلة وجديرة بالحب، كل ابن بلد هو أخ، يبني المرء سور الحماية من أجله، وهذا الأخ سيظل بكل ما يملك ممتنًا لذلك طوال حياته، وحدة! وحدة! الصدر على الصدر رقصة الشعب، الدم لم يعد محبوسًا في الدورة الدموية المحدودة للجسد، بل يتدفق حُلوًا ويعود مع ذلك دومًا عبر الصين اللانهائية.

من خلال ذلك إذًا يصبح نظام البناء الجزئي مفهومًا، لكن له مع ذلك على الأغلب أسباب أخرى. وليس من الاستثناء أيضًا أن أبقى عند هذه المسألة كل هذا الوقت، فهي، بقدر ما تبدو في البداية غير مهمة، مسألة جوهرية لبناء السور كله. وإذا ما أردت أن أنقل الأفكار والخبرات من تلك الأزمان وأجعلها مفهومة، فإنني لن أستطيع أن أتقصى بعمق كافٍ عن هذا السؤال بالذات.

لكن بدايةً لا بد من القول إن ثمة إنجازات تمت في الماضي، تأتي في موقع متأخر قليلًا خلف برج بابل من حيث رضا الرب طبعًا، وعلى الأقل وفقًا للحساب البشري، لكنها تمثل تحديدًا نقيض ذاك البناء. أذكرُ ذلك لأنه في بداية بناء السور كتب عالم كتابًا قام فيه بهذه المقارنات بدقة شديدة. وسعى إلى أن يبرهن بذلك على أن الأسباب المزعومة عمومًا لم تكن هي بأي حال ما أدى إلى عدم إتمام بناء برج بابل، أو على الأقل لم تكن الأسباب الأولى من بين هذه الأسباب المعروفة. ولم تستند براهينه على كتابات وتقارير فحسب، وإنما سعى أيضًا للقيام بفحوصات في عين المكان، ووجد خلالها أن المبنى قد تحطم بسبب ضعف الأساس، وكان تحطمه حتميًا. من هذه الناحية كان عصرنا متفوقًا دون شك على ذاك الزمن البعيد المنصرم، فقد كان كل رفيق متعلم تقريبًا بنَّاءً من حيث التخصص ولا يجانبه الصواب في مسألة وضع الأساس. إلا أن ذلك لم يكن ما يهدف إليه العالِم، وإنما زعم أن السور العظيم سيوفر للمرة الأولى في حياة البشر أساسًا آمنًا لبرج بابل جديد. إذًا السور أولًا ثم البرج. كان الكتاب آنذاك متاحًا للجميع، لكنني أعترف، أنني لم أفهم ليومنا هذا، كيف كان فكر العالم في بناء هذا البرج، فالسور الذي لم يشكل حتى دائرة، وإنما فقط نوعًا ما ربع أو نصف

دائرة، كان من المفترض أن يكون الأساس لبرج؟ ربما كان المقصود هنا من الناحية الفكرية فقط. لكن ما فائدة السور، الذي كان شيئًا حقيقيًا، ونتيجة لجهد وحياة مئات الآلاف؟ ولأي غرض كانت ثمة خطط مرسومة في الكتاب، بالطبع خطط غائمة للبرج ومقترحات تصل لأدق التفاصيل، بشأن كيفية جمع قوى الشعب بصرامة من أجل العمل المستقبلي الجديد؟ كان ثمة تشوش في الأذهان آنذاك- هذا الكتاب هو مجرد مثال على ذلك- ربما بالذات لأن كثيرين سعوا بقدر الإمكان لأن يجتمعوا على غاية واحدة. لا يتحمل الكائن البشري، المستهتر في أساسه، الذي له طبع الغبار المتطاير، أي قيد، وإذا ما قيد نفسه، يبدأ في رجرجة القيد وتحطيم سلاسله والجدار وتمزيق نفسه في كل اتجاهات السماء الأربع.

من المحتمل أيضًا أن هذه الأفكار المعارضة حتى لبناء السور لم تؤخذ من قبل القيادة بعين الاعتبار عند إقرار فكرة البناء الجزئي. نحن -أتحدث هنا بالأحرى باسم كثيرين- لم نتعرف في الحقيقة على ذواتنا إلا أثناء إعادة تهجينا لتعليمات القيادة العليا، وقد وجدنا أنه ما كان لحكمتنا المدرسية ولا لحسنا الإنساني السليم أن يكفيا حتى للوظيفة الصغيرة التي لدينا في إطار الكل الكبير. في غرفة القيادة -لا يعرف ولم يعرف أحد ممن سألتهم أين كانت ومن كان يجلس بها- في هذه الغرفة دارت على الأغلب كل الأفكار والأماني الإنسانية، وفي دوائر عكسية كل الأهداف والإنجازات الإنسانية، لكن من النافذة سقط على أيادي القيادة الراسمة للخطط بريق العوالم الإلهية.

وبالطبع لن يفوت على المتأمل النزيه إدراك أن القيادة، حتى لو أرادت ذلك بجدية، ما كانت ستتغلب أيضًا على هذه الصعوبات التي

واجهتها فيما يخص بناء سور متلاحم الأجزاء. إذًا يبقى الاستنتاج بأن القيادة قامت بالبناء الجزئي عن قصد. لكن البناء الجزئي كان حلًا مؤقتا وغير مناسب. يبقى الاستنتاج أن القيادة أرادت شيئًا غير مناسب. إنه استنتاج غريب حقًا. لكن كان لديها بعض الحق في عمل ذلك. ربما يمكن الحديث عن ذلك اليوم من دون خطر. آنذاك كان ذلك مبدأ سريًا للكثيرين، بل وحتى لأفضل الناس: اسع بكل قواك لفهم تعليمات القيادة ولكن لحدود معينة، وعندها توقف عن التفكير. إنه مبدأ عقلاني، وجد بالمناسبة تفسيرًا آخر في مقارنات تكررت كثيرًا فيما بعد: توقف عن مواصلة التفكير، ليس لأن ذلك قد يضرك، فمن غير المؤكد أيضًا أن ذلك سيضرك. لا يمكن للمرء هنا أن يتحدث عن الضرر أو عدم الضرر. سيحدث لك ما يحدث للنهر في الربيع. يرتفع منسوبه ويصبح أقوى ويغذي الأرض على ضفافه الطويلة بقوة أكبر ويواصل الحفاظ على كيانه داخل البحر، يصبح ندًا مرحبًا به للبحر. حتى هنا لك أن تتأمل في تعليمات القيادة. لكن بعدئذ يفيض النهر فوق ضفافه، يفقد معالمه وشكله ويبطئ تدفقه نحو المصب، ويشكل على عكس المقدر له بحارًا صغيرة داخل البلاد، ويضر الأراضي الزراعية، لكنه لا يستطيع الحفاظ على هذا التمدد لوقت طويل، وإنما ينحدر متجمعًا بين ضفافه مرة أخرى، بل ويجف في على نحو بائس في الموسم الحار التالي. لا تفكر في تعليمات إلى القيادة إلى هذا الحد.

حسنًا، ربما كانت هذه المقارنة صائبةً على نحو استثنائي أثناء بناء السور، لكنها لا تتمتع فيما يخص تقريري الحالي إلا بصلاحية محدودة على أقل تقدير، فبحثي هو مجرد بحث تاريخي، ولا يعود برق يومض من السحب الرعدية التي مرت منذ زمن بعيد، ولهذا

يجوز لي أن أبحث عن تفسير للبناء الجزئي، يذهب إلى أبعد مما اكتفى به المرء آنذاك. الحدود التي تضعها لي قدرتي على التفكير ضيقة بما يكفي، لكن المنطقة التي من المفترض عبورها هي اللانهائي.

ممن يُفترض للسور العظيم أن يحمي؟ من الشعوب الشمالية. أنا انحدر من جنوب شرق الصين. ولا يمكن لأي شعب شمالي أن يهددنا. نقرأ عنهم في كتب القدماء، والفظائع التي يرتكبونها وفق طبيعتهم، تجعلنا نتنهد تحت تكعيبتنا المسالمة، في لوحات الفنانين المطابقة للحقيقة نرى وجوه اللعنة، الأفواه المفتوحة عن آخرها، والفكوك المزودة بأسنان مسنونة بحدة، والأعين الضيقة التي تبدو حولاء بعد غنيمة النهب التي سيقوم الفم بطحنها وتمزيقها. وإذا تصرف الأطفال على نحو سيء، نضع أمامهم هذه الصور، وعلى الفور يطيرون ليتعلقوا باكين بأعناقنا. لكننا لا نعرف أكثر من ذلك عن هذه الشعوب الشمالية، فنحن لم نرهم، وإذا بقينا في قريتنا، فإننا لن نراهم أبدًا، حتى لو انطلقوا بجيادهم مندفعين مباشرة إلينا؛ البلاد شاسعة جدًا، وإذا لم يتح لهم المجال للوصول إلينا، فسيتيهون في الفراغ.

لماذا إذًا، وطالما أن الأمور على هذا النحو، نترك موطننا والنهر والجسور والأم والأب والزوجة الباكية والأطفال ذوي الاحتياج للتعليم، وننتقل للذهاب للمدرسة في مدينة أبعد، وتفكيرنا في السور في الشمال لا يزال مستمرًا. لماذا؟ اسألْ القيادة. إنها تعرفنا. هي التي تطحنها الهموم، تعرف بأمرنا، وتعرف حرفتنا

الصغيرة، وترانا جميعا جالسين معا في الكوخ الضيق، وقد ترضى عن الصلاة التي يتلوها رب العائلة في المساء في حلقة ذويه، أو قد لا تعجبها. وإذا جاز لي أن أسمح لنفسي بطرح مثل هذه الفكرة عن القيادة، فيجب عليّ أن أقول، حسب رأيي كانت القيادة موجودة في الماضي. لم تجتمع ككبار الموظفين مثلًا، بوازع من حلم يقظة جميل، وبسرعة يدعون لعقد جلسة، وسرعان ما يتُخذ القرار، وفي المساء مباشرة يُجلب السكان من أسرتهم، لتنفيذ القرارات، حتى لو كانت تلك القرارات مجرد إضاءة مصابيح على شرف إله ما، أظهر كرمه للسادة بالأمس، كي يقوم في الصباح، وما كادت المصابيح أن تنطفئ، بتلقينهم درسًا قاسيًا في زاوية مظلمة. بالأحرى كانت القيادة موجودة منذ القدم وكذلك كان قرار بناء السور.

لقد انشغلت جزئيًا أثناء بناء السور وبعد ذلك وحتى اليوم تقريبًا فقط بتاريخ الشعوب المقارن- ثمة مسائل معينة لا يمكن للمرء أن يدنو لحد ما من الوتر الحساس فيها إلا بهذه الوسيلة- وقد وجدت خلال بحثي، أننا لدينا نحن الصينيين مؤسسات شعبية وحكومية ذات وضوح فريد، وأخرى فريدة في غموضها. وقد أثارني دائمًا تتبع أسباب الظاهرة الأخيرة، ولا تزال تثيرني، وبناء السور مرتبط بهذه المسائل بشكل جوهري.

والحكم الإمبراطوري هو بأي حال من بين أكثر مؤسساتنا غموضًا. يوجد بالطبع في بكين، وعمومًا في مجتمع البلاط بعض الوضوح بشأن ذلك، حتى إذا كان ذلك على الأرجح ظاهريًا أكثر من كونه حقيقيًا؛ وأيضًا مدرسو قانون الدولة والتاريخ في المدارس العليا، يُظهرون أنهم على علم دقيق بهذه الأمور، وأنهم قادرون على

نقل هذه المعرفة للطلاب، وكلما هبط المرء أكثر إلى المدارس الدنيا، تلاشت على نحو مفهوم الشكوك في المعرفة الذاتية أكثر فأكثر، وارتفعت عاليًا مكانة المعرفة السطحية بمجموعة قليلة من التعاليم المصكوكة منذ قرون، صحيح أنها لم تفقد شيئًا من حقيقتها الأبدية، لكنها تظل مجهولة للأبد في هذا البخار والضباب.

لكن فيما يخص الحكم الإمبراطوري بالذات، ينبغي على المرء، حسب رأيي، أن يسأل الشعب أولًا. نظرًا لأن الحكم الإمبراطوري يجد هنا دعائمه الأخيرة. وهنا يمكنني أن أتحدث مرة أخرى عن موطني فحسب. فبخلاف بعض آلهة الحقول وعملها الوافي على نحو جميل والمتنوع على مدار العام، ينحصر تفكيرنا في الإمبراطور وحده. ولكن ليس في الإمبراطور الحالي، أو بالأحرى كنا سنفكر فيه لو كنا عرفناه أو عرفنا شيئًا محددًا عنه. بالطبع كنا- ونحن مفعمون بالفضول الوحيد- دائمًا ما نطمح بالطبع لمعرفة شيء من هذا القبيل. لكن بقدر ما يبدو لذلك وقع غريب-كان من الصعب معرفة شيء، سواء من حاج، طاف بأراض كثيرة، ولا في القرى القريبة أو البعيدة، وليس من البحارة الذين لا يبحرون فقط عبر نُهيرنا وحده وإنما أيضًا في الأنهر المقدسة. صحيح أن المرء كان يسمع الكثير، لكن كان من الصعب استخلاص شيء من هذا الكثير. بلدنا كبير جدًا وليس ثمة حكاية خيالية تغطي شساعته، وبالكاد تحيط به السماء. وبكين ليست سوى نقطة والقصر الإمبراطوري هو نُقيّطة. لكن الإمبراطور في حد ذاته، هو من جهة أخرى ضخم بضخامة كل طوابق العالم. إلا أن الإمبراطور الحي هو إنسان عادي مثلنا، ويرقد مثلنا على الأريكة، التي صُنعت بقياسات مُترفة، إلا أنها تعد مع ذلك بالمقارنة ضيقة وقصيرة. وأحيانًا يمدد مثلنا أطرافه ويكون متعبًا

للغاية ثم يتثاءب بفمه المرسوم برقة. كيف ينبغي لنا أن نعرف ذلك ونحن على بعد آلاف الأميال في الجنوب، بالقرب من مرتفعات التبت تقريبًا. وبخلاف ذلك، لو جاء أي خبر، وحتى لو وصل إلينا، فسيصل متأخرًا للغاية وسيكون متقادمًا منذ زمن. وحول الإمبراطور يتزاحم جمع دولة البلاط البراق، والمظلم مع ذلك، إنه الوزن المضاد للحكم الإمبراطوري، وهو دائمًا ما يسعى بسهم مسموم لإسقاط الإمبراطور من كفته في الميزان. الحكم الإمبراطوري خالد، لكن الإمبراطور الفرد يسقط ويهوي، بل تنهار في الأخير سلالات حاكمة بأكملها وتنقطع أنفاسها عبر حشرجة وحيدة. لن يعرف الشعب شيئًا عن هذه الصراعات والمعاناة، مثل من جاءوا متأخرًا، مثل الغرباء عن المدينة، يقف الناس في نهاية الحواري الجانبية الكثيفة الزحام، ويأكلون في هدوء ما جلبوه معهم من طعام، فيما يجري إعدام سيدهم في الأمام وسط ساحة السوق. ثمة أسطورة تعبر عن هذه العلاقة على نحو جيد.

الإمبراطور، هكذا يُقال، أرسل لك أنت بالذات، التابع الفرد البائس، الضئيل أمام الشمس الإمبراطورية في أقصى أقاصي الظلال الهاربة، لك أنت بالذات أرسل الإمبراطور رسالة من سرير احتضاره. لقد أركع الرسول عند السرير وهمس له بالرسالة في أذنه، كانت مهمة له للغاية، حتى أنه طلب من الرسول أن يعيد قولها له في أذنه. وبإيماءة رأس أكد صحة ما قيل. وأمام كل الجمهور الحاضر لموته- كل الجدران الحاجزة تهدمت وعلى السلالم المفتوحة الواسعة والعالية المتموجة بانسياب يقف في حلقة عظماء الإمبراطورية- أمام كل هؤلاء صرف الرسول. واتخذ الرسول طريقه

على الفور، رجل قوي لا يكل، سباح لا مثيل له، يمد هذه اليد تارة وتارة يده الأخرى ليخلق لنفسه طريقًا وسط الحشد، وإذا وجد مقاومة يشير إلى صدره، حيث علامة الشمس، ويتقدم أيضًا بسهولة لا يضاهيه فيها أحد. لكن الحشد كبير للغاية ومساكنه لا نهاية لها، لو انفتح أمامه حقل خالٍ لتمنى أن يطير، وسرعان ما كنت ستسمع على الأغلب الدقات الرائعة لقبضته على بابك. ولكن عوضًا عن ذلك يضني نفسه من دون جدوى ولا يزال يزج بنفسه عبر مقاصير القصر الداخلي، ولن يتخطاها أبدًا. وحتى لو تمكن من ذلك، ما كان ثمة شيء يمكن الظفر به، سيكون عليه أن يصارع لهبوط الدرج، وحتى لو تمكن من ذلك، ما كان ثمة شيء يمكن الظفر به، سيكون عليه قطع الأفنية وبعد الأفنية القصر الثاني المحيط، ثم السلالم والأفنية مرة أخرى، وثانية قصر آخر وهكذا عبر آلاف السنين، وإذا ما اندفع في النهاية خارجًا من البوابة الأمامية- وهو أمر لا يمكن أن يحدث أبدًا أبدًا- تكون أمامه مدينة المقر الإمبراطوري، مركز العالم، مطمورة تمامًا برواسبها. لا أحد يعبر من هنا، وفي كل الأحوال ليس برسالة ميت إلى شخص نكرة. لكنك تجلس أمام نافذتك وتحلم بها، عندما يأتي المساء.

وهكذا بالضبط، بيأس تام وأمل خالص ينظر شعبنا للإمبراطور. إنه لا يعرف أي إمبراطور يحكم، وثمة شك حتى بشأن اسم السلالة الحاكمة. في المدرسة يجري تعليم كثير من هذه الأمور بالترتيب، لكن عدم اليقين العمومي من هذه الناحية كبير جدًا، لدرجة أنه يطال أيضًا أفضل التلاميذ. الأباطرة الذين ماتوا منذ زمن بعيد يُوضعون في قرانا على العرش والإمبراطور الذي لا يزال يعيش في النشيد

فحسب، أصدر قبل وقت وجيز إعلانًا، يقرأه الكاهن أمام الهيكل. ومعارك تاريخنا الأقدم لم تندلع إلا الآن، بوجه ملتهب يقتحم الجار البيت قادما إليك بالخبر. نساء الإمبراطور، متخمات في الوسائد الحريرية، وقد أبعدهن رجال البلاط الماكرين عن الأخلاق النبيلة، وتضخم إدمانهن للسلطة، وتزايد طمعهن، وغصن في الشهوات، يرتكبن مرارًا وتكرارًا جرائمهن الشنيعة من جديد: كلما انقضى مزيد من الوقت، لمعت كل الألوان بفظاعة أكثر، وبعويل صاخب تعرف القرية ذات مرة كيف شربت إمبراطورة قبل آلاف السنين دماء زوجها في جرعات طويلة.

هكذا يتعامل الشعب مع الأسلاف، لكنه يخلط بين الحاضرين والموتى. وإذا حضر ذات مرة، ذات مرة في عمر الإنسان، موظف إمبراطوري يزور المقاطعة، إلى قريتنا بالصدفة وقدم باسم الحاكمين أي مطالب، وفحص قوائم الضرائب وحضر الحصة المدرسية وسأل الكاهن عن أفعالنا وسلوكنا، ولخص، قبل أن يرتقي محفته، كل شيء في تحذيرات طويلة للرعية التي تم حشدها، تشيع عندئذ ابتسامة على كل الوجوه، وينظر الواحد للآخر خلسة، وينحني الناس ناظرين لأطفالهم حتى لا يلمحهم الموظف. كيف، هكذا يفكر المرء، يتحدث عن ميت وكأنه حي، لقد مات هذا الإمبراطور منذ زمن بعيد، وانقرضت سلالته. السيد الموظف يسخر منا، لكننا نتصرف وكأننا لم نلحظ شيئًا، لكيلا نثير استياءه. لكننا جديًا نطيع فقط سيدنا الحالي، وكل ما عدا ذلك سيكون وقوعًا في الخطيئة. وخلف محفة الموظف المغادرة في عجالة يخرج عفويًا من إحدى جرار الرماد المحطم شخص منتصب يدب بقدميه كسيد للقرية.

لو أراد المرء أن يستنتج من هذه الظواهر، أنه ليس لدينا أساسًا

أي إمبراطور، فلن يكون بعيدًا عن الحقيقة. مرارًا وتكرارًا يتحتم عليّ القول إنه لربما لا يوجد شعب وفي للإمبراطور أكثر من شعبنا نحن في الجنوب، لكن هذا الوفاء لا ينفع الإمبراطور. صحيح أن التنين المقدس يقف على العمود الصغير عند مخرج القرية وينفث بدقة منذ بدء الخليقة النفس الملتهب باتجاه بكين، لكن بكين نفسها تعد بالنسبة لأهل القرية أكثر غرابة من الحياة الآخرة. أمن المفترض حقًا أن تكون ثمة قرية يوجد فيها البيت أمام البيت، وهذه البيوت تغطي مساحة حقول تصل لأبعد من مرمى البصر من فوق تلتنا، وبينها يقف الناس في النهار والليل متقاربين؟ الأسهل من تصور تلك المدينة هو الاعتقاد في أن بكين وإمبراطورها هما شيء واحد، سحابة مثلًا، تتقلب بهدوء تحت الشمس على مر العصور.

والنتيجة المترتبة على هذه الآراء هي لحد ما حياة حرة غير محكومة. ليست منعدمة الأخلاق بأي حال، فأنا لم أكد أرى خلال رحلاتي مثل هذا النقاء الأخلاقي كما في موطني. لكنها مع ذلك حياة لا تخضع لقانون معاصر، وتطيع فقط الأمر والتحذير المنقولين لنا من العصور القديمة.

إنني أتحاشى التعميمات ولا أدعي أن الأمور تسير على هذا النحو في كل القرى البالغ عددها عشرة آلاف في مقاطعتنا، أو حتى في كل مقاطعات الصين الخمسمئة. لكن يجوز لي بالأحرى على أساس المؤلفات الكثيرة التي قرأتها حول هذا الموضوع وكذلك على أساس ملاحظاتي الخاصة -خصوصًا عند بناء السور أعطت المادة الإنسانية لذي الحس فرصة السفر عبر أرواح كل المقاطعات تقريبًا-

وعلى أساس هذا كله يجوز لي ربما أن أقول إن الرأي السائد بخصوص الإمبراطور يُظهر مرارًا وتكرارًا وفي كل مكان ملمحًا أساسيًا مشتركًا معينًا مع الرأي في موطني. والآن لا أريد مطلقًا أن اعتبر هذا الرأي فضيلة، بل على العكس. صحيح أن المتسبب فيه في الأساس هو الحكومة التي لم تكن قادرة ليومنا هذا، في أقدم إمبراطورية على الأرض، على تأهيل مؤسسة الإمبراطورية لتحقيق مثل هذا الوضوح، بحيث يسري أثره باستمرار وبشكل مباشر حتى أبعد حدود الإمبراطورية، أو أنها أهملت ذلك مع أمور أخرى. لكن من جانب آخر يكمن في ذلك أيضًا ضعف قوة التخيل أو الإيمان لدى الشعب، الذي لم يتمكن من أن ينتشل بكل حيوية وحضور الإمبراطورية من غيبوبتها في بكين ويجذبها لصدر الرعية التي لا تريد شيئًا أفضل من الشعور بهذه الملامسة والفناء من أجلها.

إذًا هذا الرأي ليس فضيلة على الأغلب. وهو ما يلفت النظر أكثر إلى أن هذا الضعف بالذات هو على ما يبدو أحد أهم وسائل وحدة شعبنا، إن جازت للمرء الجرأة في التعبير لهذا الحد، بل يمكن القول إنه الأرض التي نعيش عليها. وتعليل اللوم هنا بإسهاب لا يعني تحريك ضمائرنا، وإنما يعني ما هو أكثر إزعاجًا بكثير، وهو تحريك سيقاننا. ولذلك لا أرغب حاليًا في الاستمرار في بحث هذه المسألة.

في هذا العالم إذًا تسلل نبأ بناء السور. وهو أيضًا جاء متأخرًا بنحو ثلاثين عامًا بعد إعلانه. كان ذلك ذات ليلة صيفية. أنا، في سن العاشرة، وقفت مع أبي على ضفة النهر. ونظرًا لأهمية هذه الساعة التي جرى الحديث عنها كثيرًا، أتذكر أدق التفاصيل. لقد

أمسك بيدي وكان يفعل ذلك بولع حتى شيخوخته، وباليد الأخرى مد غليونه الطويل الرفيع جدًا وكأنه ناي. انتصبت لحيته الطويلة غير الكثة المتيبسة في الهواء، فمع استمتاعه بالغليون كان ينظر عبر النهر إلى الأعلى. ودنت ضفيرته لأسفل أكثر فأكثر-إنها الشيء الذي يهابه الأطفال- محدثة حفيفًا على رداء العيد الحريري المطرز بالذهب. عندئذ توقفت مركب أمامنا، لوح البحار لأبي، راجيًا إياه أن يهبط المنحدر وهو نفسه نزل من المركب في اتجاهه. التقيا في المنتصف، همس البحار لأبي في أذنه، ولكي يقترب منه تمامًا، عانقه. لم أفهم حديثهما، ورأيت فقط أنه قد بدا أن أبي لم يصدق الخبر، وأن البحار كان يسعى لتأكيد الحقيقة، وأبي ظل غير قادر على التصديق، والبحار كاد بحماسة أهل البحر أن يشق الثوب من على صدره، أصبح الأب أهدأ وقفز البحار بصخب إلى مركبه وانصرف. متأملًا التفت والدي إليّ وأفرغ غليونه ووضعه في نطاقه وربت على خدي وجذب رأسي نحوه. كان هذا أكثر شيء أحبه، كان يجعلني مسرورًا للغاية، وهكذا وصلنا إلى البيت. هناك تصاعد بخار عصيدة الأرز على المائدة، وتجمع بعض الضيوف، وللتو صُب النبيذ في الأكواب. ودون أن يراعي ذلك شرع أبي على عتبة الباب في حكي ما سمع. بالطبع لا أذكر الكلمات بدقة، لكن المعنى تغلغل في ذاكرتي بعمق شديد عبر الظرف الاستثنائي الذي كان قاهرًا حتى للطفل ذاته، بحيث أنني أجرؤ مع ذلك على نحو ما على تكرار ما قاله لفظًا. والسبب في قيامي بذلك هو أنه شيء معبر جدًا عن رأي الشعب. إذًا، لقد قال أبي تقريبًا:

ذات مرة في عصر يوم شتوي وبعد العديد من مضايقات العمل، بدا لي عملي- كل تاجر يعرف مثل تلك الأوقات- مقيتًا للغاية، بحيث قررت في الحال أن أنهي عمل اليوم، رغم أن الوقت كان لا يزال مبكرًا مع وضح ضوء النهار الشتوي. لمثل قرارات الإرادة الحرة هذه نتائج طيبة دائمًا،

ورقة قديمة

يبدو وكأن أمورًا كثيرة قد أُهملت في الدفاع عن وطننا. لم نول اهتمامًا بالأمر وواصلنا أعمالنا، لكن أحداث الفترة الأخيرة تقلقنا.

لدي ورشة إسكافي في ساحة القصر الإمبراطوري. لا أكاد أفتح دكاني حتى أرى مداخل كل الأزقة المؤدية إلى هنا وقد احتلها مسلحون. لكنهم ليسوا جنودنا، من الواضح أنهم بدو رحل من الشمال. على نحو غير مفهوم لي تغلغلوا حتى العاصمة البعيدة جدًا عن الحدود. إنهم هنا على أي حال ويبدو أن عددهم سيزيد كل صباح.

ووفقا لطبيعتهم يخيمون في العراء، لأنهم يحتقرون البيوت. وينشغلون بشحذ سيوفهم وسن رؤوس سهامهم والتدرب على صهوة الخيل. وقد صنعوا من هذه الساحة الساكنة، التي حوفظ دائمًا بخوف على نظافتها ونقائها، حظيرة بهائم حقيقية. صحيح أننا نحاول أحيانًا ترك أشغالنا ونخرج لإزاحة أكثر النفايات المزعجة، لكن حدوث ذلك أصبح دائمًا أكثر ندرة، لأنه جهد عديم النفع، كما أنه يعرضنا فوق ذلك لخطر السقوط تحت قدم حصان جامح أو لأن تجرحنا السياط.

لا يمكن الحديث مع البدو الرحل. إنهم لا يعرفون لغتنا، وتقريبًا ليس لديهم لغة خاصة بهم. يتفاهمون مع بعضهم البعض مثل طيور الزاغ. دائمًا ما نسمع نعيق الزاغ هذا. لا يفهمون أسلوب وعيشنا ومؤسساتنا ولا يكترثون بذلك أيضًا. وتبعًا لذلك يرفضون أيضًا أي لغة إشارة. بإمكانك أن تلوي فكك حتى ينخلع وتخلع يديك من رسغيهما، فلا يكونوا قد فهموك ولن يفهموك أبدًا. كثيرًا ما يقومون بتعبيرات وجه ما، ثم ينقلب بياض عيونهم ويفيض زبد من أفواههم، لكنهم لا يريدون أن يقولوا بذلك شيئًا ولا حتى أن يفزعوا أحدًا، إنهم يفعلون ذلك لأنها طريقتهم. ما يريدونه، يأخذونه. لا يمكن القول إنهم يستخدمون العنف. إزاء هجماتهم ينزاح المرء جانبًا ويترك لهم كل شيء.

لقد أخذوا جزءًا معتبرًا من مخزوناتي أنا أيضًا. لكنني لا أشكو من ذلك، عندما أرى مثلًا حال القصاب في المحل المقابل. بمجرد أن تأتي بضاعته، ينتزع البدو الرحل كل شيء منه ويلتهمونه. حتى خيولهم تأكل اللحم، وكثيرًا ما يقف فارس بجانب حصانه ويأكل كلاهما من قطعة اللحم نفسها، كلٌ من طرف. القصاب خواف ولا يجرؤ على وقف توريدات اللحوم. لكننا نتفهم ذلك ونجمع له المال وندعمه. فلو لم يحصل البدو على لحم، لا ندري ماذا سيخطر ببالهم أن يفعلوا، إننا لا ندري طبعًا ماذا يمكن أن يخطر ببالهم، حتى لو حصلوا على اللحم كل يوم. مؤخرًا فكر القصاب في أنه ربما يوفر على نفسه على الأقل مجهود الذبح وجلب في الصباح ثورًا حيًا. لا يجوز له أن يكرر فعل ذلك من بعد. فقد ظللت لساعة راقدًا على الأرض في آخر ورشتي تمامًا وقد كومت فوقي كل ملابسي وأغطيتي ووساداتي، كل ذلك فقط كي لا أسمع خوار الثور، الذي

هجم عليه البدو من كل النواحي، كي ينتزعوا بأسنانهم قطعا من لحمه الدافئ. ساد الهدوء لوقت طويل، قبل أن أتجرأ على الخروج؛ كالشاربين المجتمعين حول برميل نبيذ، رقدوا منهكين حول أشلاء الثور.

آنذاك ظننت في هذا الوقت بالذات أنني رأيت الإمبراطور في أحد نوافذ القصر، بخلاف ذلك لا يخرج مطلقًا إلى هذه المقاصير الخارجية، دائما ما يعيش في الحديقة الداخلية. لكنه وقف هذه المرة، كما يبدو، في نافذة ونظر برأس محني إلى ما يجري أمام قصره.

«كيف ستمضي الأمور؟» نتساءل جميعنا. «إلى متى سنتحمل كل هذا العبء والعذاب؟ لقد جذبهم القصر الإمبراطوري، لكنه لا يستطيع طردهم ثانية. بوابته مغلقة؛ والحرس الذي كان في السابق يستعرض باحتفالية مواكب خروجه أو دخوله، يقبع خلف نوافذ مسيجة. لقد عُهد إلينا نحن الحرفيين وأصحاب الأعمال بإنقاذ الوطن؛ لكننا لسنا أهلًا لهذه المهمة؛ ولم نتباه قط بأننا قادرون على ذلك. إنه لسوء فهم وبسببه سنهلك.»

هذه الترجمة (التي قد تكون أوروبية الطابع للغاية) لبعض أوراق المخطوطات الصينية يتيحها لنا صديق للحركة النشطة . إنها مجرد قطعة. ليس ثمة أمل في إمكان إيجاد بقيتها.

< >

هنا تأتي بضع صفحات أخرى تالية، لكنها تالفة للغاية بحيث سيكون من غير الممكن فهم أي شيء منها.

كان ذلك في الصيف، في يوم حار. مررت في طريق العودة للبيت مع أختي على بوابة السراي. لا أدري، إن كانت قد دقت على الباب من قبيل العبث أو فعلتها وهي شاردة أم أنها هددت بقبضتها فقط ولم تدق. بعد مئة خطوة على الطريق الزراعي المنعطف إلى اليسار بدأت قرية. لم نكن نعرفها، لكن من المنزل الأول مباشرة خرج أناس إلينا ولوحوا لنا، بود ولكن بتحذير، هم أنفسهم كانوا مفزوعين ومحنيين من الرعب. أشاروا إلى السراي الذي مررنا عليه وذكرانا بالدقة على البوابة. سيقاضينا مالكو السراي، وسيبدأ التحقيق على الفور. كنت هادئًا وهدأت أيضًا من روّع أختي. على الأرجح لم تقم بالدق على البوابة، ولو فعلتها، فإن ذلك لن يؤدي في أي مكان في العالم إلى محاكمة. سعيت لإفهام ذلك للناس من حولنا، أنصتوا لي، لكنهم امتنعوا عن أي تقييم. ثم قالوا من بعد إن أختي ليست وحدها من سيحاكم، أنا أيضًا سأُحاكم بصفتي أخاها. أومأت مبتسمًا. عاودنا جميعًا النظر إلى السراي، مثلما يراقب المرء سحابة دخان وينتظر اللهب. وفعلًا، سرعان ما رأينا خيالة يدخلون بوابة السراي المفتوحة باتساع، ارتفع الغبار وغطى كل شيء، وحدها أسنة الرماح الطويلة كانت تومض. وما كادت الفرقة تختفي داخل السراي، حتى بدا أنها أدارت أحصنتها وكانت في طريقها إلينا. ألححت على أختي للذهاب، سأقوم بمفردي بتسوية الأمر، رفضت تركي وحيدًا، قلت لها إنه ينبغي عليها على الأقل أن تغير ملابسها وأن تظهر أمام السادة بفستان أفضل. أخيرًا أطاعت واتخذت طريقها الطويل إلى البيت. ما كاد الخيالة أن يصلوا إلينا، حتى سألوا من فوق صهوة الخيل عن أختي. بخوف جاءت الإجابة بإنها حاليًا ليست هنا، ولكنها ستأتي من بعد. استُقبلت الإجابة في غير اكتراث، ما بدا

مهمًا في المقام الأول هو أنهم وجدوني. كانا في الأساس سيدين، القاضي، وهو شاب حيوي ومساعده الصامت، المُسمى أسمان. طُلب مني الدخول إلى حانة الفلاحين. ببطء وبرأس متمايل، وجاذبًا حمالات البنطلون، تحركت في ظل النظرات الحادة للسيدين. تقريبًا كنت لا أزال أعتقد أن كلمة واحدة ستكفي لتخليصي أنا المديني، بل وبكرامة من شعب الفلاحين هذا. لكن عندما تخطيت عتبة الحانة، قال القاضي، الذي تقدمني وانتظرني بالداخل: «إنني أرثي لهذا الرجل». لكن ما يتجاوز كل شك هو أنه لم يقصد وضعي الراهن، وإنما ما قد سيحدث لي. بدا أن الغرفة تشبه زنزانة السجن أكثر ما تشبه حانة فلاحين. بلاطات حجرية كبيرة، وحائط رمادي قاتم وعارٍ، وفي مكان ما ثُبتت في الحائط حلقة حديدة، وفي المنتصف، ثمة شيء كان يشبه المصطبة ويشبه طاولة العمليات.

هل سيكون بإمكاني بعد أن أتنفس هواءً آخر غير هواء السجن؟ إنه السؤال الكبير أو سيكون بالأحرى السؤال الكبير، لو كان لدي ثمة أمل في الخروج.

أنا لاتوده، ساكن السجن القديم

بعد توليه الحكم بوقت وجيز زار الأمير الشاب سجنًا قبل أن يصدر العفو العام المعتاد. وكما كان متوقعًا كان من بين أسئلته، سؤال عن الشخص الذي قضى أطول فترة في السجن. وكان رجلًا قتل زوجته، وحُكم عليه بالسجن المؤبد والآن خلف وراء ظهره ثلاثًا وعشرين من سني السجن. أراد الأمير أن يراه، قادوه إلى الزنزانة،

من باب الحذر وُضع السجين من أجل هذا اليوم في الأغلال.

كان السجين مقيدًا بالأغلال. دخلتُ إلى الزنزانة، وأغلقت الباب وقلت: أنت ساكن قديم للسجن

عندما عدت إلى البيت مساءً، وجدت في منتصف الغرفة بيضة ضخمة، فائقة الضخامة. كانت تقريبًا في علو المائدة ومنتفخة مثلها. بصوت خافت تأرجحت يمنة ويسرة. تملكني فضول شديد، وأخذت البيضة ما بين ساقي وبحذر شققتها بالمطواة لنصفين. كانت ناضجة للفقس. تفتت القشرة مجعدة وقفز منها طائر من عائلة اللقالق، كان لا يزال من دون ريش ويضرب الهواء بجناحين قصيرين جدًا. «ماذا تريد في عالمنا؟» رغبت أن أسأل، تقرفصت أمام الطائر ونظرت في عينيه الخائفتين الغامزتين. لكنه تركني وتقافز بحذاء الجدران، شبه مرفرف، وكأنه يسير على قدمين موجوعتين. «واحدنا يساعد الآخر»، هكذا فكرت، وأخرجت عشائي ووضعته على المائدة ولوحت للطائر الذي كان للتو يغرس منقاره بين كتبي القليلة. جاء إلي في الحال وجلس- من الواضح أنه أستأنس المكان قليلًا- على كرسي. بنفس ذي صفير بدأ في تشمم قطع السجق التي وضعتها أمامه، ثم صار يوخزها فقط بمنقاره ويرميها لي ثانية. «خطأ» قلت لنفسي «بالطبع لا يخرج المرء من البيضة ويبدأ مباشرة في أكل السجق. هنا كانت الخبرة النسائية ضرورية» تفرست فيه بحدة، متسائلًا إن كان من الممكن معرفة رغباته في الطعام من مظهره. وخطر لي «إن كان ينتمي لعائلة اللقالق، فبالتأكيد سيحب الأسماك. بل والآن صرت مستعدًا أن أجلب له أسماكًا. لكن ليس من دون مقابل. مواردي لا تسمح لي بتربية طائر منزلي. إذًا لو قدمت تضحية كهذه فإنني أريد في

المقابل خدمة ذات قيمة مساوية تعينني على الحياة. إنه لقلق. يمكنه إذًا أن يأخذني معه إلى البلدان الجنوبية، عندما ينضج ويسمن من أسماكي. منذ زمن وأنا أشتاق إلى السفر إلى هناك وقد تخليت عن ذلك فقط حتى الآن بسبب عدم وجود أجنحة لقلق.» على الفور أحضرت ورقةً وحبرًا وغمست منقار الطائر في الحبر وكتبت، من دون أن يبدي الطائر أي مقاومة تجاهي، ما يلي: «أنا، الطائر من عائلة اللقالق، أتعهد في حال أنك أطعمتني سمكًا وضفادع ودودًا (أضفت الاثنين الأخيرين لرخصهما) حتى ينبت ريشي، أن أحملك على ظهري إلى البلدان الجنوبية» ثم نظفت المنقار ووضعت الورقة أمام عيني الطائر، قبل أن أطويها وأضعها في محفظتي. ثم هرعت في الحال من أجل جلب السمك؛ هذه المرة لا بد أن أدفع ثمنًا غاليًا، لكن التاجر وعدني أن يجهز لي في المرات القادمة أسماكًا فاسدة وكثيرًا من الديدان. وربما لن تكون الرحلة الجنوبية غالية جدًا. وقد أسعدني أن أرى كيف طاب للطائر مذاق ما أحضرته له. كانت الأسماك تُبتلع بقرقرة وتملأ البطن الصغير المِحمِّر. ويومًا بعد يوم، وعلى نحو لا يمكن مقارنته ببني البشر، أحرز الطائر تقدمًا في تطوره. صحيح أن رائحة الأسماك العفنة الكريهة التي لا تطاق لم تعد تغادر غرفتي ولم يكن سهلًا التخلص من فضلات الطائر، كما أن برودة الشتاء وغلاء سعر الفحم قد من منعاني من التهوية الضرورية للغرفة- ما يهم، هو أنه إذا جاء الربيع سأسبح في أجواء خفيفة نحو الجنوب الساطع. نمت الأجنحة وتغطت بالريش، وقويت العضلات، وحان الوقت للبدء بتدريبات الطيران. للأسف لم تكن ثمة لقلق أم، ولولا أن الطائر كان يرغب في ذلك بشدة، لما كان لدروسي على الأغلب أن تكون كافية. لكن من الواضح أنه رأى أن

عليه أن يعادل بانتباه محرج وأكبر قدر من الاجتهاد عيوب أهليتي للتدريس. بدأنا بالطيران من المقعد، صعدت فوقه وتبعني، قفزت بذراعين ممدوين ورفرف هو من بعدي. ومن بعد انتقلنا للمائدة وأخيرًا إلى الخزانة، ولكن كل التحليقات كانت تكرر دائمًا عدة مرات على نحو منهجي.

المشاكس

يسكن المشاكس في الغابة. في كوخ مهجور من فترة طويلة يعود لعصور الفحامين القديمة. إذا ما دخله المرء، يلحظ فقط رائحة العفونة التي لا يمكن التخلص منها، ولا شيء سوى ذلك. أصغر من أصغر فأر، وغير مرئي حتى لعين قُربت منه، يضغط المشاكس نفسه في زاوية. لا يمكن ملاحظة أي شيء، لا شيء إطلاقًا، في سكون يُسمع حفيف الغابة عبر فتحة النافذة الفارغة. كم هو موحش المكان هنا، وكيف تجد ذلك ملائمًا. هنا في الزاوية ستنام، لماذا لا تنام في الغابة، حيث الهواء طلق؟ لأنك الآن هنا، مؤمّن في كوخ رغم أن الباب مخلوع من مفاصله وبالٍ. لكنك لا زلت تتحسس الهواء وكأنك تريد أن تغلق الباب، ثم ترقد.

أخيرًا انتفضتُ من على المائدة وحطمت المصباح بلكمة. على الفور دخل خادم بفانوس وانحنى وأمسك بالباب مفتوحًا من أجلي. هُرعت من غرفتي هابطًا الدرج، والخادم من ورائي. وبأسفل وضع لي خادم آخر معطفًا من الفرو على كتفي، ولأنني تركت ذلك يحدث وكأنني من دون حول ولا قوة، قام الخادم كذلك بعمل شيء

إضافي، رفع ياقة المعطف وزرره عند الرقبة. كان ذلك ضروريًا، فالبرودة قاتلة. ركبت في الزحافة الواسعة المنتظرة، وتدفأت شاعرًا بالأمان تحت أغطية كثيرة، وبرنين جرس صاخب بدأت الرحلة. «فريدريش» سمعت صوتًا يهمس في الركن. «أنتِ هنا يا ألما.» قلت ومددت لها اليد اليمنى ذات القفاز السميك. بضع كلمات أخرى تعبيرًا عن الرضا عن اللقاء، ثم صمتنا، لأن الرحلة السريعة خطفت أنفاسنا. وفي غفوتي كنت قد نسيت جارتي عندما توقفنا عند مطعم. أمام باب العربة وقف صاحب المطعم وإلى جانبه خادماي، وكلهم مستعدون بأعناق ممدودة لتلقي أوامر مني، لكنني انحنيت للأمام وناديت فقط: «لماذا تقفون هنا، واصلوا السير، واصلوا لن نبقى!» ونكزت الحوذي بعصا وجدتها بجانبي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

«الكراسة ث»

تقع أعمالي برمتها على عاتقي. آنستان بآلتين كاتبتين وسجلات العمل في غرفة الاستقبال وغرفتي مع الآلة الكاتبة والخزينة وطاولة الاستشارات والمقعد ذي المسند والهاتف، هذا هو كل جهاز عملي. سهل في الإحاطة بجوانبه ومن اليسير جدًا تنفيذه. أنا شاب والأعمال تمرق من أمامي، ولا أشتكي. لا أشتكي. منذ بداية العام الجديد استأجر شاب فورًا الشقة الصغيرة المجاورة الخالية، التي ترددت طويلا عن غير حصافة في استئجارها. وهي أيضًا عبارة عن غرفة وغرفة استقبال، وبخلاف ذلك بها أيضًا مطبخ. كنت على الأغلب سأكون في حاجة لغرفة وغرفة استقبال، فآنستاي تشعران أحيانًا بزيادة العبء عليهما- لكن بماذا كنت سأستفيد من المطبخ. هذا التفكير المتواضع كان هو السبب في أنني تركت الشقة تروح مني. والآن يجلس فيها هذا الشاب. اسمه هاراس. لا أدري ماذا يفعل حقًا هناك. على الباب كُتب فقط «هاراس، مكتب». لقد استقصيت عنه وقيل لي إن أعماله تشبه أعمالي، ولا يمكن التحذير من منحه قرضًا لأنه حقًا شاب طموح، وربما يكون لأشغاله مستقبل، ولكن لا يمكن أيضًا النصح بمنحه القرض، لأنه لا توجد حاليًا وبحسب ما يبدو أي ثروة لديه. وهي المعلومات المعتادة التي

تُعطى، عندما لا يعرف المرء شيئًا. أحيانًا ألتقي هاراس على الدرج، ودائمًا ما يكون متعجلًا للغاية، ويمرق بسرعة خاطفة من أمامي، لم أتمكن بعد من رؤيته بدقة، يمسك بمفتاح المكتب جاهزًا في يديه، وفي اللحظة التي يفتح فيها الباب، ينزلق إلى الداخل مثل ذيل جرذ، وأقف أنا فقط ثانية أمام يافطة «هاراس، مكتب»، التي قرأتها عددَ مراتٍ يزيد كثيرًا عما تستحق. الحوائط الرفيعة على نحو بائس التي تكشف أسرار الرجل الدؤوب الشريف، ولكنها تغطي غير الشريف. هاتفي مثبت على حائط الغرفة الذي يفصلني عن جاري، لكنني أُبرز ذلك باعتباره مجرد حقيقة ساخرة على نحو فريد، فحتى لو كان الهاتف معلقًا على الحائط المواجه، فإنه يمكن للمرء في الشقة المجاورة سماع كل شيء. لقد تخليت عن عادة ذكر اسم الزبون على الهاتف، لكن لا يحتاج الأمر إلى الكثير من الحذق، لتخمين الاسم من خلال تعبيرات مميزة لا يمكن تفاديها في المحادثة. أحيانًا أتراقص على أطراف أصابع القدم حول الهاتف، والسماعة على أذني وقد وخزني القلق، ولا أستطيع مع ذلك أن أحول دون كشف الأسرار. بالطبع تصبح بذلك أيضًا قرارات العمل أثناء المكالمة الهاتفية أكثر اضطرابًا ويصبح صوتي مهزوزًا. وماذا يفعل هاراس، أثناء حديثي على الهاتف؟ لو أردت المبالغة- لكن على المرء أن يفعل ذلك من أجل الوضوح- فسيمكنني القول: لا يحتاج هاراس لهاتف، إنه يستخدم هاتفي، لقد زحزح كنبته إلى الحائط، وهو ينصت، فيما يكون عليّ أنا في المقابل أن أهرع إلى الهاتف عندما يرن، وأتلقى طلبات الزبون، واتخذ قرارات خطيرة، وأجري محاورات للإقناع على نطاق واسع، وفي أثناء ذلك كله وعن غير عمد أقدم لهاراس تقريرًا عبر حائط الغرفة. ربما لا يحتاج إطلاقًا

للانتظار لنهاية المكالمة، بل ينهض بعد هذا الموضع من المكالمة الذي يكشف له الوضع بقدر كاف، ويهرع كعادته عبر المدينة قبل أن أكون وضعت سماعة الهاتف، وربما يكون بالفعل بصدد العمل ضدي.

هجين

لدي حيوان فريد، نصف قطيطة ونصف حمل. إنه إرث من ممتلكات والدي. لكنه لم يتطور إلا خلال حياته معي، في الماضي كان حملًا أكثر من كونه قطيطة. لكن لديه الآن غالبًا قدرًا متساويًا من كليهما. من القطة الرأس والمخالب ومن الحمل الحجم والهيئة، ومن كليهما العينان الوامضتان اللطيفتان، شعر الفراء ناعم وقصير والحركات قفز وخطو بطيء حذر. في ضوء الشمس يكور نفسه على حافة الشباك ويهرهر، في المرج يجري كالمجنون ويصعب الإمساك به. يهرب من القطط، ويريد مهاجمة الحملان. في الليلة المقمرة يكون ميزاب السطح طريقه المفضل: لا يستطيع المواء، ويتقزز من الجرذان. يستطيع أن يقف لساعات متربصًا بجانب حظيرة الدجاج، لكنه لم يغتنم قط فرصة للقتل. إنني أطعمه حليبًا حلوًا، وهو يحب طعمه للغاية. يشفطه داخله في رشفات طويلة من بين أسنان الحيوان المفترس التي لديه. وبالطبع يعد الأمر عرضًا مسرحيًا كبيرًا للأطفال. موعد الزيارة هو يوم الأحد قبيل الظهيرة. أضع الحيوان الصغير على حجري ويحيطني أطفال الجيرة كلها.

ويطرحون أروع الأسئلة، التي ليس بمقدور أي إنسان الإجابة عليها. لا أبذل أي جهد للإجابة، وإنما أكتفي من دون أي إيضاحات

إضافية بأن أريهم ما لدي. أحيانًا يحضر الأطفال معهم قططًا، بل وذات مرة أحضروا حملين؛ لكن وعلى عكس توقعاتهم لم تحدث أي مشاهد تعارف. بعين الحيوان نظرت الحيوانات لبعضها بعضًا في هدوء، ومن الواضح أن كلا منها تقبل وجود الآخر كحقيقة إلهية.

على حجري لا يعرف الحيوان خوفًا أو رغبة في الملاحقة. متمسحًا بي يشعر بأقصى قدر من الراحة. إنه وفي للعائلة التي ربته. وليس هذا مجرد وفاء خارق للعادة، بل إنها الغريزة السليمة لحيوان، لديه على الأرض عدد لا يحصى من الحيوانات التي تربطها به صلة نسب، لكن ليس لديه ربما قريب واحد بالدم، ولذا يعتبر الحماية التي يجدها لدينا شيئًا مقدسًا. أحيانًا أجدني مضطرا للضحك، عندما يتشممني، ويمرق سريعًا من بين قدمي ولا يرغب في مفارقتي. لا يكفي أنه حمل وقطة، بل ويكاد يريد فوق ذلك أن يكون كلبًا أيضًا. إنني أعتقد جديًا في شيء مشابه، ففي داخله قلق مزدوج، قلق القطة وقلق الحمل، على اختلاف نوعيهما. ولهذا فإنه يشعر بضيق شديد في جلده. ربما كانت سكين القصاب بمثابة الخلاص لهذا الحيوان، لكنني مضطر لحرمانه منها لكونه إرثًا.

الشيء الوحيد الذي ورثه صبي صغير من والده كان قطة، ومن خلالها أصبح عمدة لندن. ماذا سأصبح من خلال حيواني، إرثي؟ أين تمتد المدينة العملاقة؟

كثيرًا ما يفشل تاريخ العالم المكتوب والمنقول فشلًا تامًا، صحيح أن القدرة الإنسانية على التبصر كثيرًا ما تضلل، لكنها إذا ما قادت المرء، لا تتركه. وهكذا مثلًا تُحاط الحكايات المنقولة عن

عجائب الدنيا السبع دائمًا بإشاعة عن وجود أعجوبة ثامنة أخرى، كما تُصنع عن هذه الأعجوبة الثامنة أخبار مختلفة وربما متناقضة، يُفسر عدم التيقن من ثبوتها بغموض العصور القديمة.

«سيداتي سادتي»- هكذا تقريبًا تحدث العربي الذي يرتدي زيًا أوروبيًا إلى المجموعة السياحية التي لم تكد تصغ له، لكنها تأملت وهي محنية تمامًا، البناء المذهل الذي انتصب أمامها على الأرض الصخرية العارية- «لا بد أنكم ستقرون أن شركتي فد تفوقت بمراحل على كل وكالات السياحة الأخرى، حتى على تلك ذات الشهرة القديمة بحق. ففي حين يقود المنافسون زبائنهم وفقا لعادة قديمة رخيصة إلى عجائب الدنيا السبع المذكورة في كتب التاريخ، تقدم شركتنا الأعجوبة الثامنة.»

لا، لا.

البعض يقول إنه منافق، وآخرون يقولون مرة أخرى، هذا ما يبدو في الظاهر فقط. يعرف والداي والده، وعندما جاء لزيارتنا يوم الأحد الماضي سألته مباشرة عن الابن. لكن السيد العجوز كان ماكرًا جدًا ويصعب التغلب عليه، فيما تنقصني كل المهارات لمثل هذه الهجمات. كان النقاش حيويًا، وما كدت أطرح سؤالي حتى ساد السكون. بدأ أبي يلعب بعصبية في لحيته ونهضت أمي لترى إن كان الشاي جاهزًا، لكن السيد العجوز نظر إليّ مبتسمًا بعينيه الزرقاوين، وقد مال جانبًا بوجهه الشاحب المتغضن وشعره شديد البياض: «نعم، الولد»، قال واتجه ببصره إلى الأباجورة التي كانت

مضاءة في هذا الوقت المبكر من المساء الشتوي، ثم سأل: «هل تحدثت معه؟»، قلت: «لا، لكنني سمعت الكثير عنه أود لو تكلمت معه، لو رغب في استقبالي ذات مرة.»

«ماذا إذًا؟ ماذا إذًا؟» صحتُ، ورفعت ذراعي عاليًا وقد أبقاني النعاس راقدًا في السرير. ثم نهضت، ولم أكن واعيًا بعد بالحاضر، كان لدي شعور وكأن عليّ أن أزيح بعض الناس الذين يعترضون طريقي إلى الجانب، وقمت بعمل الحركات الضرورية وهكذا وصلت أخيرًا إلى النافذة المفتوحة.

سجادة مفرودة لقدميك.
ومظلة ترفرف فوق رأسك

من دون حول ولا قوة، شونة غلال في الربيع، ومصاب بالسل في الربيع.

تعزف الموسيقى أغنية قديمة «ابدأوا يا أبطال الحلبة»

ابدأوا يا أبطال الحلبة
ابدأوا المصارعة.

ابدأوا يا أبطال الحلبة
ابدأوا المصارعة

يحدث أحيانًا، والأسباب لذلك كثيرًا ما يصعب إدراكها، أن يختار أعظم مصارع للثيران الحلبة المتداعية لمدينة صغيرة تقع في الأطراف كمكان لمصارعته، وتقريبًا لم يكن جمهور مدريد يعرف اسمها حتى الآن. حلبة مهجورة منذ قرون، النجيل ينمو هنا بوفرة، ملعب للأطفال، هناك حيث تتوهج أحجار جرداء، مستقر الثعابين والسحالي. متهالكة عند الحواف منذ زمن بعيد، محجر لكل البيوت في الجوار المحيط، لم يتبق منها الآن سوى حوض وادٍ لا يتسع بالكاد سوى لخمسمئة شخص. لا توجد مبان فرعية ولا حظائر، لكن الأسوأ بالأخص هو أن خطوط السكك الحديدية لم تُمد إلى هنا بعد، ثلاث ساعات سفر بالعربة، سبع ساعات سيرًا على الأقدام من أقرب محطة قطار.

«كيف تشعر، أيها الصياد غراكوس، وأنت تسافر منذ قرون في هذا القارب؟»

«منذ خمسة عشر قرنًا»

«ودائمًا في هذه السفينة؟»

«دائمًا في هذا القارب. القارب هو التسمية الصحيحة. لا دراية لك بصناعة السفن؟»

«لا، لم أهتم بها قبل اليوم، منذ أن سمعت عنك، ومنذ أن وطأت سفينتك.»

«هذا ليس عذرًا. إنني أنحدر من منطقة داخلية بعيدة عن البحار ولم أكن بحارًا، الجبل والغابة كانا متعتي- ولم أرغب في أن أكون البحار الأكبر سنًا، الصياد غراكوس الروح الحارسة للبحارة، الصياد غراكوس الذي يتضرع إليه في ليلة عاصفة صبي السفينة الواقف في

برج المراقبة بيدين معقودتين وهو خائف. لا تضحك.»

«أكان ينبغي عليّ أن أضحك؟ لا حقًا لا. لقد وقفت أمام قمرتك بقلب خافق، ودخلت إلى هنا بقلب خافق. شخصك الودود يهدأ روعي قليلًا، لكنني لن أنسى أبدًا، أي ضيف أنا»

«بالتأكيد، أنت محق. كيفما كان، أنا الصيد غراكوس. هل تريد شرب هذا النبيذ؟ لا أعرف هذه الماركة، لكنه حلو وثقيل، الراعي الممول يؤمن احتياجاتي جيدًا»

«لا، من فضلك ليس الآن. أنا مضطرب. ربما من بعد، إذا ما احتملت أنت وجودي هنا كل هذا الوقت. من هو الراعي الممول؟»

«إنه مالك القارب. هؤلاء الرعاة الممولون هم فعلا أناس ممتازون. لكنني فقط لا أفهمهم. لا أعني اللغة. بالرغم من أنني بالطبع لا أفهم لغتهم في أحيان كثيرة. لكن هذا أمر هامشي فقط. لقد تعلمت ما يكفي من اللغات على مر القرون وبإمكاني أن أكون مترجمًا فوريًا بين الأسلاف وأهل الحاضر. لكن طريقة تفكير الرعاة الممولين هي ما لا أفهمه. ربما بإمكانك أن تفسرها لي.»

«ليس لدي الكثير من الأمل في ذلك. كيف يمكن لي أن أفسر لك شيئًا، وأنا لا أعدو أن أكون أمامك حتى مجرد طفل يتأتئ.»

«ليس الأمر على هذا النحو. إطلاقًا. ستصنع لي معروفًا، إذا ما ظهرت بمظهر أكثر رجولة بعض الشيء، بشيء من الثقة في النفس. ماذا بوسعي أن أفعل بضيافة ظل. سأنفخ طاردًا إياه من الكوة إلى البحر. أحتاج لتفسيرات عديدة. أنت الذي يتسكع متجولًا بالخارج، يمكنك أن تعطيني إياها. أما إذا ما ارتجفت هنا على مائدتي ونسيت من خلال خداع الذات، القليل الذي تعرفه، فبإمكانك أن تمضي في حال سبيلك من الآن. أنا أعني ما أقول».

«في ذلك شيء صحيح. فعلًا أنا متقدم عليك في بعض الأمور. سأسعى لإرغام نفسي. سؤال»

«أفضل، أفضل كثيرًا. إنك تبالغ في هذا الاتجاه وتتخيل إنك متفوق عليّ في أمور ما. عليك في فقط أن تفهمني جيدًا. أنا إنسان مثلك، لكنني عبر القرون التي هرمت خلالها أصبحت أقل صبرًا. إذًا كنا نريد الحديث عن الرعاة الممولين انتبه. واشرب نبيذًا كي تشحذ ذهنك. من دون خجل. ثمة حمولة سفينة كاملة منه لا تزال موجودة.»

«إنه نبيذ ممتاز يا غراكوس، فليحيا الراعي.»

«خسارة أنه مات اليوم. كان رجلًا طيبًا وقد مات في سلام. أبناء بالغون حسنو التنشئة وقفوا عند سرير احتضاره، وعند ذيل السرير سقطت زوجته مغشيًا عليها، لكنني كنت آخر من فكر فيه. رجل طيب. من هامبورغ.»

«يااااه، من هامبورغ وأنت تعرف هنا في الجنوب، أنه مات اليوم.»

«كيف؟ ليس من المفترض أن أعرف متى يموت الراعي الممول لي. إنك ساذج حقًا.»

«هل تريد أن تهيننني؟»

«لا إطلاقًا، إنني أفعل ذلك رغمًا عني. لكن ينبغي عليك ألا تندهش كثيرًا، وأن تشرب مزيدًا من النبيذ. الأمر بالنسبة للرعاة الممولين هو كالتالي: لم يكن القارب في الأصل مملوكًا لأحد.»

«غراكوس، لدي رجاء، قل لي أولًا باختصار ولكن بترابط، كيف هو وضعك حقًا. كي أعترف بالحقيقة. أنا لا أعرف فعليًا أي

شيء. بالنسبة لك هي طبعًا أمور بديهية، وأنت تفترض كما هي طريقتك معرفة العالم كله بها. لكن في هذه الحياة البشرية القصيرة - الحياة قصيرة فعلًا يا غراكوس، فلتسع لإدراك ذلك- في هذه الحياة القصيرة يكون الإنسان مشغولا إذًا انشغالًا تامًا ببناء ذاته وتربية وعائلته. ومهما يكن الصياد غراكوس مثيرًا للاهتمام- وهذه قناعة وليست مداهنة- فلا يوجد وقت للتفكير فيه، والسؤال عن أحواله أو القلق عليه. ربما على سرير الموت مثل صاحبك من هامبورغ، لا أدري. هناك ربما كان لدى الرجل المجتهد وقت للمرة الأولى لكي يضطجع ويتطرق ذات مرة بأفكاره المتهادية بدعة للصياد غراكوس الأخضر. لكن بخلاف ذلك: لم أكن أعرف عنك شيئًا. أنا هنا في الميناء بسبب الأعمال، ورأيت القارب، كان المعبر جاهزًا وعبرت إلى داخل القارب. لكن الآن أود أن أعرف شيئًا عنك في السياق.»

«آه، في السياق. القصص القديمة. كل الكتب مليئة بها، في كل المدارس يرسمها المعلمون على السبورة، تحلم بها الأم، بينما يرضع الطفل من صدرها- وأنت يا رجل تجلس هنا وتسألني عن السياق. لا بد أنك حظيت بفترة شباب ضائعة بامتياز.»

«محتمل، كأي فترة شباب في الحقيقة. لكن سيكون مفيدًا جدًا لك في الحقيقة، إذا ما جلت مرة بنظرك قليلًا في العالم. بقدر ما قد يبدو ذلك لك غريبًا، وهنا أكاد أنا نفسي أن أتعجب أيضًا، لكن الأمر هو هذا، أنت لست موضوعًا لأحاديث المدينة، ومهما كانت الأشياء التي يتحدث عنها المرء كثيرة، فإنك لست من بينها، يأخذ العالم مساره وأنت تقوم برحلتك، لكنني لم ألحظ حتى اليوم قط، أن طريقكما قد تقاطع.»

«إنها ملاحظاتك أنت، يا عزيزي، لآخرين ملاحظات أخرى. هنا ثمة إمكانيتان فقط. إما أنك تتكتم على ما نعرفه عني ولديك نية معينة لذلك. في هذه الحالة أقول لك بصراحة تامة: إنك على الطريق الخطأ. أو: أنك تعتقد حقًا أنك غير قادر على أن تتذكرني، لأنك تخلط قصتي بقصة أخرى. في هذه الحالة أقول لك فقط: أنا- لا، لا أستطيع، الكل يعرف والآن ينبغي عليّ أن أحكي لك! لقد مضى وقت طويل جدًا. اسأل المؤرخين! إنهم يتابعون في غرفهم ما حدث منذ زمن بعيد بأفواه فاغرة ويصفونه على الدوام من دون توقف. اذهب إليهم وتعال ثانية. مضى وقت طويل. كيف يمكن لي أن احتفظ بها في هذا المخ المكتظ.»

«انتظر يا غراكوس، سأسهل عليك الأمر، سأطرح عليك أسئلة. من أين أنت؟»

«من الغابة السوداء، كما هو معروف للجميع.»

«بالطبع، أنت من الغابة السوداء وقد قمت إذًا في القرن الرابع تقريبًا بالصيد هناك.»

«يا رجل، أتعرف الغابة السوداء؟»

«لا»

«لا تعرف حقًا أي شيء. الابن الصغير لقائد المركب يعرف أكثر منك، إنه يعرف بحق أكثر منك بكثير. من فقط الذي دفع بك للمجيء إلى هنا. إنه قدر مشؤوم. تواضعك في البداية كان فعلًا مبررًا على نحو جيد فحسب. إنك نكرة، لا تستحق أن أملأك بالنبيذ. والآن لا تعرف حتى الغابة السوداء. لقد اصطدت هناك حتى سن الخامسة والعشرين. لو لم تجتذبني الظبية -الآن ستعرف بالأمر- لعشت حياة صياد طويلة جميلة، لكن الظبية جذبتني، فهويت وارتطمت صريعًا

بحجر. لا تطرح أسئلة أخرى. أنا هنا، ميت، ميت، ميت. لا أعرف لماذا أنا هنا. نُقلت آنذاك إلى قارب الموت، كما ينبغي أن يحدث، ميتُ مسكين، أُجريت معي المعاملات الثلاث أو الأربع التي تجرى لكل شخص، لماذا تكون ثمة استثناءات مع الصياد غراكوس، كل شيء كان على ما يرام، ورقدت متمددا في القارب،

كلنا يعرف بيتر الأحمر، كما يعرفه نصف العالم. لكن عندما حل ضيفًا بعرضه على مدينتنا، قررت أن أتعرف إليه عن كثب، أن أتعرف إليه شخصيًا. ليس من الصعب الدخول مبكرًا قبل العرض. في المدن الكبرى حيث يُرتب كل شيء فقط من أجل رؤية المشاهير يتنفسون عن كثب، ربما تكون ثمة صعوبات، لكن في مدينتنا، يكتفي الناس بالتحديق فيما يستحق الاندهاش من مقعد في صالة المسرح، لذلك كنت أنا، كما قال لي ساعي الفندق، الوحيد حتى الآن الذي طلب المقابلة. استقبلني الوكيل الفني السيد بوزيناو بود بالغ. لم أكن أتوقع أنه رجل متواضع جدًا، بل وفاتر الحماسة تقريبًا. كان يجلس في غرفة الاستقبال بشقة بيتر الأحمر ويأكل وجبة من البيض. ورغم أن الوقت كان قبل الظهيرة، فقد جلس مرتديًا معطف سهرة، يظهر به في العروض. بمجرد أن رآني، أنا الضيف الغريب عديم الأهمية، قفز هو الحاصل على أعلى الأوسمة، ملك مدربي الحيوانات، صاحب الدكتوراه الفخرية من الجامعات الكبرى- قفز من مكانه، وصافحني، وأرغمني على الجلوس، ومسح ملعقته بمفرش المائدة وقدمها لي بمنتهى الود، كي آكل بقية وجبة البيض. لم يتقبل امتناني الرافض وأراد أن يبدأ في إطعامي. بذلت جهدًا من أجل تهدئته ودفعه بعيدًا مع الطبق والملعقة. «لطيف جدًا أن أتيت»،

قال بلكنة أجنبية قوية. «لطيف حق. لقد أتيت في الساعة المناسبة، ليس دائمًا، للأسف ليس دائمًا يستطيع بيتر الأحمر استقبال الناس. إنه يمتعض من رؤية الناس كثيرًا، حتى أنا، حتى أنا يجوز لي لحد ما التواصل معه فقط على أساس العمل، على خشبة المسرح. لكن بعد العرض مباشرة يتحتم عليّ أن أختفي، يذهب للبيت بمفرده، ويغلق عليه حجرته ويبقى هكذا في معظم الأحيان حتى الأمسية التالية. لديه دائمًا في غرفة النوم سلة رحلات كبيرة مليئة بالفواكه، يتغذى عليها في هذه الحالات. وأنا الذي لا يجوز له بالطبع أن يتركه بمفرده دون مراقبة، استأجرُ الشقة المقابلة وأراقبه من وراء الستائر.»

«عندما أجلس أمامك يا بيتر الأحمر، وأسمعك تتحدث وأشرب نخبك، حقًا- سواء أرأيت ذلك على أنه مجاملة أم لا، فإنها الحقيقة- أنا أنسى عندئذ تمامًا أنك شمبانزي. وعندما أرغم نفسي على العودة من الأفكار إلى الواقع، عندئذ فقط تبين لي عيناي مرة أخرى أي ضيف أنا.»

«نعم»

«لقد اعتراك الصمت، لماذا إذًا؟ لقد ذكرت لي أحكامًا صحيحة على نحو يثير الدهشة عن مدينتنا والآن أنت صامت هكذا.»

«صامت؟»

«هل ينقصك شيء؟ هل عليّ أن أنادي للمدرب؟ هل أنت معتاد على تناول وجبة في هذه الساعة؟»

«لا، لا. كل شيء على ما يرام أيضًا. أستطيع أن أقول لك أيضًا ما دهاني. أحيانًا يغمرني شعور بالتقزز من الناس، لدرجة أنه

يصعب عليّ أن أقاوم التقيؤ. وليس لهذا علاقة بشخص فرد، وليس بحضورك اللطيف. إنه تقزز من كل البشر. وهو ليس بالشيء الغريب، فلو عشت مثلًا مع القرود بشكل دائم، فسيكون لديك بالتأكيد ومع كل ضبط النفس مثل هذه النوبات. وفيما عدا ذلك فإن رائحة البشر من حولي ليست هي ما يقززني، وإنما رائحة الإنسان التي اكتسبتها أنا وتختلط مع الرائحة القديمة لموطني القديم. من فضلك شم بنفسك! هنا على الصدر، أدخل أنفك بعمق أكثر في الفرو! قلت لك، بعمق أكثر.»

«للأسف لا أستطيع أن أشم شيئًا مميزًا. إنها الرائحة العادية لجسم معتن به، ولا شيء سوى ذلك. لكن أنوف أهل المدينة ليست معيارًا. إنك تشتم بالطبع آلاف الروائح التي تهب مارة بنا»

«في الماضي يا سيدي، في الماضي، لقد انقضى ذلك الأمر.»

«طالما أنك بنفسك قد بدأت الحديث عن ذلك سأتجرأ بالسؤال: كم من الوقت قضيت بيننا؟»

«خمسة أعوام، في الخامس من أغسطس، تتم السنوات الخمس.»

«إنجاز عجيب. التخلي خلال خمسة أعوام عن حياة القرود والركض عبر كل مراحل التطور الإنساني. هذا ما لم يفعله في الحقيقة أي أحد آخر. وقد كنت في هذا المضمار بمفردك تمامًا.»

«أنا أعرف أن ذلك كثير ويتجاوز أيضًا استيعابي في بعض الأحيان. لكن في ساعات الهدوء لا أحكم بمشاعر فياضة هكذا. هل تعرف كيف اصطادوني؟»

«لقد قرأت كل ما نشر عنك. لقد أصابوك بالرصاص، ثم اصطادوك.»

«نعم أصبت برصاصتين، واحدة هنا في الخد، كان الجرح بالطبع أكبر بكثير من الندبة الحالية، ورصاصة أخرى أسفل الخصر. سأخلع البنطلون كي ترى الندبة. هنا إذًا كانت الإصابة، وكان ذلك هو الجرح الحاسم البليغ، لقد سقطت من الشجرة وعندما صحوت، كنت في القفص في سطح السفينة البيني.»

«في القفص! في سطح السفينة البيني! لكن ما يقرأه المرء عنك مختلف، ويفهمه بشكل مختلف عندما يسمعك أنت نفسك تحكي.»

«والأمر مختلف أيضًا عندما يشهد المرء ذلك بنفسه يا سيدي. حتى ذاك الحين لم أكن أعرف، ما معنى: ألا يكون ثمة مخرج. كان قفصًا ذا قضبان من أربعة جدران، أو بالأحرى ثلاثة جدران مثبتة بصندوق، كان الصندوق هو الجدار الرابع. وكل شيء كان واطئًا جدًا، بحيث لم يكن بإمكاني أن أقف باستقامة، وضيقًا جدًا بحيث لم أتمكن حتى من الجلوس. كان بإمكاني إذًا أن أقرفص هناك فقط بركبتين مثنيتين. في سورة غضبي لم أرغب في رؤية أحد ولذلك ظللت ملتفتًا للصندوق، وهكذا ربضت هناك بركبتين مرتعشتين لأيام وليال. وفي الخلف انغرست قضبان القفص في جسمي. في العصور الأولى كانوا يعتبرون مثل هذه الطريقة في الحفاظ على الحيوانات البرية ذات مزايا، وحسب خبرتي لا أستطيع أن أنكر أن هذه هي الحال وفقًا للفهم البشري. ولكن لم أكن آنذاك أتمتع بعد بالفهم البشري. كان الصندوق أمامي. افتح حائط الألواح، واقضم بأسنانك لتصنع ثقبًا، اضغط لتمرر نفسك عبر الفتحة، التي لا تكاد تتيح النظر عبرها، ورحبت بها أنت لدى الاكتشاف الأول بصرخة عدم الفهم الجذلة. إلى أين تريد أن تذهب؟ خلف اللوح توجد الغابة.

كان صيفًا، رقدنا على النجيل، كنا متعبين، مساء، حل المساء، هل تتركنا نرقد هنا، ابقوا راقدين

كلتا يديّ بدأتا مصارعة. أغلقتا الكتاب الذي كنت أقرأه وأزاحتاه جانبًا، كي لا يزعج. أدتا التحية لي ونصبتاني حكمًا. وبالفعل تشابكت الأصابع وتصارعت على حافة المائدة، تارة يمينًا وتارة يسارًا، بحسب الضغط المفرط لهذه اليد أو تلك. لم أغب عنهما ولو للحظة. فطالما أنهما يداي، لا بد أن أكون حكمًا عدلًا، وإلا سأُعلق بنفسي في رقبتي معاناتي من حُكم خاطئ. لكن مهمتي ليست سهلة، ففي الظلمة بين الكفين تُستخدم حيل عديدة، لا يجوز أن أتركها تمر وكأنني لم ألتفت لها، لذا أسند ذقني على المائدة ولا يفوتني الآن أي شيء. طوال حياتي كنت أفضل اليمنى على اليسرى دون أي نية سيئة تجاه اليسرى. فلو قالت اليسرى أي شيء، لكنتُ- طبعًا ومستقيمًا كما أنا- أوقفت في الحال هذه الإساءة. لكنها لم تحرك ساكنًا، تدلت عالقة بي، وبينما كانت اليمنى تؤرجح قبعتي أثناء السير في الزقاق، كانت اليسرى تتحسس بخوف فخذي الأيسر. وكان هذا استعدادًا سيئًا للمصارعة التي تجري الآن. كيف يمكن لك أيتها اليد اليسرى أن تصمدي على الدوام أمام هذه اليمنى الجبارة؟ كيف يمكن لأصابِعك الأنثوية أن تثبت نفسها في قبضة الأصابع الخمس الأخرى؟ لم يعد يبدو لي أن تلك مصارعة، بل هي نهاية طبيعية لليسرى. لقد زُج بها إلى الطرف الأيسر القصي من المائدة، واليمنى نزلت عليها من أعلى ومن أسفل بضربات منتظمة وكأنها سلاح آلي. ولو لم تخطر لي -نظرًا لهذا المأزق- هذه الفكرة المخلِّصة بأنهما يداي، وأنني بدفعة خفيفة أستطيع أن أبعدهما عن

بعضهما وأنهي بذلك المصارعة والمأزق- لو لم تخطر لي هذه الفكرة، لانكسرت اليسرى من الرسغ، وأُطيح بها من المائدة، ولربما في الاندفاع الأهوج للمنتصر، تنتبه اليمنى لي وكأنها كلب الجحيم خماسي الرؤوس وتضرب وجهي. عوضًا عن ذلك ترقد الاثنتان فوق بعضهما واليمنى تربت ظهر اليسرى وأنا الحكم غير الأمين أومئ موافقًا على ذلك.

السادة الأجلاء من الأكاديمية

إنكم تشرفونني بطلب تقديم تقرير للأكاديمية عن حياتي السابقة كقرد.

للأسف لا أستطيع أن ألبي طلبكم بهذا الخصوص. تفصلني نحو خمس سنوات عن حياة القرود، وهي فترة ربما تكون قصيرة في الرزنامة، لكن الركض عبرها بسرعة كبيرة، مثلما فعلت أنا، طويل طولًا لانهائيًا، وكنت مصحوبًا لبعض المسافات بأناس رائعين ونصائح وتصفيق وموسيقى أوركسترالية، لكنني كنت في الأساس بمفردي، لأن كل مرافقة كانت تبقى بعيدًا عن الحاجز كي تكون مطلعة على الوضع. وهذا الإنجاز كان سيكون مستحيلًا، لو أردت أن أتمسك بعناد بأصلي وذكريات شبابي. التخلي عن العناد بالذات كان هو الواجب الأعلى الذي فرضته على نفسي؛ أنا القرد الحر أخضعت نفسي لهذه العبودية. لكن من خلال ذلك انغلقت الذكريات من جانبها أمامي أكثر فأكثر، وإذا كانت عودتي- لو أراد البشر ذلك -متاحة في البداية عبر كل البوابة التي تشكل السماء فوق الأرض، فقد أصبحت هذه البوابة بسبب تطوري المدفوع بالسوط دفعًا أدنى وأكثر ضيقًا. لقد شعرت أنني أكثر راحةً وانعزالًا في عالم البشر؛

والعاصفة التي هبت عليّ من ماضيّ، حتى اقشعر ظهري، هدأت، واليوم أصبحت مجرد تيار هوائي، يُبرد عقبيّ والثقب البعيد الذي يأتي منه، والذي أتيت منه للمرة الأولى، أصبح صغيرًا للغاية، لدرجة أنه حتى لو كانت قواي وإرادتي كافية عمومًا، لكي أعدو عائدًا إلى هناك، فلا بد أن فرائي سيُنتزع عن جلدي، لكي أنفذ عبره. بصراحة: بقدر ما أحب اختيار صور لهذه الأشياء، بصراحة فإن حياتكم كقرود، أيها السادة، إذا كنتم خلفتم شيئًا كهذا ورائكم، لن تكون بعيدة عنكم أكثر من بعد حياتي كقرد عني. لكن كل من يمشي هنا على الأرض يُدغدغ كاحله: سواء أكان الشمبانزي الصغير أو أخيل العظيم.

لكنني أستطيع بالمعنى الأضيق أن أرد على طلبكم بل وأفعل ذلك بسعادة بالغة. أول شيء تعلمته كانت المصافحة؛ المصافحة دليل على الصراحة. ربما من الممكن اليوم وأنا في ذروة مسيرتي المهنية، أن أضيف إلى تلك المصافحة الأولى كلمة صريحة؛ لن تضيف هذه الكلمة إلى الأكاديمية شيئًا جوهريًا، وستبقى بعيدًا وراء ما هو مطلوب مني، ووراء ما لا أستطيع أقوله رغم حسن النوايا- على أي حال، فمن شأن هذه الكلمة أن توضح التوجه الذي دخل به قرد سابق إلى عالم الإنسان ورسخ وجوده هناك.

لكن حتى هذا القليل الذي سيأتي، ما كنت سأتمكن من قوله، لو لم أكن واثقًا تمامًا من نفسي، ولو لم أرسخ مكانتي على كل مسارح المنوعات في العالم المتحضر، لدرجة أصبحت فيها غير قابلة للتزعزع.

أنا أنحدر من ساحل الذهب. اعتمد على تقارير لآخرين غرباء فيما يخص كيفية اصطيادي. اختبأت بعثة استكشاف شركة هاغنبيك-

بالمناسبة لقد شربتُ مع قائدها منذ ذاك الوقت بضع زجاجات من النبيذ الجيد- وسط أحراش ضفة النهر، عندما سرتُ في المساء في وسط القطيع إلى مورد الماء. أطلقوا النار، وكنت الوحيد الذي أُصيب، أصبت برصاصتين، واحدة في الخد وكانت بسيطة، لكنها خلفت ندبة حمراء كبيرة خالية من الشعر، هي التي أكسبتني اسم بيتر الأحمر المقيت وغير المناسب بتاتًا، وقد ابتدعه قرد حقًا، وكأن البقعة الحمراء على الخد هي ما يميزني عن القرد بيتر المُدرَّب المعروف في بعض الأماكن والذي نفق منذ وقت غير بعيد. هذه فقط ملاحظة هامشية. الطلقة الثانية أصابتني أسفل الخصر. كانت إصابة بليغة، وتسببت في أنني لا زلت أعرج ليومنا هذا. مؤخرًا قرأت في مقال لواحد من عشرات آلاف السفهاء الذين يصبون جام غضبهم عليّ في الصحف، أن طبيعتي كقرد لم تُكبت بعد تمامًا، وأن لدي ولعًا، عندما يأتي الزوار، في خلع البنطلون كي أشير إلى موضع دخول الطلقة. هذا الأحمق، ينبغي إطلاق النار على كل أُصيبع من أصابع يده الكاتبة. أنا، يجوز لي أن أخلع بنطلوني أمام من أرغب؛ لن يجد المرء شيئًا سوى فراء معتنى به والندبة الناجمة عن- فلنختر هنا لغاية ما كلمة معينة، لا يساء فهمها- الندبة الناجمة عن الطلقة الآثمة. كل شيء مكشوف للعيان، وليس ثمة شيء يُخفى، وإذا ما تعلق الأمر بالحقيقة، يتخلى كل كريم عن أكثر السلوكيات رقيًا. في المقابل لو خلع هذا الكاتب البنطلون عند قدوم زيارة، فسيكون لذلك على أي حال تقدير آخر، وأود أن أعتبر عدم فعله ذلك دليلًا على التعقل. لكن فليحل عني أيضًا بحسه المرهف.

بعد هاتين الطلقتين صحوت-وهنا بدأت تدريجيًا ذكرياتي- في

قفص في السطح البيني للمركب البخاري لشركة هاغنبيك. لم يكن قفصًا رباعي الجدران، بل كان له بالأحرى ثلاثة جدران فقط مثبتة بصندوق، شكّل الصندوق إذًا الحائط الرابع. وكان كل شيء واطئًا جدًا لا يسمح بالوقوف وضيقًا جدًا للجلوس على الأرض، لذا تقرفصت بركبتين مثنيتين ظلتا ترتعشان أبدًا، وقد استدرت نحو الصندوق لأنني لم أرغب في البداية في أن أرى أحدًا وأردت البقاء في الظلام، بينما انغرست قضبان القفص من الخلف في لحمي. اعتُبر المرء مثل هذا النوع من حبس الحيوانات البرية في الفترة الأولى مفيدًا ومن خبرتي لا أستطيع اليوم أن أنكر أن الأمر كذلك حقًا بالمفهوم الإنساني.

آنذاك كنت لأول مرة في حياتي من دون مخرج. على الأقل لم يكن ممكنًا التحرك للأمام في خط مستقيم، فأمامي كان الصندوق بألواحه المتلاصقة ببعضها. صحيح أنه كانت توجد على الأقل فجوة تمر عبر هذه الألواح، وعندما اكتشفتها رحبت بها بصرخات الجنون الجزلة، لكن هذه الفجوة لم تكن تكفي حتى لحشر الذيل فيها، ولم يكن توسيعها بكل قوة القرود ممكنًا.

وبحسب ما قيل لي لاحقًا، فإنني وعلى غير المألوف لم أحدث إلا القليل من الضجيج، وقد استنتجوا من ذلك أنني إما سأنفق قريبا، أو أنني سأكون أهلًا جدًا للتدريب إذا بقيت على قيد الحياة خلال الفترة الحرجة الأولى. لقد تجاوزت هذه الفترة. أنين مكتوم، وبحث مؤلم عن البراغيث ولعق متعب لجوزة هند والدق بالجمجمة على حائط الصندوق وإخراج اللسان عندما يقترب أحد مني- تلك كانت

انشغالاتي في الحياة الجديدة. لكن مع ذلك بقي الشعور الوحيد: هو عدم وجود مخرج. بالطبع لا أستطيع أن أعيد وصف ما شعرته آنذاك كقرد بكلمات بشرية، وأسجله وفقًا لذلك، ولكنني عندما لا أعود قادرًا على استعادة حقيقة قردية، فإنها موجودة على الأقل في اتجاه وصفي هذا، ولا شك في ذلك. كنت أريد مخرجًا.

كانت لدي مخارج كثيرة حتى ذاك الوقت، والآن لم يعد لدي أي منها. لقد تورطت. ولو كانوا ثبتوني بمسمار، لما كانت حريتي ستكون أقل. لماذا؟ حتى لو خدشت لحمك بين أصابع القدم، فلن تجد السبب. اضغط نفسك منزلقًا صعودًا وهبوطًا على قضبان القفص، حتى تنقسم إلى جزئين تقريبًا، ولن تجد السبب. لم يكن لدي مخرج، وكان يتحتم عليّ أن أجد المخرج، فمن دونه لا أستطيع العيش. لو بقيت دائمًا ملتصقًا بحائط الصندوق- لهلكت لا محالة. لكن حائط الصندوق هو مكان القرود لدى هاغنبيك- وعلى هذا النحو توقفت أن أكون قردًا. إنه تسلسل واضح وجميل للأفكار، لا بد أنني قد خططت له في بطني، فالقرود تفكر ببطنها.

أخشى من ألا يفهم المرء بالضبط مفهومي عن المخرج. إنني استخدم الكلمة بمعناها المألوف والتام. عن عمد، لا أقول الحرية. فأنا لا أعني هذا الشعور الهائل بالحرية في كل النواحي. كنت أعرفه ربما كقرد، وعرفت أناسًا، يتوقون إليه. لكن فيما يخصني، فلم أطلب الحرية آنذاك ولا اليوم. وإلى جانب ذلك: ينخدع المرء في أحيان كثيرة جدًا في الحرية بين البشر. وكما أن الحرية تعد من أسمى المشاعر، فإن الإحباط منها يكون بالقدر نفسه من أسمى

الإحباطات. كثيرًا ما رأيت في مسرح المنوعات قبل بداية عروضي زوجًا من الفنانين يمسكان بالأرجوحة في الأعلى عند السقف ويتمايلان ويتأرجحان ويقفزان، ويحلقان متعانقين، أحدهما يمسك الآخر من شعره بأسنانه «هذه أيضًا حرية إنسانية»، هكذا ظننت «حركة بها تحكم تام.» يا لاستهزاء الطبيعة المقدسة! لن يحول أي شيء دون ضحكات القرود عند رؤية هذا المنظر.

لا، لم أرغب في الحرية. فقط في مخرج. ولو وصلت إلى أي موضع ما، لم أكن لأرغب في أن أكون مثبتًا في حائط صندوق أو ما شابه وإنما أردت مخرجًا، على اليمين أو اليسار، في أي اتجاه، لم أضع مطالب أخرى، ولو كان المخرج مجرد خداع، فإن المطلب كان صغيرًا، ولن يكون الإحباط أكبر منه. الاستمرار للأمام، فقط الاستمرار للأمام، فقط عدم الوقوف ساكنًا بذراعين مرفوعين ومضغوطًا على حائط صندوق.

اليوم أرى بوضوح: من دون الهدوء الداخلي ما كنت لأحقق ذلك قط. وحقًا ربما أدين له بكل ما أصبحته. الهدوء الذي غمرني بعد الأيام الأولى في السفينة. لكنني بدوري أدين بهذا الهدوء على الأرجح للناس على السفينة. إنهم رغم كل شيء أناس طيبون. عن طيب خاطر أتذكر ليومنا هذا وقع خطاهم الثقيلة، الذي تردد صداه في غفوتي آنذاك. كانت لديهم عادة أن يقوموا بعمل كل شيء ببطء فائق. وإذا أراد أحدهم أن يفرك عينيه، كان يرفع اليد وكأنها ثقالة حديد. ومزحاتهم كانت فظة لكنها من القلب. وضحكهم كان ينتهي دائمًا بسعال يبدو وقعه خطيرًا، لكنه لا يعني شيئًا. دائمًا ما كان

لديهم في الفم شيئًا يبصقونه، ولم يكونوا يبالون أين يبصقون. دائمًا ما كانوا يشتكون أن براغيثي تتقافز عليهم، لكنهم مع ذلك لم يغضبوا مني بحق قط. كانوا يعرفون كذلك أن ثمة براغيث ترعى في فرائي، وأن البراغيث تقفز. لقد تقبلوا ذلك. وعندما لا يكون لديهم عمل، كان بعضهم يجلس حولي على الأرض أحيانًا في نصف دائرة. بالكاد كانوا يتحدثون، وإنما يهمهمون فقط لبعضهم كالحمام. ويدخنون الغليون وهم ممدون فوق الصندوق. ويخبطون على ركبهم بمجرد أن أقوم بأدني حركة. ومن حين لآخر كان أحدهم يأخذ عصا ويدغدغني به في المكان الذي أجده مريحًا. لو دُعيت اليوم للمشاركة في رحلة على هذه السفينة لرفضت الدعوة بالتأكيد، لكن المؤكد أيضًا أنها لم تكن ذكريات كريهة فقط، تلك التي كنت سأتعلق بها هناك في السطح البيني للسفينة.

الهدوء الذي اكتسبته في محيط هؤلاء الناس، منعني في المقام الأول من أي محاولة للهروب. من منظور اليوم يبدو وكأنني أدركت على الأقل، أن عليّ أن أجد مخرجًا، إذا أردت الحياة، وأن هذا المخرج لا يمكن الوصول إليه عبر الهروب. لم أعد أعرف إن كان الهروب ممكنًا، لكنني أعتقد أنه يفترض أن الهروب ممكن دائما للقرود. بأسناني الحالية لا بد أن أكون حذرًا عند تكسيري للنُقل، لكن في الماضي كنت سأتمكن على الأرجح بمرور الوقت من قضم قفل الباب. لكنني لم أفعل. لكن ماذا كنت سأجني من ذلك. كانوا سيقبضون عليّ ثانية بمجرد أن أخرج رأسي ويحبسونني في قفص أسوأ أو كنت سألجأ على نحو غير لافت إلى حيوانات أخرى في الجهة المقابلة، كالحيات الضخمة مثلًا التي كنت سألفظ آخر أنفاسي

في عناقها أو كنت سأتمكن من التسلل حتى سطح السفينة، وأقفز من فوقه، ثم كنت سأتأرجح لبعض الوقت في المحيط وأغرق. أفعال يائسة. لم أكن أحسب حساباتي على هذا النحو الإنساني، لكن تحت تأثير البيئة المحيطة بي، تصرفت هكذا وكأنني قد حسبت.

لم أحسب، ولكن راقبت بكل هدوء. رأيت هؤلاء الناس يروحون ويجيئون، دائمًا الوجوه نفسها، والحركات نفسها وكثيرًا ما بدا لي وكأنهم شخص واحد فقط. هذا الإنسان أو هؤلاء البشر كانوا يسيرون إذًا في طمأنينة. وبزغ لي هدف سامٍ. لم يعدني أحد بأنني لو أصبحت مثلهم، سيُفتح القفص. لم تقدم مثل هذه الوعود التي يبدو تحقيقها مستحيلًا. لكن إذا ما تحققت الأمور، تظهر الوعود في وقت لاحق، هناك حيث بحث المرء عنها في الماضي. حسنًا لم يكن في هؤلاء البشر شيئًا يجذبني جدًا. ولو كنت من أنصار هذه الحرية المذكورة، لكنت بالتأكيد فضلت المحيط على المخرج الذي انفتح أمامي عند مرأى هؤلاء الناس.

«الكراسة ج»

وقفتْ عند الشباك ونظرتْ إلى الحارة الهادئة بالأسفل. خلفها في الحجرة الصغيرة رقد رجل مرتديًا ملابس الخروج على السرير ونام. دخل جار وجال ببصره وذهب مرة أخرى. وعندما اشتعلت المصابيح في الحارة، تركتْ الشباك وبدأتْ التحضيرات لعمل القهوة.

عربة بائسة حتى بالنسبة للطريق الزراعي المكتظ بالبؤس. رقدت جدة وأم وثلاثة أطفال على القش تحت سقف العربة الواطئ. وقاد الأب مع طفل رابع على يساره، وممسكًا بالزمام في يمناه، الحصان المتمايل في سيره للأمام. عندما وصلوا إلى بوابة المدينة

أ: ما الذي يعذبك

ب: كل شيء غير مفهوم لي. لا أفهم شيئًا.

كان بإمكاني أن أكون راضيًا جدًا. أنا موظف في إدارة البلدية. ما أجمل أن تكون موظفًا في إدارة البلدية. قليل من العمل، وراتب كاف، والكثير من وقت الفراغ. وتقدير مبالغ فيه في كل المدينة. لو تخيلت وضع موظف في البلدية بدقة، لحسدته لا محالة. والآن أنا

موظف في البلدية - ووددت لو أستطيع أن أعطي كل هذه المكانة لقطة المكتب لكي تلتهمها، هي التي تتجول كل صباح من غرفة لأخرى لكي تجمع بقايا وجبة الفطور المتأخر.

لا أعرف مخرجًا

أستطيع أن أكون أعمق

إذا مت في الفترة المقبلة أو أصبحت غير قادر على الحياة- هذا الاحتمال كبير نظرًا لأنني كححت في الليلتين الماضيتين كحة دامية عنيفة، فيجوز لي القول إذًا، أنني مزقت نفسي. وإذا كان أبي قد اعتاد في السابق أن يقول في تهديد عنيف وفارغ: سأمزقك كالسمكة- وفي الحقيقة لم يمسني بإصبع واحد- فإن تهديده يتحقق الآن من دونه. العالم- وف[1] هي ممثلته- وأناي نمزق جسدي في نزاع لا حل له.

أتعتقد؟ لا أدري.

كان من المفترض أن أدرس في المدينة الكبيرة. انتظرتني العمة في المحطة. رأيتها مرة، عندما كنت في المدينة مع والدي. والآن لم أكد أتعرف عليها.

---

(١) إشارة إلى خطيبته فيليتسه باور. (المترجم)

ثمة سحنة في فتحة المروحة بأعلى.

ساعدني! ساعدي نفسك
أستتركني؟ نعم
ماذا فعلت لك؟ لا شيء

ق. ساكنًا. اليوم سأبدأ أنا. لقد خدمتني سبع سنوات. كان أجرك جيدًا، وأُغدق عليك بالهدايا. ولديك أيضًا فيلا على البحر. وأغلب الظن أن هذا الآن كاف، وحتى وإن كنتُ في هذه اللحظة أبعد ما أكون عن الإنقاص من إنجازاتك. إطلاقًا؛ لقد كنت جيدًا. ولذلك سأدفع لك اليوم، وأنا أسرحك، ألف غيلدر ذهبي إضافية. هل لديك أي اعتراض؟

م. تسرحني؟

ق. نعم، نعم، علينا أن نتجاوز هذه النقطة. إنني أسرحك الآن. لقد سئمتك. تشعرني بالملل، ليس كثيرًا ولكن مع ذلك بعض الشيء. ونظرًا لأنه يتحتم على المرء تحمل الكثير من الملل من كل الآخرين، ألا يكون صارمًا في ذلك حقًا مع المهرج بالذات- لذلك إذًا.

م. بهذه الوحشية!؟

ق. نعم. أو حتى لا. أنت، وكما قلت لك الآن، منبوذ من طرفي. لو لم توافقني الرأي، ورأيت أنك مسلٍ، عندئذ

أيها الغراب، قلت، يا غراب النحس العجوز، ماذا تفعل دائمًا في طريقي. أينما ذهبت، تجلس وتنفض ريشاتك القليلة. مزعج!

نعم، قالها وتحرك أمامي جيئةً وذهابًا برأس منكس مثل المدرس أثناء إلقاء الدرس، هذا صحيح، يكاد الأمر أن يكون غير مريح لي أيضًا. أتساءل لماذا

الغابة والنهر- هكذا سبحا ماريْن من أمامي، بينما كنت أسبح في الماء

دعني!
إلى أين تريد الذهاب؟
إنهم ينتظرون بالخارج.
من ينتظر؟
لا أدري.
لقد كذبت إذًا.
لا

أخيرًا جاء إلى المدينة التي كان يفترض أن يدرَس فيها. وجد غرفة، وأفرغ حقيبة ملابسه، وأخذه أحد أبناء بلده، ممن سكنوا هنا منذ فترة طويلة، في جولة عبر شوارع المدينة. وبالصدفة تمامًا انتصبت في نهاية شارع انفتح جانبًا كل الغرائب الشهيرة المصورة في كل كتب المدارس. التقط أنفاسه أمام هذا المنظر واكتفى ابن بلده بالتلويح بذراعه نحوها.

أيها المحتال العجوز، ماذا لو قمنا هنا مرة بوضع الأمور في نصابها؟

لا لا، سأقاوم ذلك بشدة.

لا شك لدي في ذلك. ومع ذلك سيتحتم التخلص منك.
سأحضر أقاربي.
توقعت هذا أيضًا. هم أيضًا سيُقذف بهم بعيدًا.

من أين أنت قادم؟
دعني.
إنك تسهل الأمور على نفسك. لا يجوز للمتشردين أن يتكلموا هكذا. لدينا الحق أن نسأل أي نوع من الناس يريد أن يستريح لدينا.
أنا هرقل.
اسم غريب، أعطيته لنفسك. وهذا ما يزيد من أهمية أن نعرف من أين أنت.
سؤال ممل، ألا تعرف من هو هرقل.
أيها المبارك! أأنت نصف الإله العظيم هرقل؟ تبقى فقط كلمة واحدة فحسب!
نعم:

صمت

هل تعرف حارس الحديقة؟
نعم بالتأكيد.
هل تعتقد أيضًا أنه مجنون؟

مهما كان الشيء الذي يجذبني بين حجري الطاحونة اللذين يسحقانني في العادة، أشعر به، بشرط ألا يجلب معه آلامًا جسدية شديدة للغاية، وكأنه عمل خيري.

عادل ولكن فظ

الحلم بالمرأة المريضة التي أخدمها في سيارة الإسعاف والتي تضربني بناء على طلبي.

الشرفة الصغيرة تقع مباشرة تحت الشمس، والسد يهدر بهدوء وباستمرار

لا شيء يوقفني.
الأبواب والنوافذ مفتوحة
الشوارع واسعة وخالية

ك. كان ساحرًا عظيمًا. كان برنامجه متكررًا بعض الشيء، لكن نتيجة للوثوق التام في إنجازه، كان جذابًا باستمرار. لا زلت أتذكر العرض الذي رأيته فيه لأول مرة بدقة تامة، رغم أنه كان من عشرين عامًا، وكنت ساعتها ولدًا صغيرًا. جاء إلى مدينتنا الصغيرة من دون إعلان مسبق، وأقام العرض مباشرة في مساء يوم وصوله. في غرفة الطعام الكبيرة في فندقنا تُركت مساحة فارغة قليلة حول مائدة في المنتصف،- كان هذا هو كل التحضير المسرحي. وحسبما أذكر كانت القاعة مكتظة، حسنًا بالنسبة لأي طفل يبدو كل مكان - تشتعل في الأضواء ويسمع فيه ضجيج أصوات الكبار، ويتحرك فيه نادل جيئة وذهابا، وما شابه ذلك - مكتظًا. لم أعرف أيضًا لماذا حضر أناس كثيرون إلى هذا العرض الذي كان واضحًا أنه أُقيم على عجل،

على كل حال يلعب الاكتظاظ المتوهم للقاعة في ذاكرتي بالطبع دورًا حاسمًا في تكوين الانطباع الكلي لدي عن العرض.

ما ألمسه ينهار.

مر عام الحداد
أجنحة الطيور كانت مرتخية
تعرى القمر في الليالي الباردة
أشجار اللوز والزيتون نضجت منذ زمن بعيد.

العمل الخيري لكل السنين

محصل ضريبة الطرق

جلس يتفحص حساباته. أعمدة طويلة. أحيانًا كان يتحول عنها ويضع وجهه بين يديه. ماذا نتج عن الحسابات؟ حسابات كثيبة، كثيبة.

ماذا تريد

بالأمس كنت للمرة الأولى في مقار الإدارة. اختارتني نوبتنا الليلية كمندوب لها ونظرًا لأن تصميم وملء مصابيحنا كان غير كافٍ، فمن المفترض أن أطالب بإلحاح بإنهاء هذه الأوضاع السيئة. أروني المكتب المختص. طرقت على الباب ودخلت. ابتسم في وجهي شاب لطيف وشاحب جدًا من وراء مكتبه الكبير. أومأ برأسه كثيرًا، أكثر من اللازم. لم أدر إن كان ينبغي عليّ أن أجلس، صحيح أنه

كان ثمة مقعد متاح، لكنني قلت لنفسي، في زيارتي الأولى ربما ليس من الضروري أن أجلس في الحال، وهكذا حكيت القصة واقفًا. لكن من الواضح أنني من خلال هذا التواضع بالذات قد تسببت للشاب في صعوبات، لأنه كان عليه أن يدير وجهه لي ولأعلى، إذا لم يرغب في تغيير وضع مقعده، ولم يرغب في ذلك. ومن ناحية أخرى ورغم استعداده الكامل لم يدر رقبته بشكل كامل، ولذلك نظر أثناء حكيي والتفاته بانحراف إلى السقف بأعلى، وتتبعت أنا بشكل لاإرادي نظراته. وعندما انتهيت، نهض ببطء وربت على كتفي وقال: هكذا، هكذا-هكذا هكذا، ودفع بي إلى الغرفة المجاورة، حيث من الواضح أن سيدًا بلحية كبيرة وغير مشذبة كان في انتظارنا، لأنه لم يكن ثمة أي أثر للعمل على مكتبه. في المقابل أدى باب زجاجي مفتوح إلى حديقة صغيرة اكتست بوفرة بالزهور والشجيرات. معلومة صغيرة مكونة من بضع كلمات همس بها الشاب كانت كافية للسيد لكي يستوعب شكوتنا المتعددة الأوجه. إذًا يا عزيزي- تلعثم، وظننت أنه يريد أن يعرف اسمي، ولذلك فتحت فمي لكي أقدم نفسي من جديد، لكنه استطرد في الأثناء: نعم، نعم كل شيء على ما يرام، كل شيء على ما يرام، أنا أعرفك معرفة دقيقة جدًا- إذًا التماسك، أو التماسكم مبرر بالتأكيد، وأنا والسادة من الإدارة، نحن آخر من لا يضع ذلك في الاعتبار. صدقني، مصلحة الناس مهمة لنا أكثر من مصلحة المصنع. ولم لا؟ يمكن إعادة إنشاء المصنع، إنه يكلف المال فقط، اللعنة على المال، لكن إذا ما قضى إنسان، عندئذ يكون إنسان قد قضى، وتبقى الأرملة والأطفال. يا إلهي! لذلك فإننا نرحب للغاية بكل اقتراح يقود إلى أمان جديد وارتياح جديد وراحة وترف جديدين. من يأت به هو رجلنا. إذًا ستترك لنا أفكارك هنا،

وسنفحصها بدقة، وإذا ما كان ينبغي إضافة أي مستجدات مبهرة صغيرة، فلن نعارض ذلك بالتأكيد، وحتى الانتهاء من كل شيء، ستحصلون على مصابيحكم. ولتقل هذا لناسك بالأسفل: لن يهدأ لنا بال حتى نحول عششكم إلى صالونات. وإن لم تتجولوا في نهاية المطاف مرتدين أحذية لميع، فلن يكون شيء غير ذلك. وبذلك يمكنك الانصراف بلطف!

كانت حفلة كبيرة ولم أكن أعرف أحدًا، ولذلك اعتزمت أن أكون في البداية صامتًا تمامًا واكتشف ببطء هؤلاء الذين أستطيع الاقتراب منهم على أفضل نحو، ثم انضم بمساعدتهم إلى باقي الناس. كانت الغرفة ذات النافذة الوحيدة ضيقة بما يكفي، لكن ما يقرب من عشرين شخصًا كانوا هنا. وقفت عند الشباك المفتوح، وحذوت حذو الآخرين الذين اعتادوا أن يحضروا سجائر من موائد جانبية ودخنتُ في هدوء. للأسف لم أفهم رغم كل انتباهي عما يدور الحديث. ذات مرة، هكذا بدا لي، دار الحديث عن رجل وامرأتين، ثم جرى الحديث من جديد عن امرأة ورجلين، لكن نظرًا لأن الحديث دار حول الأشخاص الثلاثة أنفسهم، فإن عدم فهمي للأشخاص موضوع النقاش، وبالطبع كذلك بدرجة أقل بكثير لقصة هؤلاء الأشخاص، قد يرجع فقط إلى خمولي. وقد طُرح السؤال- وبدا لي ذلك فوق كل شك- حول القبول أخلاقيًا بسلوك هؤلاء الأشخاص الثلاثة أو على الأقل بسلوك واحد منهم، من عدمه. أما القصة نفسها، المعروفة للجميع، فلم تعد تُذكر في هذا السياق.

في المساء على النهر. قارب في الماء. الشمس الغاربة في السحب

سقط أمامي. أقول لكم إنه قد سقط قريبًا جدًا مني، قرب هذه الطاولة التي استند إليها. هل أنت مجنون؟ صرخت. كان ذلك بعد منتصف الليل بفترة طويلة، كنت قادمًا من حفلة، ولدي رغبة في أن أتمشى قليلًا بمفردي والآن تهاوى هذا الرجل أمامي. لم أكن أستطيع أن أرفع هذا العملاق، ولم أرغب في أن أتركه راقدًا في هذه المنطقة الموحشة التي لا يُرى فيها أحد لا من قريب ولا بعيد.

لدي ثلاثة كلاب: «أمسكه» و«ألمسه» و«أبدًا». «أمسكه» و«ألمسه» هما كلبان من كلاب الراتّر العادية، ولا أحد سينتبه لهما، لو كانا لوحدهما، لكن هناك كذلك «أبدًا». «أبدًا» كلب ضخم وغد، وهكذا يبدو وكأن التربية الأكثر عناية على مدى قرون ما كانت على الأغلب لتحقق أهدافها. «أبدًا» غجري،

تدفقت الأحلام عليّ، رقدت متعبًا ويائسًا في سريري

رقدت مريضًا. ولأنه كان مرضًا عضالًا، أخرجوا فرشتيّ القش الخاصتين بزميليّ في الغرفة، وبقيت لأيام وليالٍ وحيدًا.

كنت مريضًا مرضًا عضالًا، ولأن أحدا لم يأت لزيارتي، تأتيني أولًا هذه الزيارات التي كنت أرغب بشدة في منعها، لو كان الأمر بيدي

طالما كنت سليمًا، لم يهتم أحد بي. وكان هذا عمومًا مناسبًا

تمامًا لي، لا أريد أن أبدأ الآن في التشكي من ذلك بعد أوانه، لكن أريد فقط أن أبرز الفرق: بمجرد أن أصبحت مريضًا، بدأت الزيارات وهي تجري دون انقطاع تقريبًا ولم تتوقف ليومنا هذا.

سافر عديم الرجاء بقارب صغير حول رأس الرجاء الصالح. كان الوقت صباحًا، هبت ريح قوية، رفع عديم الرجاء شراعًا صغيرًا واستند بظهره للوراء في هدوء. ماذا عساه أن يخشى في القارب الصغير الذي انزلق بغاطسه الضئيل فوق كل صخور هذه البحار الخطيرة بحذق كائن حي.

حياة الطالب الفقير صعبة جدًا.

كل ساعات وقت فراغي- هي كثيرة في حد ذاتها، لكن رغمًا عني يتحتم عليّ النوم خلالها طويلًا، لكي أتحمل الجوع-

---

معظم ساعات فراغي أقضيها مع «أبدًا». على أريكة من طراز لوحة مدام ريكامير، لا أعرف كيف انتقلت قطعة الأثاث هذه إلى عليّتي، ربما كانت في طريقها لغرفة الكراكيب، ثم بقيت باستقلال تام في غرفتي.

يرى «أبدًا» أن الأمور لا يمكن أن تستمر هكذا ولا بد من إيجاد مخرج. أنا أيضًا مبدئيًا مع هذا الرأي، لكنني أُظهر أمامه شيئًا مختلفًا. يجري في الغرفة ذهابًا وإيابًا، يقفز أحيانًا على المقعد، يمزق بأسنانه قطعة السجق الصغيرة التي وضعتها له. ثم ينقرها بقدمه في اتجاهي ويبدأ دورة الجري من جديد.

أ. ما تنوي القيام به مهمة خطيرة، بغض النظر عن رأي المرء فيه. بالطبع ثمة أمور أصعب. مثلًا تسلق جبل مونبلان أصعب. لكن على الأقل يحتاج الأمر للكثير من القوة. هل تشعر بهذه القوة داخلك؟

ب. لا، لا يجوز لي قول ذلك. أشعر بفراغ ولكن لا أشعر بأي قوة.

ما تنوي القيام به، هو مهمة صعبة وخطيرة، بغض النظر عن الزاوية التي أراد المرء أن ينظر لها. لكن على المرء أيضًا ألا يبالغ، لأنه ثمة أمور أصعب وأخطر. وربما هناك بالذات حيثما لا يتوقع المرء، وحيثما ينخرط المرء في عمله على نحو مسالم ودون تأهب. هذا هو رأيي في الحقيقة، وبالطبع لا أسعى من خلاله أن أعطلك عن خططك ولا أن أقلل من هذه الخطط. إطلاقًا. من دون شك تتطلب قضيتك الكثير من القوة، وهي تستحق أيضًا حقًا القوة المبذولة من أجلها. نعم، هل تشعر فعلًا بهذه القوة في داخلك؟

عبرت البوابة الجنوبية ممتطيًا. عند البوابة مباشرة بُني نُزل كبير، وأردت أن أبيت هناك. قدت بغلي إلى الاصطبل الذي كان ممتلئًا بحيوانات الركوب، لكنني وجدت مع ذلك مكانًا صغيرًا باقيًا آمنًا. ثم صعدت إلى إحدى الشرفات وفرشت غطائي ورقدت لأنام.

السيد بيتر الأحمر المحترم

لقد قرأت باهتمام كبير التقرير الذي كتبته إلى أكاديميتنا للعلوم، أجل بقلب خافق. لا عجب، فأنا معلمك الأول الذي وجدت له في

ذاكرتك كلمات ودودة. ربما كان بالإمكان مع شيء من التفكير تجنب ذكر إقامتي في المصحة، لكنني أقدر أن تقريرك كله المتميز جدًا بصراحته لا يجوز أيضًا أن يتكتم على التفاصيل الصغيرة، إذا ما خطرت لك أثناء الكتابة، رغم أنني متورط فيها قليلًا. لكن ليس هذا ما أردت الحديث عنه في الحقيقة، ثمة أمر آخر يهمني.

ذهبت إلى هناك من دون فائدة! وفي الناحية الأخرى وقف معزيان،

وحده الليل هو وقت التدريب المتعمق.

أيتها الحية الحلوة، لماذا تبقين بعيدة، اقتربي، اقتربي أكثر، كفى، لا تتقدمي أكثر، ابقي هناك. آه بالنسبة لك لا توجد حدود. كيف يمكن لي إذًا أن أسيطر عليك، إذا لم تعترفي بأي حدود. سيكون عملًا صعبًا. سأبدأ باستئذانك أن تلتفي حول نفسك. قلت لك التفي حول نفسك، وأنت تتمددين. ألا تفهمينني؟ إنك لا تفهمينني. مع أني أتحدث بوضوح: التفي حول نفسك! لا أنت لا تستوعبين. سأريك إذًا بالعصا. في البداية عليكِ أن تصنعي دائرة كبيرة ثم تصنعي بالداخل دائرة ثانية ملتصقة بالأولى وهكذا وهكذا. وفي النهاية تبقين رأسك الصغير عاليًا، وهكذا تخفضينه ببطء على نغمة الناي الذي سأعزفه لاحقًا، وإذا توقفت عن العزف، تبقين أنت أيضًا ساكنةً برأسك في الدائرة الداخلية الأضيق.

قادوني إلى حصاني، لكنني كنت مريضًا جدًا. رأيت الحيوان الرشيق المرتعش بحمى الحياة.

هذا ليس حصاني، هكذا قلت عندما أخرج لي خادم الفندق في الصباح حصانًا. حصانك كان هو الحصان الوحيد في الاصطبل هذه الليلة، قال الخادم ونظر لي مبتسمًا، أو كما بدا لي، مبتسمًا بتحدٍ. لا، قلت له، هذا ليس حصاني. انفلتت الحقيبة الجلدية من يدي، استدرت وصعدت إلى الغرفة التي كنت قد تركتها لتوي.

أ. هل كان هنا

ب. لقد انصرف لتوه.

أ. أدركت ذلك. ماذا كان يرتدي؟

ب. بذلة رمادية فاتحة، مألوفة جدًا. وسلسلة ساعة ذهبية معلقة على الصديري بالعرض

أ. كيف كان مزاجه؟

ب. لم يكن ثمة شيء مميز. تحدثنا عن الأعمال.

أ. إلى أين ذهب؟

ب. قال إن عليه أن يذهب للبنك.

أ. ألف ألف شكر.

ب. شكر؟

أ. يذهب

ب. يرتب بعض الأشياء في الغرفة.

الخادم: إنهم هنا.

ب. فليتفضلوا.

العروس، الأب. الأم. العروس.

ب. يا مرحبا يا مرحبا!

التُقطت صورة للدوقة، وهي تقف مع ابنتها وابنها في الساحة الكبيرة المزروعة بالنجيل أمام القصر.

«الكراسة ح»

الصغيرة،

أنا معتاد على الوثوق في سائقي في كل شيء. عندما وصلنا إلى سور أبيض عال يتقوس تدريجيًا في جانبه وأعلاه، توقفنا عن السير للأمام، وسرنا بحذاء السور ونحن نتحسسه، قال الحوذي في النهاية: إنه جبين.

قابلت أرتور أمس في الصباح الباكر، كان يريد، كما قال الذهاب إليّ، ولكن لأنني جئت بنفسي الآن صعدنا معًا إلى غرفته. كان لديه سجائر وعرق، وتحدثنا عن أمور عارضة

لقد شيدنا مكانًا صغيرًا لصيد السمك، كوخًا على البحر.

أناس غرباء يتعرفون عليّ. كان من الصعب عليّ أن أتمكن بحقيبة يدي الصغيرة من المرور عبر ممر عربة القطار المزدحمة. عندها ناداني من داخل ديوان شبه مظلم شخص من الواضح أنه غريب عني تمامًا وعرض عليّ الجلوس في مكانه.

أناس غرباء يتعرفون عليّ. مؤخرًا كان من الصعب عليّ خلال رحلة قصيرة عبور ممر عربة القطار المزدحمة بحقيبة يدي الصغيرة

ذات مرة ونتيجة لخطأ بقي نعش لليلة كاملة عندنا. لقد أخطأوا يوم الدفن

ذات مرة بقي نعش به جثة لليلة كاملة عندنا- لم أعد أذكر السبب. بالنسبة لنا أبناء حفاري القبور لم تكن النعوش شيئًا غريبًا، وعندما ذهبنا للنوم لم نكد نفكر في وجود جثة راقدة في الغرفة نفسها.

عندما استيقظت في الليل، كان في منتصف الغرفة نعش مفتوح. من السرير رأيت في داخله رجلًا هرمًا بلحية بيضاء طويلة ومقسومة

كان يومًا هادئًا وكئيبًا. نجيل ذابل يحيط بالدرجات الثلاث المؤدية لباب البيت. أعلى الدرج وقف رجل ونظر باتجاه عربة صعدت التلة ببطء ووقفت أمام البيت.

إزاحة للمصطلحات

الكاثوليكية (أيضًا من دون طلاق)

النزعة العسكرية الأيديولوجية

المغازلة

السخرية الألمانية

النزعة العسكرية ـ المكتب

توافق مسبق[1]

النزعة العسكرية لا تعني طبقة (مثلما هي الحال لدى قبائل الهيريرو)، وإنما إمكانية نجاح ميكنة الحرب، عند الضرورة كنزعة عسكرية أيديولوجية

دليل النمسا على سلمية الجيش (ضباط في الخدمة، عظماء رغم غياب الكراهية)

قدرة على الإقناع موجهة ضد القارئ

صعود الحزب الملكي في جملة الوصل
جملة الوصل وسيلة البلاغة السفسطائية

مع ذلك تنقص أسباب عديدة للكراهية الغائبة لدى العمال والملكيين

تفاصيل دقيقة أفكار للثأر وسيلة التربية للروح الجديدة noveau esprit

---

صعوبة التعميم كيف أعمم بدايةً عمال الحب

---

(١) يرجح راينر شتاخ مؤرخ سيرة كافكا أن يكون هذا التعليق والتعليقات السابقة والتالية عليه عبارة عن ملاحظات ساخرة لكافكا حول كتاب قرأه يتحدث مؤلفه عن «سلمية الجيش النمساوي» وأن ذاك الكاتب على توافق مسبق مع الجيش في كل شيء. (المترجم)

العمل كسعادة
يتعذر فهمه على علماء النفس

عن المتقاعدين، عبور سريع فقط لأمريكا
استعباد المستهلكين

تذكير للكاثوليك بأن يكونوا أقوى

اليهود طيبون

أيضًا للنمسا
فن الإدارة النمساوي

سخافات فيما يخص كانط

شعور بالغثيان بعد الكثير جدًا من علم النفس. إذا كان لأحد ساقين جيدتين وتُرك لعلم النفس، يمكن خلال وقت قصير أن يعود أدراجه كيفما اتفق في طرق متعرجة لا مثيل لها في أي حقل آخر. عندها تعبر عينا المرء

جشع؟

تنبؤ بذنبهم الأساسي

عن التاجر

المركز الكاثوليكي

أقف على قطعة أرض جرداء. لماذا لم أُزرع في بلد أفضل، لا أدري. ألست جديرة بذلك؟ لا يجوز قول ذلك. لا يمكن لشجيرة في أي مكان آخر أن تفوقني ازدهارًا.

عن المسرح اليهودي

لن انشغل بالأرقام والإحصاءات، سأتركها لمؤرخي المسرح اليهودي. يتمثل مقصدي ببساطة تامة في تقديم بعض أوراق الذكرى عن المسرح اليهودي بمسرحياته وممثليه وجمهوره مثلما رأيت وتعلمت وشاركت في كل ذلك خلال أكثر من عشرة أعوام، أو بعبارة أخرى أن أرفع الستار وأكشف عن الجرح. فقط بعد التعرف على المرض يمكن إيجاد الدواء ومن المحتمل تأسيس المسرح اليهودي الحقيقي.

بالنسبة لوالدي الحاسيديْن الورعيْن في وارسو كان المسرح بالطبع «حرامًا» ولا يختلف عن «الخنزير»[1]. ورغم ذلك عندما يأتي ابن العم شاسكل في عيد البوريم، يلصِق لحية سوداء كبيرة فوق لحيته الشقراء الصغيرة ويرتدي القفطان مقلوبًا ويمثل دور تاجر يهودي مضحك، لم تكن عيناي الصغيرتان كطفل تستطيعان الكف عن النظر إليه. من بين كل أبناء العمومة كان هو الأحب إليّ؛ ونموذجه لم يترك لي مجالًا للهدوء. وفي سن الثامنة كنت أقلد تمثيل

(١) في الأصل باليديش trefe أي حرام، وchaser أي خنزير. (المترجم)

شاسكل في المدرسة الدينية. إذا لم يكن الحاخام موجودًا، كنا نمثل بانتظام في المدرسة، كنت مديرًا ومخرجًا، وكل شيء، وأيضًا كانت العُلق التي أتلقاها من الحاخام هي الأكبر من نوعها. لكن هذا لم يزعجنا، كان الحاخام يضرب، لكننا كنا نختلق كل يوم مسرحيات أخرى وطوال العام كان الرجاء والدعاء: أن يأتي عيد البوريم وأن يُسمح لي بأن أرى ابن العم شاسكل متنكرًا. وبالطبع كان بديهيًا أنني عندما أكبر، سأتنكر في كل عيد بوريم وأغني وأرقص مثل ابن العم شاسكل. لكن لم تكن لدي أدنى فكرة أنه ثمة من يتنكر أيضًا في أماكن أخرى، عندما لا يكون عيد البوريم، وأنه يوجد فنانون كثر مثل ابن العم شاسكل.

في الطريق تقابلنا. إلى أين أنت ذاهب؟ سألته. قال، إلى برونرسدورف.

قَسَمَ نهرٌ المدينَة.

في نهاية المطاف لم يتبق في الحانة بخلافي سوى شخص واحد. أراد صاحب الحانة أن يغلق وطلب مني أدفع. «هناك يجلس شخص آخر.» قلت متذمرًا، لأنني قدرت أنه وقت الانصراف، لكن لم تكن لدي رغبة في الذهاب، أو عمومًا أي رغبة في الذهاب إلى أي مكان. «هذه هي المعضلة.» قال صاحب الحانة «أنا لا أستطيع التفاهم مع الرجل. هل تريد مساعدتي»، «مرحى»، صحت ما بين كفيّ المقوسين، لكن الرجل لم يحرك ساكنًا، بل نظر في صمت كما من قبل إلى كأس بيرته من الجنب

«السيد يدعوك أن تتفضل» قال الخادم منحنيًا وفتح بدفعة خالية من الضجيج الباب الزجاجي العالي. من مكتبه الموجود بجوار النافذة المفتوحة هُرع الدوق بخطوات شبه طائرة تجاهي. نظرنا في أعين بعضنا بعضًا، أشعرتني النظرة المتصلبة للدوق بالاستغراب.

سافرنا بالقارب في النهر الهادئ باتجاه المصب.

رقدت على الأرض أمام سور، وأدرت ظهري من فرط الألم، أردت أن أتمرغ في التربة الرطبة. وقف الصياد بجانبي ووضع إحدى قدميه بخفة فوق عمودي الفقري. صيد ثمين، قال لمطارد الصيد الذي قطع الياقة والمعطف كي يتحسسني. أنا منهك والكلاب المتعطشة لأفعال جديدة كانت تصطدم عبثا بالسور. جاءت العربة التي تجرها الخيول. مقيدًا من يديّ وساقيّ أُلقي بي بجانب السيد على المقعد الخلفي بحيث تدلى رأسي وذراعيّ خارج العربة. انقضت الرحلة بسلاسة، عطشانَ شفطت بفمي المفتوح الغبار المتطاير، بين حين وآخر شعرت بالقبضة اللطيفة للسيد على سمانتي.

ماذا أحمل على كتفي؟ أي أشباح تعلق على كتفي؟

كانت ليلة عاصفة، ورأيت الشبح الصغير يزحف من بين الأحراش.

انغلقت البوابة، كنت أقف أمامه عيني في عينه

ضجيج خافت حول رأسها، عينان سودوان مشتعلتان، الشفتان تمطهما تارة هنا وتارة هناك

أخيرًا ارتقى آخر سور، كان قوي

فليدخل الجميع إلى الغرفة،

ضوء باهت انبعث من ذاك الجبل،
ضوء باهت

لقد انفجر المصباح، دخل رجل غريب بمصباح جديد، نهضت، ومعي أسرتي، وألقينا التحية، لكن لم يُكترث بتحيتنا، قيدني اللصوص ورقدت بالقرب من نار الزعيم.

بالطبع دوى صوت الترومبيت وتجمعنا

حقول جرداء، مساحة جرداء، خلف الضباب الخَضَار الشاحب للقمر. أسوار واطئة حول الحقول.

يغادر المنزل، يجد نفسه في الشارع، حصان ينتظر، يمسك خادم بالرِكاب، ستمضي الرحلة عبر خواء مدوٍ

عن المسرح اليهودي

لن انشغل بالأرقام والإحصاءات، سأتركها لمؤرخي المسرح اليهودي. يتمثل مقصدي ببساطة تامة في تقديم بعض أوراق الذكرى عن المسرح اليهودي بمسرحياته وممثليه وجمهوره مثلما رأيت وتعلمت وشاركت في كل ذلك خلال أكثر من عشرة أعوام، أو بعبارة أخرى أن أرفع الستار وأكشف عن الجرح. فقط بعد التعرف على المرض يمكن إيجاد الدواء ومن المحتمل تأسيس المسرح اليهودي الحقيقي.

١

بالنسبة لوالدي الحاسيديْن الورعيْن في وارسو كان المسرح بالطبع «حرامًا» ولا يختلف عن «الخنزير». كان ثمة مسرح فقط في عيد البوريم، لأنه عندئذ كان ابن العم شاسكل يلصق لحية سوداء كبيرة فوق لحيته الشقراء الصغيرة ويرتدي القفطان مقلوبًا ويمثل دور تاجر يهودي مضحك- ولم تكن عيناي الصغيرتان كطفل تستطيعان الكف عن النظر إليه. من بين كل أبناء العمومة كان هو الأحب إليّ؛ ونموذجه لم يترك لي مجالًا للهدوء. كنت أقلد تمثيل شاسكل في المدرسة الدينية ولم أكد أتم ثماني سنوات. إذا لم يكن الحاخام موجودًا، كنا نمثل بانتظام في المدرسة، كنت مديرًا ومخرجًا، باختصار كل شيء، وأيضًا كانت العُلق التي أتلقاها من الحاخام هي الأكبر من نوعها. لكن هذا لم يزعجنا، كان الحاخام يضرب لكننا

كنا نختلق كل يوم مسرحيات أخرى وطوال العام كان الرجاء والدعاء: أن يأتي عيد البوريم وأن يُسمح لي بأن أرى ابن العم شاسكل متنكرًا. وبالطبع كان بديهيًا أنني عندما أكبر، سأتنكر في كل عيد بوريم وأغني وأرقص مثل ابن العم شاسكل.

لكن لم أكن أدرك أنه ثمة من يتنكر أيضًا في أماكن أخرى، عندما لا يكون عيد البوريم، وأنه يوجد فنانون كثر مثل ابن العم شاسكل. إلى أن سمعت من ابن إزرول فيلدشر، أنه يوجد حقًا مسرح يمثل فيه المرء ويغني ويتنكر، كل مساء وليس فقط في عيد البوريم وأنه توجد في وارسو مثل تلك المسارح وأن والده أخذه معه عدة مرات. هذه المعلومة الجديدة- كنت آنذاك في العاشرة تقريبًا- أثارتني بحق. وتملكتني رغبة خفية لم يسبق لي أن شعرت بها قط. أحصيت الأيام التي يتوجب أن تنقضي، حتى أصبح بالغًا ويجوز لي أخيرًا أن أشاهد المسرح. آنذاك لم أكن حتى أعرف، أن المسرح مسألة محرمة وآثمة.

وسرعان ما عرفت أن «المسرح الكبير» موجود أمام مجلس المدينة، وهو الأجمل في وراسو كلها، أجل في العالم بأسره. ومنذ ذاك الحين كان المنظر الخارجي للمبنى يبهرني تمامًا، كلما مررت به. وعندما سألت ذات مرة في البيت، متى سنذهب أخيرًا إلى المسرح الكبير، صرخوا فيّ: لا يجوز لطفل يهودي أن يعرف أي شيء عن المسرح؛ هذا غير مسموح؛ المسرح موجود لغير اليهود والآثمين. هذه الإجابة كانت كافية ولم أطرح أسئلة أخرى، لكن لم يهدأ لي بال من بعد، وخشيت كثيرًا من أنني بالتأكيد سأقترف هذا الإثم، وأنني عندما أكون أكبر سنًا، سيتحتم عليّ أن أذهب للمسرح.

عندما مررت ذات مرة في المساء التالي على «يوم كيبور» مع اثنين من أبناء العمومة على المسرح الكبير، حيث جلس أناس كثيرون في شرفة المسرح، ولم أستطع أن أصرف نظري عن المسرح «النجس»، وسألني ابن العم مائير: «هل أردت أن تكون هناك بأعلى؟» صمت. غالبًا لم يعجبه صمتي ولذلك أضاف: «الآن يا بني، لا يوجد يهودي واحد هناك! نستعيذ بالسماء! في الليلة التالية مباشرة على «يوم كيبور» لا يذهب حتى أسوأ يهودي إلى المسرح.» لكنني لم أفهم منه شيئًا آخر سوى أنه برغم أنه لا يوجد يهودي يذهب إلى المسرح بعد انتهاء عيد «يوم كيبور» المقدس، إلا أن كثيرًا من اليهود يذهبون إليه في كثير من الأماسي العادية خلال العام كله.

في عامي الرابع عشر ذهبت للمرة الأولى إلى المسرح الكبير. ومع أنني قد تعلمت القليل جدًا من لغة البلد، إلا أنني استطعت أن أقرأ الملصقات وقرأت ذات يوم أن أوبرا «الهوغونوت» ستُعرض. وقد جرى الحديث عن الهوغونوت في «مدرسة التلمود»، والأوبرا ألفها يهودي هو «ماير بير»- وهكذا أعطيت لنفسي إذنًا، واشتريت تذكرة وفي المساء ذهبت للمرة الأولى في حياتي إلى المسرح.

ما رأيته وشعرته آنذاك، لا محل لذكره هنا، فقط شيء واحد: أنني توصلت لقناعة أنهم يغنون هناك أفضل من ابن العم شاسكل ويتنكرون بطريقة أجمل منه بكثير. وثمة مفاجأة أخرى جلبتها معي: كنت أعرف موسيقى باليه «الهوغونوت» منذ وقت طويل، كانوا يغنون أنغامها في «مدرسة التلمود». مساء الجمعة مع ترانيم السبت «ليخا دودي». ولم أكن آنذاك أستطيع أن أفسر لنفسي، كيف أنه من

الممكن أن يعزف المرء في المسرح الكبير، ما نغنيه منذ وقت طويل في «مدرسة التلمود».

منذ ذاك الوقت أصبحت ضيفًا كثير التردد على الأوبرا. فقط كان عليّ ألا أنسى شراء ياقة وزوج أساور قمصان قبل كل عرض، وكنت ألقي بها في طريق عودتي إلى البيت في نهر الفيستولا. لا يجوز أن يرى والداي هذه الأشياء؛ وبينما كنت أتشبع بـ«فيلهلم تل» أو «عايدة»، كانا والداي على اعتقاد تام بأنني منكب في مدرسة التلمود على مجلدات التلمود وأدرس التوراة.

٢.

بعد ذلك ببعض الوقت عرفت أيضًا أنه يوجد مسرح يهودي. وبقدر ما كنت أود الذهاب إلى هناك، إلا أنني لم أجرؤ على ذلك، لأنه كان من الممكن لوالديّ أن يكتشفا الأمر بسهولة شديدة. حضرت كثيرًا لعروض الأوبرا في المسرح الكبير وذهبت لاحقًا أيضًا إلى المسرح الدرامي البولندي. وحضرت في الأخير مسرحية «اللصوص» للمرة الأولى. فاجأني للغاية أنه من الممكن أيضًا للمرء أن يمثل مسرحيات بشكل جميل دون غناء وموسيقى- لم أفكر في ذلك قط- وللغرابة لم أكن غاضبًا قط على فرانتس، لقد ترك الانطباع الأكبر لدي، كنت أود أن أمثل دوره، وليس دور كارل[١].

من بين الرفاق في مدرسة التلمود، كنت الوحيد الذي تجرأ على الذهاب للمسرح. ولكن بخلاف ذلك كنا نحن الصبيان في مدرسة التلمود قد تغذينا بـ«الكتب التنويرية»، قرأت آنذاك شكسبير وشيلر واللورد بايرون. ومن أدب اليديش وقعت في يدي فقط الروايات البوليسية العظيمة التي قدمتها لنا أمريكا في لغة نصف ألمانية ونصف يديشية.

---

(١) تدور حبكة مسرحية «اللصوص» لفريدريش شيلر حول المكيدة التي يدبرها الأخ فرانتس مور لأخيه كارل، ويجعل بذلك أباه يحرمه من الميراث، كما يفرق بينه وبين محبوبته أماليا. نجاح المكيدة تدفع بكارل مور إلى الانضمام إلى اللصوص وقطاع الطرق، حيث يصبح زعيمًا لهم ويعود لاحقًا إلى قصر أبيه للانتقام، لكن بعد فوات الأوان. (المترجم)

انقضى وقت قصير، ولم أهدأ: ثمة مسرح يهودي في وارسو ولا ينبغي عليّ أن أذهب عليه؟ وقد خاطرت وراهنت بكل شيء وذهبت إلى المسرح اليهودي.

لقد غيرني ذلك تمامًا. حتى قبل بدء المسرحية كان لدي شعور مختلف تمامًا عما هو عليه الحال لدى «أولئك». بالأخص لم يكن ثمة رجال يرتدون السموكنغ ولا نساء بفساتين مكشوفة الصدر، لا بولنديين، ولا روسًا، فقط يهود من كل الأنواع، بملابس طويلة، وبملابس قصيرة، نساء وفتيات بملابس برجوازية. وكان الجميع يتحدثون بصوت عال ودون خجل باللغة الأم، لم يلتفت إليّ أحد بقفطاني الطويل، ولم يتحتم عليّ إطلاقًا أن أشعر بالخجل.

عُرضت مسرحية كوميدية مع غناء ورقص في ستة فصول وعشرة لوحات: بال-تشوفه فون شومور. لم يبدأ العرض في الموعد المحدد بدقة في الثامنة، كما هي الحال في المسرح البولندي، بل في حوالي العاشرة وانتهى متأخرًا بعد منتصف الليل. العاشق ال..... والمتآمر تحدثا بـ«الألمانية الفصحى» واندهشت لكوني فجأة- ودون أن تكون لي معرفة بالألمانية- قادر على فهم الألمانية بشكل جيد جدًا. وحدهما الممثل الكوميدي والفتاة اللعوب كانا يتحدثان باليديش.

في العموم أعجبني أكثر من الأوبرا والمسرح الدرامي والأوبريت مجتمعين. أولًا لأنه كان بلغة اليديش، مع أنه كان ألماني-يديش، وثانيًا لقد اجتمعت كل الأمور هنا معًا، الدراما والتراجيديا والغناء والكوميديا والرقص، الحياة! لم أنم الليلة كلها

من فرط الإثارة، وحدثني قلبي بأنني كنت في الماضي قد خدمت في معبد الفنون اليهودية، وأنه ينبغي عليّ أن أصبح فنانًا يهوديًا.

في اليوم التالي بعد الظهر أرسل أبي الأطفال إلى الغرفة المجاورة، وقال إن عليّ أنا وأمي فقط أن نبقى. غريزيًا عرفت أن أمرًا ما يُدبر لي هنا. لم يعد أبي يجلس، يذرع الغرفة جيئةً وذهابًا؛ واضعًا يده على لحيته السوداء الصغيرة لا يتحدث إليّ، بل فقط إلى أمي: «ينبغي أن تعلمي أن حاله يصبح من يوم ليوم أسوأ، بالأمس رأوه في المسرح اليهودي.» عقدت أمي يديها مفزوعة، وأبي استمر في سيره في الغرفة جيئة وذهابًا وهو شاحب تمامًا، تشنج قلبي، جلستُ مثل محكوم عليه، لا أستطيع تحمل رؤية ألم والديّ الغاليين الورعيْن. لم أعد اليوم أتذكر، ما قلته آنذاك، أعرف فقط أنه بعد بضعة دقائق من صمت أبي الكئيب، نظر إليّ بعينيه السوداوين وقال: «يا بني، فكر في أن ذلك سيذهب بك بعيدًا، بعيدًا جدًا» -وكان على حق.

[١]

كل إنسان مميز وهو مؤهل بموجب تميزه لأن يؤثر، لكن عليه أن يستسيغ تميزه. بحسب ما خبرت، يجري العمل في المدرسة وفي البيت أيضًا من أجل محو التميز. ومن خلال ذلك يجري تسهيل العمل التربوي ولكنه يسهل الحياة على الطفل أيضًا، إلا أن عليه أن يذوق قبل ذلك الألم الناجم عن القهر. مثلًا لا يجري أبدًا إفهام الولد، الذي يكون في المساء مستغرقًا في قراءة قصة مثيرة، بأن عليه أن يتوقف عن القراءة ويذهب للنوم، باستخدام حجة تخصه هو وحده. عندما كانوا يقولون لي مثلًا في هذه الحالة إن الوقت متأخر وإنني أدمر عينيّ، وإنني سأكون في البكور نعسانًا وسأقوم من النوم بصعوبة، وإن القصة الغبية السيئة لا تستحق ذلك، لم أكن أستطيع حقًا دحض هذا الكلام لفظيًا، ولكن لم أكن لأفعل في الحقيقة، لأن كل ذلك لا يقترب حتى من حدود ما يستحق التأمل. لأن كل شيء كان لانهائيًا وسار نحو اللامحدود، بحيث يمكن مساواته باللانهائي، كان الوقت لانهائيًا، وبالتالي لم يكن ممكنًا أن يكون متأخرًا، كان ضوء عينيّ لانهائيًا[١] بالتالي لم يكن ممكنًا لي أن لأدمره، بل حتى الليل كان لانهائيًا، وبالتالي لم يكن ثمة أي قلق بسبب الاستيقاظ مبكرًا ولم أكن أفرق بين الكتب على أساس الغباء والذكاء، بل على

(١) على الهامش، في المساحة اليمنى الفارغة من الصفحة بأعلى، كُتبت الملحوظة اللاحقة:
إبراز التميز- يأس
لم أشهد هذه القاعدة قط

أساس إن كانت تشدني أو لا تشدني وهذا الكتاب جذبني. كل هذا لم أستطع أن أعبر عنه على هذا النحو، لكنه أدى إلى نتيجة مفادها أنني أصبحت مزعجًا بمناشدتي بالسماح لي بالاستمرار في القراءة، أو أنني قررت أن أواصل القراءة من دون إذن. كان هذا هو تميزي. وكانوا يقمعونه بإغلاق مفتاح الغاز وتركي من دون ضوء. وللتوضيح كان يقال لي: الجميع ذهبوا للنوم، ويجب عليك أنت أيضًا أن تنام. رأيت ذلك وتحتم عليّ تصديقه، ومع هذا ظل الأمر غير مفهوم لي. لا أحد يريد أن ينفذ إصلاحات كثيرة مثل الأطفال. لكن بغض النظر عن هذا القمع الجدير بالاعتراف به على نحو ما، تبقى مع ذلك هنا، كما هي الحال تقريبًا في كل مكان، شوكة ما كان من الممكن ثلم حدتها أيضًا لمجرد الاستناد إلى عموم الناس. لقد ظللت على اعتقادي بأنه في هذه الليلة بالذات لم يكن ثمة أحد في العالم يرغب في القراءة مثلي[1]. وهذا أمر لم يكن من الممكن دحضه مؤقتًا بالاستناد لعموم الناس، وبدرجة أقل عندما رأيت أنهم لم يصدقوا رغبتي التي لا تقهر في القراءة. فقط تدريجيًا وبعد ذلك بكثير وربما مع تضاءل الرغبة، تفتق ذهني عن نوع من الاعتقاد بأن كثيرين لديهم الرغبة نفسها في القراءة، ومع ذلك استسلموا للقمع. لكنني شعرت آنذاك فقط بالظلم الذي وقع عليّ، وذهبت للنوم حزينًا وتطورت بدايات الكراهية، التي حددت حياتي داخل العائلة وحددت من هذا

---

(١) على الهامش، في المساحة اليمنى الفارغة:
مسودة، تحرير تدريجي، شتم
طموح نحو التسوية، قلت: ليس الأمر مزعجًا للدرجة، الكل هكذا، لكن بذلك أصبح الأمر أكثر إزعاجًا.
حتمية أخطاء تربيتي، ما كنت سأستطيع التصرف على نحو آخر

المنطلق حياتي كلها نوعًا ما. صحيح أن منع القراءة كان مجرد مثال، لكنه مثال معبر، لأن هذا المنع كان له أثر عميق. لم يعترفوا بتميزي؛ لكن نظرًا لأنني شعرت به، تحتم علي- بحساسية شديدة وتحفز دائم- أن أدرك في هذا السلوك تجاهي حكمًا عليّ. لكن إذا ما أدان المرء صراحة هذا التميز المكشوف على الملأ، فإلى أي حد كانت التميزات الأخرى التي أخفيتها بسبب أنني أدركت فيها بنفسي قدرًا صغيرًا من الظلم، ستعد أسوأ. كنت مثلًا أقرأ ليلًا، رغم أنني لم أكن بعد قد ذاكرت للواجبات المدرسية في اليوم التالي. ربما كان في ذلك بوصفه إهمالًا للواجب[1] في حد ذاته شيء مزعج جدًا، لكن المسألة لم تكن بالنسبة لي حكمًا مطلقًا، ما يهمني فقط كان الحكم القائم على المقارنة. إلا أنه إزاء هذا الحكم لم يكن الإهمال غالبًا أسوأ من القراءة لوقت طويل في حد ذاتها، بخاصة وأن تبعاته كانت محدودة للغاية بخوفي من المدرسة ومن أصحاب السلطة؛ فما قد فوته هنا وهناك من خلال القراءة، كنت أعوضه بسهولة من خلال ذاكرتي التي كانت آنذاك قوية للغاية في الصباح أو في المدرسة. لكن الشيء الأساسي كان هو أنني كنت أواصل بوسائلي الخاصة تطبيق الإدانة التي كان سيتعرض لها تميزي بالقراءة لوقت طويل، على التميز في إهمال الواجب الذي ظل مخفيًا، وتوصلت بذلك للنتيجة الأكثر إحباطًا. كان الأمر كما لو لُمس أحدهم بعصا من الخرزان، ليس من المفترض أن تتسبب في أي ألم، لكنه يفكك بنفسه الخرزان

---

(١) على الهامش في المساحة اليمنى الفارغة من الصفحة بأعلى:
التسوية صحيحة، ربما، لكن إعمال الموضوعية على نطاق واسع هكذا يزيل كل فرصة للحياة. مكتبة سُر مَن قرأ

المضفر ويسحب الأطراف الحادة للعصا كل على حدة إلى داخله ويبدأ وفقًا لخطة في وخز وحك داخله، فيما لا تزال اليد الغريبة تمسك بمقبض العصا في هدوء. لكن حتى لو كنت آنذاك لم أقم بعد بمعاقبة نفسي عقابًا شديدًا في هذه الحالات، فمن المؤكد أنني ما كنت سأحقق قط ذاك المكسب الحقيقي من تميزاتي، الذي يعبر عن نفسه في نهاية المطاف في الثقة الدائمة بالنفس. بالأحرى كانت نتيجة إظهار تميز ما هي أنني إما أن أكره القامع أو أن اعتبر هذا التميز غير موجود، نتيجتان كان يمكن الربط بينهما على نحو كاذب. لكن إذا أبقيت على التميز مخفيًا، لكانت النتيجة هي أنني كنت أكره نفسي أو أكره قدري، وأرى أنني سيء أو ملعون. العلاقة بين هاتين المجموعتين من التميزات تغيرت مع مرور السنين. وازدادت التميزات المعلنة أكثر فأكثر، كلما اقتربت من الحياة المتاحة لي. لكن هذا لم يجلب لي خلاصًا، فكمية الأمور التي بقيت مخفية لم تقل من خلال ذلك، لقد تبين من خلال إنعام النظر بدقة إنه لا يمكن أبدًا الاعتراف بكل شيء، وحتى في الاعترافات التي بدت في الماضي كاملة ظهرت لاحقًا جذورها في الداخل. ولكن حتى لو لم يكن الأمر كذلك- عند تخفيف قيود كل التنظيم الروحي، الذي قمت به دون توقفات حاسمة، كان تميزًا مخفيًا واحدًا كفيلًا بهز كياني بشدة، بحيث لم يكن باستطاعتي أن أتماسك مع كل تكيف آخر في أي مكان. لكن ما هو أكثر إزعاجًا. أنه حتى لو لم احتفظ بسر لنفسي، وإنما ألقيت بكل شيء بعيدًا عني، بحيث أقف نقيًا تمامًا، كنت سأجدني في اللحظة التالية غارقًا في الفوضى القديمة، لأنه بحسب رأيي، ما كان السر ليُعرف كاملًا ويُقيّم ويُعاد إلى على هذا الأساس مرة أخرى من خلال عموم الناس ويُنشر من جديد. لم يكن

ذلك خداعًا وإنما مجرد شكل خاص من المعرفة، لا يمكن لأحد على الأقل بين الأحياء أن يخلص نفسه منه. إذا أدلى أحدهم مثلًا لصديق باعتراف، بأنه بخيل، فإنه يكون بذلك قد خلص نفسه في هذه اللحظة أمام الصديق، أي أمام حَكَم حاسم، ظاهريًا من البخل. وكيفية تلقي الصديق لهذا الاعتراف ليست مهمة في هذه اللحظة، الأمر سواء إذا أنكر وجود البخل أو أعطى نصائح عن كيفية تخلص المرء من البخل أو دافع عن البخل. وربما لن يكون حتى حاسمًا، لو أنهى الصديق الصداقة نتيجة للاعتراف. الحاسم بالأحرى هو أن يعهد المرء بسره لعموم الناس كمذنب أمين وليس كمذنب نادم، ويأمل من خلال ذلك - وهذا هو الأهم- في أن يستحوذ على الطفولة الطيبة والحرة من جديد. لكن ما استحوذ عليه المرء هو فقط رعونة قصيرة الأجل ومرارة متأخرة كثيرًا. لأنه في مكان ما على المائدة بين البخيل والصديق يوجد المال، الذي يجب على البخيل أن يأخذه لنفسه، ومن أجله يحرك اليد دائمًا بسرعة أكبر. في منتصف الطريق يصبح مفعول الاعتراف أضعف فأضعف، لكنه لا يزال مُخلِّصًا، ولا شيء غير ذلك، على العكس إنه يضيء فقط اليد التي تتحرك للأمام. الاعترافات الفعالة ممكنة فحسب قبل أو بعد الجريمة، الجريمة لا تترك شيئًا يقف بجانبها، ولا خلاص لليد التي تجمع المال بكلمة أو ندم، إما أن تُدمر الجريمة، أي اليد، أو أن على المرء أن. . . في البخل

الشر الذي يحيط بك في نصف الدائرة، مثلما يحيط الحاجب بالعين، يُسقط أشعة تبعث على الخمول. وفيما تنام أنت يسهر على حراستك دون أن يكون مسموحًا له أن يتزحزح ولو أدنى حركة للأمام.

---

١) تسمو الفكرة التي تتضمن حكمًا بتعذيب نفسها عبر الآلام، مع زيادة العذاب وعدم وجود أي عون. مثلما هي الحال عندما تُطرح المسألة المعمارية الأساسية لأول مرة في البيت الآخذ في الاحتراق تمامًا.

٢) بإمكاني أن أموت لكنني لا أتحمل الآلام، من خلال محاولات تجنبها، جعلتها تزداد بوضوح، بإمكاني أن أذعن للموت، ولكن ليس للألم، تنقصني الحركة الروحية، وكأن كل شيء قد جُمع في الحقيبة، والأحزمة المشدودة بشكل قاس، تُشد دائمًا من جديد ولا يعقب ذلك انطلاق الرحلة. الآلام غير المميتة هي الأسوأ.

البئر العميق. سنوات طوال احتاجها الدلو لكي يصعد لأعلى، وفي هذه اللحظة يهوي بسرعة تفوق قدرتك على الانحناء؛ لا زلت تعتقد بأن إمكانك أن تمسكه بيديك، وها أنت تسمع ضربته في العمق، لا تسمعه هو ذاته حتى.

في اليوم السابع ارتاح؛ عندها نملأ نحن الأرض

هناك كثيرون ينتظرون هنا. جمع لا يمكن تجاهله، يتيه في الظلام. ماذا يريد؟ من الواضح أنه سيقدم بالتأكيد مطالب محددة. سأستمع للمطالب، ثم أجيب. لكنني لن أخرج إلى الشرفة؛ لا أستطيع ذلك مطلقًا، حتى لو أردت. في الشتاء يُغلق باب الشرفة، والمفتاح ليس في متناول اليد. لكنني لا أريد أيضًا أن أقف أمام النافذة. لا أريد أن أرى أحدًا، لا أريد أن يصيبني المنظر بالاضطراب. عند المكتب، وهو مكاني، واضعًا رأسي بين يدي، هذا هو موقفي.

ثمة باب في بيتي لم أنتبه له. إنه في غرفة النوم في الجدار الذي يحد البيت المجاور. لم أشغل ذهني به، أجل، فلم أكن أعرف عنه شيئًا، ومع ذلك فهو مرئي، صحيح أن جزءه السفلي تحجبه الأسرة، لكنه يرتفع عاليًا جدًا، لا يكاد يكون بابًا، بل بوابةً. لقد فُتح بالأمس. كنت في غرفة الطعام، التي تفصلها غرفة أخرى عن غرفة النوم. وصلت لموعد الغداء متأخرًا جدًا، لم يكن أحد بالبيت، وحدها الخادمة كانت تعمل في المطبخ. عندئذ بدأ ضجيج في غرفة النوم. أهرع في الحال إلى هناك وأرى الباب، الذي كان حتى الآن مجهولًا لي، ينفتح، وتزاح الأسرة أثناء ذلك بقوة هائلة. أصيح «من هناك؟ ماذا تريد؟ احذر! احترس!» وأتوقع رؤية فرقة من الرجال العنيفين يدخلون، لكنه مجرد شاب نحيف، ينسلت بمجرد أن تكون الفتحة كافية بالكاد لخروجه ويحييني بسعادة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

لا شيء من هذا القبيل، لا شيء من هذا القبيل

عندما آتي ليلًا من البرج كل ليلة، والماء الداكن السميك يتحرك تحت ضوء المصبح ببطء جسدي. كما لو أنني كنت سأسير تحت ضوء المصباح بطول جسد شخص نائم، وهو سيتمدد ويتلوى فقط وفقًا لضوء المصباح دون أن يستيقظ.

عند منتصف الليل يمكن لقائي دائمًا عند النهر، إما تكون عندي نوبة ليلية وأذهب إلى السجن، أو تكون نوبة نهارية وأكون في طريقي للبيت. وقد استُغلت هذه الفرصة ذات مرة. منهكًا من العمل وفوق ذلك في حالة غضب خانق لا يطاق تقريبًا على زميلي ب، بسبب واقعة في العمل، سيأتي الحديث عنها من بعد، ذهبت آنذاك إلى البيت. عندما التفت ورائي مرة، ونظرت للنافذة الصغيرة المضاءة في برج السجن، التي يجلس ب وراءها ويتناول عشاءه، وقد وضع زجاجة الروم بين ساقيه، ظننت للحظة بقوة أنني أراه يجلس قريبًا جدًا أمامي، أجل، لقد شممت رائحته، ثم بصقت وواصلت المشي.

ستأتي صيحة عالية من النهر

تخفي أختي عني سرًا. لديها رزنامة صغير، لم تكن لتحصل عليها حتى إلا بسببي، لأنني أعرف السيد، الذي أهدى كلًا منا مثل هذه الرزنامة، لفترة أطول بكثير من معرفتها به، ولأجل خاطري أحضر الرزنامتين، وفي هذه الرزنامة كتبت السر أو وضعته فيها، ثم وضعت الرزنامة في مقلمتها القابلة للغلق وقفلتها والمفتاح

شدني أحدهم من ملابسي، لكنني نفضته

لقد مُددت أجزاء سلم الحريق الكبير وأُسند إلى حائط البيت

في جلسة روحانية أعلنت روح جديدة ذات مرة عن حضورها ودخلت في الحوار التالي:

الروح: عذرًا!

قائد الجلسة: من أنت؟

ر: عذرًا

ق: ماذا تريدين؟

ر: الذهاب

ق: لقد حضرت لتوك.

ر: كان خطأ.

ق: لا ليس خطأ. لقد أتيتِ وستبقين.

ر: أشعر للتو بغثيان.

ق: شديد؟

ر: شديد؟

ق: جسدي؟

ر: جسدي؟

ق: أنتِ تجيبين بأسئلة. هذا غير لائق. لدينا وسائل نعاقبك بها، من الأفضل أن تجيبي، لأنه عندئذ سنصرفك قريبًا.

ر: قريبًا؟

ق: قريبًا

ر: خلال دقيقة؟

ق: لا تتصرفي بشكل بائس. سنصرفك عندما نكون

كان ذلك مساء في الريف، جلست في غرفتي أسفل الجملون بنافذة مغلقة ونظرت لراعي البقر الذي وقف في الحقل الذي جُز عشبه، والغليون في فمه، والعصا مغروسة في التربة، غير مكترث على ما يبدو بالحيوانات التي كانت ترعى هنا وهناك في سكون عميق. عندئذ طُرقت النافذة وفزعت من غفوتي وتماسكت وقلت بصوت عال «لم يكن ثمة شيء، لقد هزت الريح النافذة.» وعندما طُرق على النافذة مرة أخرى، قلت «أعرف أنها الريح» لكن في الطرقة الثالثة طلب مني صوت أن يدخل، «لا بد أنها الريح فحسب» قلت، وأخذت المصباح من الصندوق وأشعلته وأسدلت الستار على النافذة. عندها بدأت النافذة ترتعش وأصوات ولولة خانعة خالية من الكلام

مم تشكين أيتها الروح المهجورة؟ لماذا ترفرفين حول بيت الحياة؟ لماذا لا ترحلين إلى البعيد الذي تنتمين له، عوضًا عن أن تكافحي هنا من أجل ما هو غريب عنك. الحمامة الحية على السطح، خير من العصفور شبه الميت الذي يزود عن نفسه بتشنج في اليد.

دخلت الباخرة الميناء ورست، بعض المسافرين نزلوا إلى البر.

أيها الحلم السامي، فلتلف الطفل بمعطفك،

جاء جنديان وقبضا عليّ. قاومت، لكنهم أمسكوا بي. قادوني

إلى سيدهم، وهو ضابط. كم كان زيه ملونًا! قلت: «ماذا تريدون مني، أنا مدني.» ابتسم الضابط وقال: «أنت مدني، لكن هذا لا يمنعنا من القبض عليك. للجيش سلطة على كل شيء.»

تقييم في مادة المنوعات الاستعراضية

إنه لمن الصعب جدًا حتى في مجال إنتاج المنوعات الاستعراضية القيام بالتقييمات شبه الصحيحة خلال فترة قصيرة فقط. لقد فشل في ذلك أفضل المتخصصين ذوي الخبرة الحياتية الطويلة. وأفضل مثال على ذلك هو المسيرة الوظيفية لملك الحديد.

صحيح أنه كان في البداية صبيًا متدربًا في متجر لبيع مواد البناء، وكان الصبية المتدربون الآخرون يلتفون حوله عندما

منحدر بيلفيدير

عندما سار هو، الرجل ذو المعطف الطويل الكثير الثنايا، بحقيبة مستندات في يده، حاسر الرأس، والسلك الذهبي للنظارة على أذنيه، في صباح الأحد المشمس، في الأول من مايو، على الطريق الهادئ

كاربفن-غاسه

الشاب القبيح في الليل، وحيدًا، طبيعة غليظة قوية ومقاومة.

السيدان الهرمان عند مسرح الرودولفينوم، حكاية هادئة ومضنية وكريمة، الزوجتان وراءهما.

إنه

الآن أستطيع فعلًا أن أقدم لك شيئًا، قد يبهجك. إنك تعرف بالتأكيد اسم إرنست فايس وربما تعرف أيضًا بعضًا من كتبه الأخيرة

التي تعد بالنسبة لي أحيانًا قوية بشكل مذهل، رغم صعوبة مدخلها (اتوا نهار، حيوانات في أغلال نجم الشياطين). والآن جهز لهذه الأعمال القصصية مجموعة من المقالات، سيصدرها باسم إيمان، وحسب شعوري فإن بهذه المقالات - المقال المرفق عن غوته يجذبني على وجه الخصوص- كل مزايا أعماله القصصية من دون خاتمتها غير الإنسانية. أضع بين يديك كتجربة:ـ وبخلاف ذلك كي يكون لديك تصور عن أعماله المعاصرة الفصل الأول ـ بعض العناوين للأعمال الأخرى في... الجاري توحيده

أرجو أن تخبرني برأيك بخصوص إصدار كتاب المقالات أو ربما من الأفضل كثيرًا أن تخبره هو مباشرة (برلين-غرب ٣٠ نولندورف-شتراسه ٢٢ أ. لكن على أي حال أرجو أن تعاد إليه النصوص الثلاثة المرفقة التي يحتاجها بشكل ملح.

٢٠ أغسطس ١٦

كيف لهذا الطيش أن يندفع مجددًا فجأة ليغمرني، يحدث ذلك دائمًا عندما تزداد الثقة بعض الشيء في وضعي الصحي، مثلما حدث مثلًا قبل الأمس بعد زيارة د. مولشتاين.

البقاء طاهرًا	أن تكون متزوجًا
أعزب	زوج
سأبقى طاهرًا	طاهرًا
سأستجمع كل قواي	ستبقى خارج السياق وستصبح مجنونًا وتطير في كل اتجاهات الريح لكنك لا تتقدم سأسحب من الدورة الدموية للحياة البشرية كل القوى المتاحة لي عمومًا
مسؤول عن نفسي فقط	ما يجعلك أكثر ولهًا بنفسك (غريلبارتسر- فلوبير)
لا تقلق تركيز في العمل	لأن قواي تنمو، أحمل أكثر لكن هنا ثمة حقيقة ما بعينها
زوج	سلوى
أسنان، إنها تعمل، أنا لا.	
طفل وأم وأخوات	

فولفنشتاين زيمنس-شتات برونن-شتراسه ١٤

لم يكن كوخ الصياد بعيدًا عن كوخ الحطابين. الحطابون، وهم اثنا عشر، سكنوا هناك، لكي يقوموا الآن مع الجليد المستقر بتحضير جذوع الأشجار التي تُنقل بالزحافات إلى الوادي. كان عملًا كثيرًا، لكن العمال ما كانوا سيجدونه كثيرًا، لو أعطى المرء لهم فقط ما يكفي من البيرة. لكن ما كان معهم هو برميل متوسط الحجم وكان عليهم تقسيمه على مدار أسبوع، وهي مهمة مستحيلة. وكانوا يشكون للصياد من ذلك دائمًا، عندما كان يأتي إليهم مساءً. «وضعكم صعب» يقول الصياد مؤيدًا، وكانت شكواهم تمس قلبه.

يبقي كوخ الصياد مهجورًا في الغابة الجبلية. هناك يعيش خلال الشتاء مع كلابه الخمسة. لكن، كم طول الشتاء في هذا البلد؟ يمكن للمرء تقريبًا أن يقول إنه يدوم حياة كاملة.

الصياد هانئ البال، لا ينقصه شيء جوهري، لا يشكو من أي عوز، بل ويعتبر نفسه مجهزًا جيدًا أكثر من اللازم. «لو أتى صياد إليّ.» هكذا يفكر «ورأى بيتي ومخزوناتي، ستكون نهاية العهد بالصيد. ولكن أليست هي أيضًا النهاية؟ لا يوجد صيادون؟»

يذهب إلى الكلاب في الركن، حيث تنام على أغطية ومغطاة بأغطية. نوم كلاب الصيد. إنها لا تنام، بل تنتظر الصيد فحسب، وهذا يبدو كالنوم؟

قابل بيتر ذئبًا في الغابة: «أخيرًا!»، قال الذئب، «طوال اليوم كنت أبحث عن شيء آكله.»، قال بيتر، «أرجوك يا ذئب، ابق عليّ اليوم، خلال أسبوع سيكون عرسي، دعني أشهده»، «عن غير طيب خاطر»، قال الذئب، «وبماذا سيفيدني الانتظار؟» «فلتأخذ كلينا

عندئذ، أنا وزوجتي»، قال بيتر، «وماذا سيحدث حتى موعد العرس؟» قال الذئب «لا أستطيع أن أجوع حتى ذاك الوقت. فالآن بالفعل لدي توعكات من الجوع، ولو لم آكل شيئًا سريعًا جدًا، فسأفترسك الآن، حتى ولو كان ذلك مخالفًا لرغبتي»، «أرجوك»، قال بيتر، «تعال معي، لا أسكن بعيدًا، سأغذيك بأرانب طوال الأسبوع»، «لا بد أن أحصل على خروف على الأقل»، «حسنًا، خروف»، «وخمس دجاجات»

لدى بيتر زوجة غنية في القرية المجاورة. ذات مساء ذهب لزيارتها، كان لديهما الكثير ليناقشانه، لأن من المفترض أن عرسهما سيكون خلال أسبوع. انتهت المحادثة بينهما على نحو جيد. وقد رتُبت الأمور على نحو يرضيه؛ برضا وقد وضع الغليون في فمه ذهب في الساعة العاشرة إلى البيت، لم ينتبه إطلاقًا لأخذ الطريق المعروف له جيدًا. ثم حدث أنه توقف مذعورًا فجأة، أثناء تواجده في غابة صغيرة كان عليه أن يقطعها، دون أن يعرف بالضبط لماذا. وبعدها كان ما رأى عينين تلمعان بلون ذهبي وقال صوت: «أنا الذئب»، «ماذا تريد؟» قال بيتر وقد وقف في محله في انفعاله بذراعين مفرودتين، يمسك غليونه بيد والعصا في يده الأخرى، «أريدك»، قال الذئب «يا ويلي، يا ويلي» قال بيتر «هل من الممكن؟» لم يجب الذئب على ذلك.

«أبدًا»

«الكراسة خ»

١٨ أكتوبر ١٧

خوف من الليل. خوف من اللاليل.

---

١٩ أكتوبر. عدم جدوى (كلمة قوية جدًا) انفصال الذاتي والغريب في الصراع الفكري.

كل العلم منهجية بالنظر إلى المطلق. لذلك لا ضرورة للخشية مما هو منهجي بوضوح. إنها قشرة، ولكنها لا تزيد عن كونها كل شيء ما عدا الشيء بعينه.

الكل يخوض معركة واحدة. (إذا ما مددت يدي خلفي بحثًا عن سلاح وقد هُوجمت من السؤال الأخير، لا أستطيع الاختيار بين الأسلحة، وحتى لو استطعت، سيتحتم عليّ الإمساك بأسلحة «غريبة» عني، لأن لدينا جميعًا مخزن سلاح واحد فقط.) لا أستطيع أن أحمل سلاحًا خاصًا بي، وإذا ما اعتقدت في كوني مستقلًا، ولم أر أحدًا من حولي، فسرعان ما سينجم عن ذلك أن أضطر لقبول هذا المنصب وفقًا للترتيب العام غير المتاح لي الدخول فيه حاليًا أو على

الإطلاق. هذا بالطبع لا يتعارض مع وجود طلائع ومن لحقوا بمؤخرة الركب وفدائيون متطوعون وكل العادات والخصائص المرتبطة بشن الحرب، لكن لا يوجد قادة حرب مستقلون. *[امتهان]* الكبرياء؟ نعم، ولكنه أيضًا تشجيع ضروري ومطابق للحقيقة.

إنني أتوه. يمر الطريق الحقيقي فوق حبل غير مشدود على ارتفاع عالٍ، وإنما فوق الأرض بقليل. يبدو أنه مصنوع من أجل التعثر فيه أكثر من السير عليه.

دائمًا تنفس الصعداء أولًا من نزوات الكبرياء والزهو بالذات. الحفل الماجن أثناء قراءة القصة في مجلة «اليهودي»[1]. مثل سنجاب في قفص. حبور الحركة، يأس الضيق، جنون المثابرة. الشعور البائس جراء هدوء الخارج. كل هذا سواء في الوقت نفسه أم بتبدل، يظل في روّث النهاية شعاع شمس من الحبور.

ضعف الذاكرة إزاء التفاصيل والسير في اتجاه فهم خاص للعالم إشارة سيئة جدًا. فقط مجرد قطع مكسورة من شيء كامل. كيف تريد حتى أن تمس فقط المهمة الكبرى، كيف تريد أن تشتم مجرد قربها، أن تحلم فقط بوجودها، أن تترجى فقط حلمها، أن تتعلم حروف الرجاء، إذا لم تستطع أن تختصر كلامك جدًا، بحيث تقبض، عندما يأتي وقت الحسم، على كلك في يد واحدة وكأنه حجر للرمي،

---

(١) مجلة *Der Jude* أي اليهودي هي مجلة كان يشرف على إصدارها مارتن بوبر ونشر فيها كافكا قصة «بنات آوى وعرب» و«تقرير إلى أكاديمية» وهو يعبر هنا عن فرحته بنشر القصة الأولى في المجلة. (المترجم)

وكأنه سكين للذبح. من جانب آخر، ليس من الضروري أن يبصق المرء في يديه قبل أن يعقدها.

هل من الممكن التفكير في شيء يائس؟ أو بالأحرى في شيء يائس دون هذه النفحة من السلوى؟ قد يكمن المخرج في كون أن المعرفة هي بمثابة هذه السلوى. ربما يمكن إذًا للمرء أن يفكر أيضًا: يجب عليك أن تتخلص من نفسك. ويمكنه مع ذلك أن يُبقي على نفسه دون تزييف هذه المعلومة، واعيًا بأنه أدركها. عندئذ سيعني هذا حقًا أن تشد شعرك ساحبًا نفسك من المستنقع. ما هو سخيف في العالم الجسدي، ممكن في العالم الفكري. لا يوجد هناك قانون للجاذبية (الملائكة لا يطيرون، لم يزيلوا أي جاذبية، فقط نحن، مراقبي العالم الأرضي، لا يمكننا تصور الأمر على نحو أفضل) وهو طبعًا أمر غير متصور بالنسبة لنا، أو لا يمكن تصوره إلا في درجة عالية. كم هي بائسة معرفتي بذاتي مقارنة بمعرفتي بحجرتي. (مساءً) لماذا؟ ليس ثمة تأمل للعالم الداخلي، على غرار التأمل الكائن للعالم الخارجي؟ على الأقل من المحتمل أن يكون علم النفس الوصفي في مجمله هو إسباغ للصفات الإنسانية على الأشياء، *[قرض]* للحدود.

علم النفس هو وصف انعكاس العالم الأرضي في المساحة السماوية أو بمعنى أصح: وصف لانعكاس ما، كما نتصوره نحن، الممتصين تمامًا من الأرض، لأنه لا يحدث أي انعكاس، إننا نرى الأرض فقط أينما التفتنا.

كل الأخطاء الإنسانية هي عدم صبر، إنهاء مبكر لما هو

منهجي، ترسيخ ظاهري للشيء الظاهري.

مصيبة دون كيخوت ليست خياله، بل هي سانشو بانزا

٢٠ أكتوبر. في السرير

ثمة خطيئتان إنسانيتان أساسيتان، تنبثق منهما كل الخطايا الأخرى: عدم الصبر والإهمال. بسبب عدم الصبر طردا من الجنة، وبسبب الإهمال لا يعودان إليها. وربما توجد خطيئة أساسية واحدة: عدم الصبر. بسبب عدم الصبر طردا من الجنة وبسبب عدم الصبر لا يعودان إليها.

إننا، من منظور العين ذات الوصمة الدنيوية، في وضع راكبي القطار الذين ينقلب بهم القطار داخل نفق طويل، وتحديدًا في موضع لا تعود رؤية ضوء بداية النفق ممكنة فيه، لكن ضوء نهايته يبدو ضعيفًا جدًا بحيث تسعى العين دائما لتتبعه ودائمًا ما تفقده، رغم أنه لا البداية والنهاية أكيدتان. إلا إنه في ظل اضطراب الحواس أو ظل الحساسية القصوى للحواس يوجد حولنا وحوش كثيرة ولعبة مِشكال مسلية أو مرهقة حسب مزاج وإصابة كل شخص على حدة.

ماذا ينبغي عليّ أن أفعل؟ أو لماذا ينبغي عليّ أن أفعل؟ ليست أسئلة هذه المناطق

تنشغل ظلال كثيرة للراحلين فقط بلعق فيضانات نهر الموت، لأنه ينبع منا ولا يزال يحتفظ بالطعم المالح لبحارنا. ينتفض النهر متقززًا، ويعود بتياره للوراء ويطفو بالموتى عائدًا بهم إلى الحياة. لكنهم سعداء، ينشدون أغاني الامتنان ويربتون على الغاضب.

عند نقطة معينة ليس ثمة تراجع. الوصول لهذه النقطة ممكن.

اللحظة الحاسمة للتطور الإنساني مستمرة، إذا ما تخلينا عن مفهومنا للزمن. لذلك تكون الحركات الفكرية الثورية التي تعلن بطلان كل ما هو سابق على حق، فلم يحدث شيء بعد.

مساءً تمشية إلى أوبركليه.

ظاهريًا سيركِّع المرء العالم دائمًا منتصرًا بنظريات، وسيسقط معه حالًا في الحفرة، لكن فقط من الداخل سيبقى هو والعالم ساكنين وحقيقيين.

إحدى أكثر وسائل إغراء الشر فعالية هو الدعوة للنزال. إنه يشبه النزال مع النساء الذي ينتهي في السرير.

الخيانات الحقيقية للزوج - كما نفهمها على نحو صحيح- لا تكون مضحكة إطلاقًا.

---

٢١. تحت شعاع الشمس

سكون واضمحلال أصوات العالم

حادث يومي: حصاده بطولة يومية. يعتزم ا إبرام صفقة مهمة مع ب من قرية هـ المجاورة. ويذهب إلى هـ لعقد اجتماع تحضيري بشأنها، ويقطع المسافة ذهابًا وإيابًا في عشر دقائق لكل رحلة. وفي بيته يتفاخر بهذه السرعة المميزة. في اليوم التالي يذهب مرة أخرى إلى هـ لإبرام الصفقة بشكل نهائي. ولأن إبرام الصفقة يحتاج لساعات طوال يخرج ا مبكرًا جدًا في الصباح. ورغم أن كل الظروف المحيطة، على الأقل بحسب رأي ا كانت مماثلة لما كان عليه الحال

في اليوم السابق، يحتاج هذه المرة عشر ساعات للوصول إلى هـ. وعندما يصل إلى هناك مرهقًا في المساء، يقولون له إن ب، منزعجًا من غياب ا، انطلق قبل نصف ساعة إلى قرية ا، وكان من المفترض حقًا أن يلتقيا في الطريق. وينصحون ا أن ينتظر، فلا بد أن ب سيعود حالًا. لكن ا لخشيته على الصفقة، ينطلق فورًا ويهُرع إلى بيته. هذه المرة يقطع الطريق عائدًا، ودون أن يلقي بالًا لذلك، بالكاد في لحظة. وفي بيته يعرف أن ب قد أتى مبكرًا أيضًا- مباشرة بعد خروج ا، أجل لقد قابل ا عند بوابة البيت وذكره بالصفقة، لكن ا قال إنه لا وقت لديه الآن وإن عليه أن يعجل في الذهاب. ورغم سلوك ا غير المفهوم بقي ب هنا، لكي ينتظر ا. صحيح أنه سأل كثيرًا إن كان ا قد عاد أم لا، إلا أنه لا يزال موجودًا في غرفة ا بأعلى. سعيدًا بأنه يستطيع الآن الحديث مع ب وأن يوضح له كل شيء، يصعد ا الدرج جريًا. ولا يكاد أن يصل إلى أعلى حتى يتعثر ويعاني من تمزق في الأوتار. فاقدًا للوعي تقريبا من فرط الألم وغير قادر حتى على الصراخ، يسمع وهو ينهنه في الظلام ب- من غير الواضح إن كان قد مر على مسافة بعيدة جدًا أم كاد يلامسه- وهو يدب بقدمه هابطًا الدرج في غضب ويختفي نهائيًا.

يأخذ الشيطاني أحيانًا مظهر الخير أو حتى يتجسد فيه تمامًا. وإذا ما بقي خفيًا عني، أخضع بالطبع، لأن ذاك الخير أكثر جاذبية من الخير الحقيقي. لكن ماذا لو لم يظل خفيًا عني؟ لو اصطادني الخير خلال مطاردتي لشياطين؟ لو كنت موضوعًا للتقزز وقلبتني سنون الإبر المتحسسة من حولي ووخزتني ودفعتني إلى الخير دفعًا؟ لو سعت مخالب الخير المرئية للإمساك بي؟ سأرجع خطوة للوراء

وانسحب بنعومة وحزن إلى الشر، الذي ظل طوال الوقت خلفي منتظرًا قراري.

حياة

كلبة نتنة الرائحة، كثيرة الولادات، وقد أصاب العطن أجزاءً من جسمها، لكنها كانت تمثل لي في طفولتي كل شيء، في وفاء كانت تتبعني على الدوام، لم تمكنني نفسي من ضربها، وأمامها كنت أتراجع خطوات للوراء، متقززًا من أنفاسها، وكانت هي التي ستدفعني، إن لم أتخذ قرارًا آخر، إلى زوايا الجدار المرئية، لكي تتحلل هناك تمامًا، فوقي ومعي، حتى النهاية، هل يشرفني ذلك؟- الصديد ولحم الدود في لسانها على يدي.

مساءً من الطريق إلى تسارش

ثمة مفاجآت للشر. فجأة يلتفت ويقول: « لقد أساءت فهمي»، وربما يكون الأمر حقًا كذلك. يتحول الشر إلى شفتيك، ويترك نفسه لأسنانك لتقرضه، وبشفتيك الجديدتين- لم تكن ثمة شفاه سابقة أكثر طوعًا لأسنانك من تلك- تنطق لدهشتك بالكلمة الطيبة.

سانشو بانزا، الذي لم يفخر بالمناسبة بنفسه قط، تمكن بمرور السنين، عبر مشاركته في عدد من روايات الفرسان واللصوص في ساعات المساء والليل، من إلهاء شيطانه الذي أعطاه لاحقا اسم دون كيخوته لدرجة أن هذا الأخير قد قام من دون توقف بأكثر الأعمال جنونًا، لكن تلك الأعمال ونظرًا لنقص شيء ما معين، كان على

سانشو بانزا أن يكونه، لم تؤذ أحدًا. سانشو بانزا رجل حر، يتبع برباطة جأش وربما لإحساس معين بالمسؤولية دون كيخوته في حملاته وقد اكتسب من ذلك متعة عظيمة ومفيدة حتى نهاية حياته.

---

٢٢. الخامسة ليلًا.

أحد أكثر الأفعال الدون كيخوتية أهمية والأبرز من محاربة طواحين الهواء هو: الانتحار. دون كيخوته الميت يريد قتل دون كيخوته الميت، لكنه يحتاج لموضع حي، إنه يبحث عن هذا الموضع الآن بسيفه دون هوادة ودون جدوى كذلك. وفي ظل هذا النشاط يتدحرج الميتان في شقلبة لا فكاك منها عبر العصور.

صباحا في السرير.

ا متكبر جدًا، ويظن أنه متقدم جدًا في الخير، لأنه يشعر أنه كموضوع جذاب دائمًا ما يكون عرضة على نحو متزايد للإغواءات القادمة من اتجاهات كانت مجهولة له في السابق. لكن التفسير الصحيح هو أن شيطانًا كبيرًا قد اتخذ مكانًا داخله والعدد الذي لا يحصى من الشياطين الصغيرة يهرع لخدمة الكبير.

إلى الغابة في المساء، قمر يكبر، يوم مضطرب وراء ظهري (تذكرة ماكس توعك في المعدة)

اختلاف الرؤى، الذي يمكن للمرء أن يناله من تفاحة مثلًا. رؤية الصبي الصغير الذي يتحتم عليه مد عنقه لكي يتمكن بالكاد من رؤية التفاحة على لوح المائدة ورؤية سيد البيت الذي يأخذ التفاحة ويعطيها بتلقائية لرفيق المائدة.

---

٢٣. مبكرًا في السرير

دليل على أن الوسائل القاصرة أيضًا، أجل الوسائل الطفولية يمكن أن تسهم في الإنقاذ.

لكي يحمي نفسه من الحوريات، وضع أوليس شمعًا في أذنيه، وطلب تقييده على الصاري. بالطبع كان من الممكن لكل المسافرين منذ القدم أن يفعلوا شيئًا مماثلًا (ما عدا هؤلاء الذين جذبتهم الحوريات من على البعد)، لكنه كان من المعروف في كل العالم أنه من المستحيل أن يجدي ذلك نفعًا. كان غناء الحوريات يخترق كل شيء، حتى الشمع، وولع المغويين كان من شأنه أن يحطم أشياء أكثر من القيود والصاري. لكن أوليس لم يفكر في ذلك، رغم أنه من المحتمل أنه قد سمع عنه، لقد وثق تمامًا في حفنة الشمع في يده وفي ربطة القيد، وبالسعادة البريئة بوسائله مر بالسفينة من أمام الحوريات.

لكن لدى الحوريات سلاح إضافي مرعب غير غنائهن، وتحديدًا صمتهن. صحيح أن أمرًا كهذا لم يحدث، لكن من المتخيل ربما، أن ينجو أحد من غنائهن، لكنه لن ينجو بالتأكيد من صمتهن. لا يمكن لأي شيء دنيوي أن يصمد إزاء الشعور بالانتصار عليهن بقوة ذاتية، والثقة بالذات الناجمة عن ذلك والتي تطيح بكل شيء.

وبالفعل لم تغن هاته المغنيات القويات، عندما جاء أوليس، سواء لأنهن اعتقدن أن هذا الغريم لا يمكن أن يلائمه شيء سوى الصمت، أو أن منظر الحبور على وجه أوليس الذي لم يفكر في شيء آخر سوى الشمع والقيود، جعلهن ينسين الغناء.

لكن أوليس، لكي نقولها على هذا النحو، لم يسمع صمتهن، لقد ظن أنهن يغنين، وأنه محمي من سماع غنائهن. على نحو خاطف نظر أولًا إلى التفافات رقابهن، والنفس العميق والعيون المترعة

بالدموع والفم شبه المفتوح، ولكنه ظن أن كل هذا جزء من الأغاني التي تدوي غير مسموعة من حوله. لكن سرعان ما انزلق كل شيء أمام نظراته الموجهة إلى البعيد، اختفت الحوريات عنه تمامًا وخصوصًا في اللحظة التي كان فيها أقرب ما يكون إليهن، لم يعد يدري أي شيء عنهن.

لكنهن، وقد أصبحن أجمل من ذي قبل، تمطين واستدرن، وتركن شعورهن المخيفة طليقة ترفرف في الريح، وثبتن مخالبهن على الصخور، لم يعدن يرغبن في الإغواء. كن يرِدن فقط أن يلتقطن بريق عينيّ أوليس الكبيرتين لأطول وقت ممكن.

لو كان لدى الحوريات وعي، لفنين آنذاك، ولكن هكذا بقين، كل ما في الأمر أن أوليس أفلت منهن.

بالمناسبة سيضاف ملحق آخر إلى ذلك. يُقال إن أوليس كان ماكرًا جدًا، مثل الثعلب، لدرجة أن إلهة قدره لم تستطع أن تخترق داخله، وربما لاحظ حقًا، رغم أن ذلك من الصعب فهمه بالعقل البشري، أن الحوريات قد صمتن، ووضع أمامهن وأمام الآلهة هذا السلوك الظاهري السالف ذكره، كدرع.

بعد الظهر قبل جنازة مصاب بالصرع غرق في البئر

أعرف نفسك لا تعني: تأمل نفسك. تأمل نفسك هي كلمة الحية، إنها تعني: اجعل نفسك سيدًا على تصرفاتك. لكنك الآن هكذا، سيد على تصرفاتك. تعني الكلمة إذًا: أنكر نفسك! دمر

نفسك! أي شيئًا شريرًا، وفقط عندما ينحني المرء انحناءة كبيرة جدًا، يسمع أيضًا خيره الذي مفاده: «من أجل أن أجعلك تصبح ما أنت عليه.»

---

٢٥. حزين متوتر متوعك جسديًا، خوف من براغ، في السرير.

كان يا ما كان، كانت ثمة جماعة من الأنذال، هذا يعني أنهم لم يكونوا أنذالًا، بل أناسًا عاديين، من العامة. كانوا متكاتفين دائمًا. مثلًا إذا ما قام أحدهم بأمر به شيء من النذالة، وهذا يعني مرة أخرى، أمر ليس به شيء من النذالة، وإنما شيء مألوف، كالمعتاد، ثم قام بعرضه على الجماعة، كانوا يقومون بفحصه وتقييمه ويضعون الغرامات ويتسامحون وما إلى ذلك. لم يكن القصد سيئًا، فمصالح الأفراد والجماعة كانت تُصان بصرامة، وينال مقدم التقرير الذي أظهر معدنه الأساسي الحقيقي المجاملات. كانوا يتكاتفون دائمًا وحتى بعد الموت لم يتخلوا عن جماعتهم، وإنما صعدوا في رقصات دائرية إلى السماء. في المجمل كان المنظر وهم يطيرون تجسيدًا للبراءة الطفولية الأكثر نقاءً. لكن نظرًا لأن كل شيء يتحطم إلى عناصره أمام السماء، سقطوا، كتلًا صخرية حقيقية.

أول علامات بدء العرفان هو الرغبة في الموت. تبدو هذه الحياة غير محتملة، وبلوغ حياة أخرى غير ممكن. لا يعود المرء يخجل من رغبته في الموت، يطلب نقله من الزنزانة القديمة التي يكرهها، إلى واحدة جديدة، سيبدأ في تعلم كراهيتها فيما بعد. وستسهم بقية من إيمان في ذلك، أثناء الانتقال سيأتي السيد بالصدفة عبر الممر، وينظر للسجين ويقول: «لا تحبسوا هذا ثانية. سيأتي إلي.»

---

٣. ١١. الطريق إلى أوبركليه. مساءً في الغرفة، أوتلا وتوني يكتبان.

لو سرت على سطح ما، وكانت لديك نية حسنة للسير، ثم تقهقرت مع ذلك، سيكون ذلك أمرًا ميئوسًا منه؛ لكن لأنك تصعد منحدرًا حادًا، حادًا جدًا لدرجة تشبه منظرك أنت نفسك من الأسفل، يبدو التقهقر ناتجًا فقط عن طبيعة الأرضية، ولا يتوجب عليك أن تيأس.

نية طيبة؟ لم تستطع وقف التفكير في إيطاليا، قرأت ب. شليمهيل[1] بصوت عال.

٦. مثل طريق في الخريف: بمجرد أن يُكنس تمامًا، يُغطى مجددًا بالأوراق الجافة.

ذهب قفص لاصطياد طائر.

---

٧. (مبكرا في السرير بعد «ليلة مقبضة»)

هذا ما يتوقف عليه الأمر عندما يغرس المرء السيف في الروح: النظر في سكون، عدم فقدان أي دم، تلقي برودة السيف ببرودة الحجر. وأن تبقى خلال الطعنة وبعد الطعنة، غير قابل للجرح.

---

(١) رواية «قصة بيتر شليمهيل العجيبة» من تأليف الكاتب الفرنسي أدالبرت فون شاميسو (١٧٨١-١٨٣٨) وتتناول قصة الرجل الذي باع ظله للشيطان. كتب فون شاميسو باللغة الألمانية وباسمه دشنت جائزة ألمانية للمؤلفين من أصول مهاجرة. (المترجم)

لم أكن قط في هذا المكان من قبل: التنفس مختلف. بجانب الشمس يسطع نجم يفوقها إبهارًا.

.٩ إلى أوبركليه

لو كان ممكنًا بناء برج بابل، دون أن يتسلقه أحد- لسُمح ببنائه.

---

١٠ نوفمبر. سرير

لا تترك نفسك تظن، بأن بإمكانك أن تخفي أسرارًا عن الشر.

تقتحم فهود المعبد وتكرع كل ما بجرار القرابين حتى الثمالة. يتكرر حدوث ذلك مرارًا، ما يجعل المرء يتوقع حدوثه، ويصبح جزءًا من الاحتفال الطقسي.

انفعالات (بلوهر، تاغر)

فترة طويلة في السرير، دفاع

بالإحكام نفسه الذي تقبض به اليد على الحجر. لكنها تمسكه فقط، كي ترميه لمسافة أبعد. إلا أن الطريق يقود أيضًا إلى هذا البعد.

أنت المهمة. لا تلميذ سواك في أي مكان.

من الخصم الحقيقي تسري فيك شجاعة لا حدود لها.

فهم السعادة بمعنى أن الأرض التي تقف عليها لا يمكن أن تكون أكبر من القدمين اللتين تقفان عليها.

كيف يمكن للمرء أن يفرح بالعالم، إلا إذا كان يهرب إليه.

١١/١٨

المخابئ لا حصر لها، والنجاة واحدة، لكن إمكانيات النجاة عديدة بعدد المخابئ.

فعل ما هو سلبي لا يزال مفروضًا علينا، أما فعل ما هو إيجابي فممنوح لنا.

سارت عربة مزارعين بها ثلاثة رجال في الظلام صاعدة مرتفعًا. التقاهم غريب قادم من الاتجاه الآخر وناداهم. بعد نقاشات قصيرة تبين أن الغريب رجاهم أن يأخذوه معهم. أفسحوا له مكانًا وجذبوه لداخل العربة. ولم يسألوه إلا بعد مواصلة السير: أتيت من هذا الاتجاه، هل سترجع إذًا ثانية؟- «نعم» قال الغريب. «لقد ذهبت في طريقكم في البداية، ثم عدت ثانية، لأن الظلام حل في وقت أبكر عما كنت أتوقع.»

إنك تشتكي من السكون، من يأس السكون، جدار الخير.

الأجمة الشائكة هي عائق الطريق القديم. لا بد أن تشتعل، إذا أردتَ أن تواصلَ السير.

٢١.

عدم نفع الغاية يمكن أن ينكر نفع الوسيلة.

إذا ما آوى المرء الشر عنده مرة واحدة، لا تعود ثمة حاجة لأن يصدقه أحد.

الأفكار الخفية التي تأوي بها الشر في داخلك، هي ليست أفكارك، بل أفكار الشر.

الشر هو ما يُلهي.

يعرف الشر عن الخير، لكن الخير لا يعرف عن الشر.

وحده الشر يملك إدراك الذات.

المناجاة هي إحدى وسائل الشر.

عبث الأديان: جلب المؤسس القوانين من المشرع، وينبغي على المؤمنين تلاوة القوانين على المشرع.

هل حقيقة الأديان هي دليل على استحالة أن يكون الفرد خيِّرًا على الدوام؟ ينتزع المؤسس نفسه من الخير، ويجسد نفسه. هل يفعل ذلك من أجل الآخرين أم لأنه يؤمن بأنه لا يستطيع أن يظل على ما كان عليه سوى مع الآخرين، لأنه يجب عليه «تحطيم العالم»، كي لا يتحتم عليه أن يحبه؟

نوعًا ما لا أمل في الخير.

من يؤمن، لا يستطيع أن يشهد معجزة. خلال النهار لا يرى المرء نجومًا.

من يصنع معجزات، يقول: لا يمكنني أن أترك الأرض.

٢٣.

تقسيم الإيمان على نحو صحيح بين الكلام الخاص والقناعات الخاصة. لا تُترك قناعةٌ للتلاشي في اللحظة التي يدركها المرء. عدم إلقاء المسؤولية التي تفرضها القناعة، على الكلام. عدم سرقة القناعات بالكلام. تطابق الكلام والقناعات ليس هو الحاسم بعد، ولا الإيمان الحسن أيضًا. لا يزال بإمكان مثل هذا الكلام دائما وبحسب الظروف أن يدك مثل هذه القناعات أو أن يستخرجها من باطن الأرض.

لا يعني النطق مبدئيًا إضعاف القناعة-وهو أمر ما كان ليُشكى منه أيضًا- لكنه ضعف للقناعة

البُكم ينتمي لصفات الكمال

لا أطمح لضبط النفس. يعني ضبط النفس أنني أرغب في التأثير في موضع عشوائي من الإشعاع اللانهائي لوجودي الفكري. لكن إذا تحتم عليّ أن أوسع هذا الأثر من حولي، أن أذهب إلى هذا التجوال، فمن الأفضل أن أبقى غير فاعل عبر التحديق المجرد في

المركب الهائل وآخذ فقط الإنعاش الذي يمنحه هذا المنظر كحجة مقابلة إلى البيت.

تزعم الغربان: بإمكان غراب واحد أن يدمر الجنة. هذا أمر لا شك فيه، لكنه لا يُدين الجنة، لأن الجنة تعني: استحالة الغربان.

لا يستهين الشهداء بالجسد، إنهم يتركونه يرتفع فوق الصليب، وهم يتفقون في ذلك مع خصومهم.

---

٢٤. إرهاقه هو إرهاق المصارع بعد القتال، وعمله كان تبييض زاوية في حجرة موظف.

الحكم الإنساني على الأفعال الإنسانية هو حقيقي وباطل، تحديدًا هو بدايةً حقيقي ثم باطل.

عبر الباب إلى اليمين يدخل الناس في حجرة يُعقد فيها مجلس العائلة ويسمعون الكلمة الأخيرة للمتحدث الأخير، ويأخذونها ويتدفقون معه عبر الباب إلى اليسار إلى العالم ويعلنون حكمهم. حقيقي هو الحكم على الكلمة، باطل هو الحكم في حد ذاته. لو أرادوا حقًا أن يطلقوا أحكامًا قاطعة، لكان عليهم أن يبقوا للأبد في الحجرة، وكانوا سيصبحون جزءًا من مجلس العائلة، لكن بذلك ستنعدم قدرتهم مجددًا على إصدار الأحكام.

الحزب وحده هو القادر على إصدار الأحكام، لكنه بوصفه حزبًا ليس بإمكانه إصدار الأحكام. وفقًا لذلك لا توجد في العالم إمكانية

إصدار الأحكام، بل يوجد فقط بصيص منها.

ليس ثمة امتلاك، هناك فقط كينونة، فقط كينونة ترغب فقط في النفس الأخير، في الاختناق.

في الماضي لم أفهم، لماذا لم أحصل على إجابة على سؤالي، اليوم لا افهم، كيف ظننت أن بإمكاني السؤال. لكنني لم أظن إطلاقًا، لقد سألت فحسب.

إجابته على الزعم إنه ربما يمتلك، لكنه غير كائن، كانت مجرد ارتعاش وخفقان للقلب.

التبتل والانتحار يقفان على درجة معرفية مشابهة، أما الانتحار والشهادة فليسا كذلك بأي حال، ربما الزواج والشهادة.

يندهش أحدهم، من سهولة سيره في طريق الأبدية، فقد اندفع فعليًا هابطًا إلى الأسفل.

يسير الطيبون بالخطى نفسها. ومن دون أن يدروا بهم، يرقص الآخرون حولهم رقصات الزمن.

لا يمكن أن يدفع المرء للشر بالتقسيط- ويحاول فعل ذلك باستمرار.

المجذوب والغارق- كلاهما يرفع ذراعيه. الأول يشهد بالانسجام والثاني على الصراع مع العناصر.

لا أعرف المضمون
ليست لدي المفاتيح
لا أصدق الإشاعات
كل شيء مفهوم
لأنني أنا نفسي

٢٥.

الطريق لا نهائي، لا يمكن أن يختصر أو يُضاف إليه أي شيء، ومع ذلك يواصل كل واحد وضع ذراعه الطفولي عليه.

«بالتأكيد، هذا الذراع من الطريق لا بد لك أن تسيره بعد، لن يُنسي لك ذلك.»

وحده مفهومنا للزمن يجعلنا ننعت يوم الحساب بهذا الاسم، إنه في الحقيقة محكمة عسكرية.

---

٢٦. تجعل الكبرياء المرء قبيحًا، كان لزامًا عليها إذًا أن تنتحر، عوضًا عن ذلك تنجرح فقط، وتصبح «كبرياء جريحة».

على سبيل المواساة يبدو اختلال وضع العالم مجرد مسألة أرقام.

بعد الظهر

تنكيس الرأس المليء بالتقزز والكراهية على الصدر. لكن طبعًا وكأن أحدهم يخنقك؟

---

٢٧. قراءة الصحف

---

٣١. (*على الأرجح* ١٢/١) سيأتي المسيح، حتى تصبح الفردية المنحلة للإيمان ممكنة، ولا يقضي أحد على هذه الإمكانية، ولا يقبل أحد بالقضاء عليها، أي أن تنفتح القبور، هذه هي ربما العبرة المسيحية في الإظهار الحقيقي للمثال الذي ينبغي اتباعه، مثال فردي، وكذلك في الإظهار الرمزي لقيامة الوسيط في الإنسان الفرد.

يعني الإيمان: تحرير ما هو غير قابل للتدمير في الذات أو بمعنى أصح أن تصبح غير قابل للتدمير أو بمعنى أصح: أن تكون.

الكسل هو بداية كل الرذائل، وتتويج لكل الفضائل.

الأشكال المختلفة لليأس في مختلف محطات الطريق.

ما زالت كلاب الصيد تلعب في الفناء، لكن الطريدة لا تفوتها، مهما أسرعت العدو الآن عبر الغابات.

على نحو مثير للسخرية أعددت ركبك لهذا العالم.

كلما استخدمت خيولًا أكثر، سارت الأمور أسرع- ليس بمعنى عدم نزع الكتلة من الأساس وهو مستحيل، وإنما تمزيق اللجام وبذلك تتحقق الرحلة الفارغة السعيدة.

تعني كلمة "sein" أي «كينونة» في الألمانية أمرين: الوجود والتبعية له.

---

٢ ديسمبر. لقد خُيروا بين أن يكون ملوكًا أو رسلًا للملوك.

وعلى طريقة الأطفال، أرادوا جميعًا أن يكونوا رسلًا. لذلك يوجد رسل كثر يجوبون العالم، ونظرًا لأنه لا يوجد ملوك، يصيحون لبعضهم البعض بالرسائل التي لم يعد لها معنى. يودون لو أنهوا حياتهم البائسة، لكنهم لا يجرؤون على ذلك بسبب قسم الوظيفة.

---

٤. ليلة عاصفة، برقية من ماكس قبل الظهر، وقف إطلاق النار في روسيا.

لن يأتي المسيح إلا عندما لا تعود ضرورة له، لن يأتي إلا بعد وصوله، لن يأتي في اليوم الأخير، بل في آخر آخر الأيام.

الإيمان بالتقدم لا يعني الإيمان بأن التقدم قد حدث، وإلا لما كان ذلك إيمانًا.

مساءً، وراء ميكوش،

أ عفيف والسماء هي الشاهد له على ذلك.

---

٦. ذبح الخنازير

ثلاثة أمور:

أن ينظر المرء لنفسه كشيء غريب

نسيان النظرة

الاحتفاظ بالمكسب

أو أمران، لأن الثالث يتضمن الثاني.

الشر هو سماء نجوم الخير.

---

٧. لا يستطيع الإنسان العيش دون الوثوق في شيء غير قابل للتدمير، رغم أن عدم القابلية للتدمير وكذلك الثقة يمكن أن يبقيا على الدوام مجهولين له. إحدى طرق التعبير عن هذا البقاء في الخفاء هو الإيمان بإله شخصي.

السماء بكماء، الصدى للأبكم وحده.

يحتاج الأمر للحية: يمكن للشر أن يغوي الإنسان، لكنه لا يستطيع أن يصبح إنسانًا.

---

٨. سرير، إمساك، وجع ظهر، ليلة متوترة، قطة في الغرفة، تمزق.

في النزال بينك وبين العالم، كن ظهيرًا للعالم.

لا يجوز للمرء غش أي أحد، ولا حتى غش العالم في انتصاره.

هناك فقط عالم فكري، ما نسميه بالعالم الحسي هو الشر في العالم الفكري.

كل شيء خداع: البحث عن الحد الأدني من الخداعات، البقاء

في العادي، البحث عن الحد الأقصى. في الحالة الأولى يغش المرء الخير، من خلال جعل نيله أمرًا سهلًا، ويغش الشر من خلال وضع شروط نزال غير ملائمة له، في الحالة الثانية يغش الخير عندما لا يطمح المرء إليه ولا حتى في الأمور الدنيوية، وفي الحالة الثالثة، يغش الخير من خلال ابتعاده عنه بأقصى قدر، والشر من خلال أمل المرء في أن تصعيده الأقصى سيجعل الشر من دون حول أو قوة. هنا تُفضل الحالة الثانية، لأن المرء يغش الخير دائمًا، أما الشر في هذه الحالة، وعلى ما يبدو ظاهريًا على الأقل، فلا.

توجد أسئلة ما كان بإمكاننا أن نتجاوزها، لو لم نكن بحكم الطبيعة معفيين منها.

يمكن للغة أن تُستخدم لكل شيء خارج العالم الحسي على سبيل التلميح فقط، لكن لا يمكن أبدًا استخدامها على سبيل المقارنة حتى ولو بشكل تقريبي فقط، نظرًا لأنها لا تتناول طبقًا للعالم الحسي سوى الملكية وعلاقاتها.

يكذب المرء قليلًا قدر المستطاع، فقط عندما يكذب قليلًا قدر المستطاع، وليس عندما تسنح له فرص قليلة لذلك قدر المستطاع.

عندما أقول للطفل: «امسح فمك، وعندها ستحصل على الكعكة»، فإن هذا لا يعني أن مسح الفم يستأهل الحصول على الكعكة، لأن مسح الفم وقيمة الكعكة ليسا قابلين للمقارنة، كذلك لا يجعل ذلك مسح الفم شرطًا لأكل الكعكة، لأنه بغض النظر عن ضآلة

الشرط، سيحصل الطفل على الكعكة في جميع الأحوال، لأنها جزء ضروري من طعام غدائه- لا تعني الملحوظة إذًا تصعيب الانتقال، وإنما تسهيله، مسح الفم هو ميزة ضئيلة تسبق الميزة الكبيرة لأكل الكعكة.

---

٩. رقصة عيد الكنيسة بالأمس.

درجة السلم التي لم تصنع فيها الخطى تجويفًا عميقًا، هي من منظورها، مجرد شيء خشبي جُمعت أجزائه بشكل مميز.

لا يمكن لمتأمل الروح أن يتوغل فيها، لكن توجد بالأحرى علامة هامشية، يلامس فيها الروح. إدراك هذا التلامس يعني أن الروح أيضًا لا تعرف شيئًا عن نفسها. وعليها إذًا أن تظل مجهولة. كان الأمر عندئذ سيكون حزينًا فقط، لو كان ثمة شيء آخر بخلاف الروح، لكن لا يوجد شيء آخر.

من يزهد في الدنيا، يتحتم عليه أن يحب كل البشر، لأنه يزهد أيضًا في «دنياهم» ومن هنا يبدأ في إدراك الجوهر الإنساني الحقيقي، الذي لا سبيل آخر إلا محبته، بشرط أن يكون المرء على نفس قدره.

من يحب قريبه داخل العالم يكون ظالمًا، بقدر لا يزيد ولا ينقص من الظلم عمن يحب نفسه داخل العالم.

كون أنه لا يوجد سوى عالم فكري، يأخذ منا الأمل ويعطينا اليقين.

---

١١. بالأمس كبير المفتشين. واليوم هو اليهودي. شتاين: الكتاب المقدس شيء قدسي، العالم شيء خرائي.

الفن كائن مبهور بالحقيقة: الضوء على الوجه المشوه المنسحب حقيقي، ولا شيء سواه.

لا يستطيع كل شخص رؤية الحقيقة، لكن يمكنه أن يكونها.

---

١٢. صبي صغير من ليبوريتس

الطرد من الجنة في جزئه الأساسي هو حدث أبدي خارج الزمن. صحيح أنه طرد نهائي من الجنة، ولا مناص من الحياة في الدنيا، لكن أبدية الحدث أو من منظور زمني، تكراره الأبدي يتيح لنا رغم ذلك ألا نتمكن من البقاء على الدوام في الجنة فحسب، وإنما أن نكون هناك باستمرار، بغض النظر عن إن كنا نعرف ذلك هنا أم لا.

لا يمكن أن تعقب الآخرة الحياة الدنيا، لأن الآخرة أبدية، أي أنه لا يمكن لها لأن تكون في علاقة زمنية مع الحياة الدنيا.

---

١٣. بدأت قلوب، بها ندرة جميلة، ألهتني الصحف عنها.

من يبحث لا يجد. من لا يبحث، يُعثر عليه.

---

١٤. الأمس واليوم أسوأ يومين. أسهم في ذلك: قلوب، رسالة إلى د. فايس، شيء ملغز على نحو مختلف. طعام مقزز: بالأمس كارع خنزير، واليوم ذيله. الطريق إلى ميشلوب عبر المنتزه.

إنه مواطن أرضي حر ومضمون، لأنه مقيد بسلسلة طويلة بما يكفي لكي تتيح له الحركة في كل المساحات الأرضية، لكنها مع ذلك طويلة بالقدر ذاته بحيث لا يمكن لشيء خارج حدود الأرض أن ينتزعه. وهو في الوقت ذاته مواطن سماوي حر ومضمون، لأنه مقيد بسلسلة سماوية شبيهة. إذا أراد الذهاب للأرض يخنقه طوق السماء، وإذا أراد الذهاب للسماء يخنقه طوق الأرض، ورغم ذلك لديه كل الإمكانات ويشعر بها، أجل، بل ويرفض إرجاع كل ذلك إلى خطأ في القيد الأول.

---

١٥. رسالة من د. كورنر، فاتسلاف، طحين من الأم.

لن يُحسم الأمر هنا، لكن هنا فقط يمكن تجربة قوة الحسم.

---

١٧. أيام فارغة. رسائل إلى كورنر وبفول وبيربرام وكايزر، والوالدين.

الزنجي الذي أعيد إلى وطنه من المعرض العالمي، وقد جن جنونه من فرط الحنين لموطنه، يؤدي بوجه جاد وسط قريته وفي ظل نواح قبيلته على سبيل التقليد والواجب المزح التي أبهجت الجمهور الأوروبي بوصفها عادات وتقاليد أفريقيا.

نسيان الفن لذاته وإلغائه إياها: ما هو هروب، سيزعم أنه نزهة أو حتى هجوم.

رسائل فان جوخ

إنه يتتبع الحقائق مثل مبتدئ في التزلج، يتدرب علاوة على ذلك في مكان ما يحظر فيه ذلك.

١٩. بالأمس الإعلان عن زيارة ف، اليوم وحيدًا في غرفتي، وفي الجانب الآخر يخرج دخان من المدفأة، ذهبت إلى تسارش مع ناتان شتاين، وكيف حكى للفلاحة أن العالم مسرح.

هل ثمة ما هو أسعد من الإيمان بإله منزلي-إنه لحضيض أسفل كل الإدراك الحقيقي واستيقاظ طفولي سعيد!

نظريًا توجد إمكانية سعادة كاملة. الإيمان بما هو غير قابل للتدمير في داخلك وليس السعي إليه.

٢١. برقية إلى ف.

أول حيوان منزلي لآدم بعد الطرد من الجنة هو الحية.

---

٢٢. ألم اللمباجو، حسابات في الليل

---

٢٣. رحلة سعيدة وباهتة بعض الشيء. سمعت الكثير

نمت نومًا سيئًا، يوم مجهد

ما هو غير قابل للتدمير هو شيء واحد، هو كل إنسان على حدة، وهو شيء مشترك بين الجميع في الوقت ذاته. ومن هنا الرابطة الفريدة التي لا تنفصم بين البشر.

في الجنة كما هي الحال دائما: الذي تسبب في المعصية والذي أدركها واحد. الضمير المستريح هو الشر، المنتصر

للغاية حتى أنه لم يعد يرى حتى أن تلك القفزة من اليسار إلى اليمين ضرورية.

الهموم التي يعتذر ذو الحظوة بثقل حملها في مواجهة المقهور، هي بالذات هموم الاحتفاظ بالحظوة.

٢٥، ٢٦، ٢٧- مغادرة ف. بكاء. كل شيء صعب، وظالم ولكنه صحيح.

إنه يأكل فضلات مائدته ويصبح بذلك لبعض الوقت أكثر شبعًا من الكل، لكنه ينسى كيفية الأكل من فوق المائدة، وبذلك أيضًا لا يعود للفضلات وجود.

٣٠. لست محبطًا إحباطًا جوهريا.

إذا كان الذي ينبغي تدميره في الجنة، قابلًا للتدمير، لما كان حاسمًا، لكن إذا كان غير قابل للتدمير، فإننا نعيش إذًا معتقدًا خاطئًا.

---

٢. لدى المعلم اليقين الحقيقي، ولدى التلميذ اليقين المستمر.

اختبر نفسك لدى البشرية. إنها تجعل المتشكك يتشكك والمؤمن يؤمن.

---

١٢. غدًا يسافر باوم.

هذا الشعور: «لن أرسو هنا» والشعور في الوقت ذاته بالفيضان المتموج الحامل من حولك.

يغوي التعامل مع البشر بمراقبة الذات.

لا يصبح العقل حرًا، إلا عندما يحجم عن أن يكون سندًا.

بحجة الذهاب إلى الصيد، يبتعد عن البيت، ولو لم نكن نعرف أنه يذهب إلى الصيد، لمنعناه من الذهاب.

١٣. ذهب أوسكار مع أوتلا، الطريق إلى ليشفيتتس.

يغطي الحب الحسي على الحب السماوي، وما كان باستطاعته أن يفعل ذلك بمفرده، ولكنه يستطيع ذلك لأن به ومن دون وعي منه عنصر الحب السماوي.

١٤. عكر المزاج ضعيف وغير صبور

يوجد فقط شيئان: الحقيقة والكذب. الحقيقة غير قابلة للقسمة، ولا تستطيع إذًا إدراك ذاتها. من يريد إدراكها لا بد أن يكون كذبة.

١٥. غير صبور تحسن نزهة ليلية إلى أوبركليه.

لا يمكن لأحد أن يرغب فيما يضر به إضرارًا تامًا. لكن لو كان هذا هو الظاهر لدى إنسان بعينه، وكان هذا هو الحال دائمًا لدى هذا الإنسان- فتفسير ذلك أن شخصًا ما داخل هذا الإنسان يطلب شيئًا،

يفيد هذا الشخص إلا أنه يضر شخصًا آخر، اعتُمد عليه نوعًا ما لتقييم القضية، ضررًا بالغًا. لو أن هذا الإنسان لم يتخذ من البداية مباشرة، وليس عند تقييم القضية، جانب الشخص الثاني، لكان الشخص الأول قد اختفى واختفت معه رغبته.

---

١٧ (*غالبا*: ١٦) تسعى الأسطورة لتفسير ما لا يُفسر، ولأنها نابعة من أساس حقيقي، لا بد أن ينتهي بها المطاف إلى الغموض.

ثمة أربع أساطير تُروى عن بروميثيوس. بحسب الأولى، فقد كُبل بالأغلال على جبال القوقاز لأنه خان الآلهة لدى البشر، وأرسلت الآلهة نسورًا تفترس كبده الذي ينمو من جديد باستمرار.

وبحسب الثانية، أخذ بروميثيوس يضغط من فرط الألم الناجم عن المناقير الناهشة بعمق أكثر في الصخر حتى صار جزءا منه.

وبحسب الثالثة، نُسيت خيانته عبر القرون، نستها الآلهة، ونستها النسور، ونساها هو نفسه. وبحسب الرابعة أُنهك المرء مما آلت إليه الأمور من دون سبب، أُنهكت الآلهة، والنسور، والتئم الجرح منهكًا.

وبقي الجبل الصخري الغامض.

قانون الرقص الرباعي واضح، كل الراقصين يعرفونه، وهو صالح لكل العصور. لكن إحدى صدف الحياة التي لا يجوز أن تحدث، لكنها تتكرر باستمرار، تزج بك بين الصفوف. ربما ترتبك الصفوف نفسها بسببها أيضًا، لكنك لا تعرف ذلك، كل ما تعرفه هو مصيبتك.

---

١٧ الطريق إلى أوبركليه. حواجز مرورية

الانتباه أيضًا للشيطان داخل الشيطان

---

١٨. الأيام

الشكوى: لو أصبحت خالدًا، كيف سأصبح غدًا؟

١٩ بإرادته استدار مثل قبضة وتجنب العالم.

لا قطرة فائضة، ولم يعد ثمة مكان لأي قطرة.

كون مهمتنا كبيرة تمامًا مثل حياتنا، يمنحها ذلك مظهر الأبدية.

---

٢٠. لماذا نشتكي بسبب الخطيئة الأولى؟ فليس بسببها طُردنا من الجنة، وإنما بسبب شجرة الحياة، كي لا نأكل منها.

نحن مفصولون عن الله من كلا الجانبين. الخطيئة الأولى تفصلنا عنه، وشجرة الحياة تفصله عنا.

لسنا آثمين لأننا أكلنا فحسب من شجرة المعرفة، وإنما لأننا لم نأكل بعد من شجرة الحياة.

بعيدًا عن الذنب، آثم هو الوضع الذي نحن فيه.

شجرة الحياة- سيد الحياة.

لقد طُردنا من الجنة، لكنها لم تُدمر. كان الطرد من الجنة على نحو ما نعمة، لأننا لو لم نطرد، لتحتم تدمير الجنة.

لقد خُلقنا من أجل أن نعيش في الجنة، كان قدر الجنة أن تخدمنا. تغير مصيرنا، أما مصير الجنة فلم يتغير.

البشر وحدهم من حلت عليهم اللعنة، أما جنة عدن فلا.

بحسب الله كان من المفترض أن يكون الموت هو عاقبة الأكل من شجرة المعرفة، وبحسب الحية (على الأقل كان بمقدور المرء فهمها في هذا الاتجاه) أن تصبح مساويًا للإله. كلا الأمرين كانا خاطئين على نحو مشابه. لم يمت البشر، لكنهم أصبحوا فانين، ولم يصبحوا مساوين للإله، لكنهم حصلوا على قدرة ضرورية، لكي يصبحوا مساوين للإله. كلا الأمرين كانا أيضًا صحيحيْن على نحو ما. لم يمت الإنسان، ولكن مات إنسان الجنة، لم يصبحوا الله، وإنما الإدراك الإلهي.

احترقت الوسادة، ليس تمامًا أيها الحصيف

لو لم نطرد من الجنة، لتحتم تدمير الجنة.

الأفق البائس للشر، حتى في إدراكه للخير والشر يعتقد أنه يرى المساواة بالإله. يبدو أن اللعنة لم تمس جوهره بسوء: ببطنه سيقيس طول الطريق.

الشر هو نشر الوعي الإنساني في مواضع انتقالية معينة.

ليس العالم الحسي هو الظاهر في الحقيقة، ولكن شره هو الذي يشكل مع ذلك لأعيننا العالم الحسي.

منذ الخطيئة الأولى وقدرتنا على معرفة الخير والشر في جوهرها متساوية. ورغم ذلك نبحث هنا بالذات عن امتيازاتنا الخاصة. لكن فقط على الجانب الآخر من هذه القدرة والمعرفة تبدأ الاختلافات الحقيقية. يُستدعى المظهر النقيض من خلال ما يلي: لا يمكن لأحد أن يكتفي بالمعرفة وحدها، بل عليه أن يطمح للتصرف وفقًا لها. لكنه لم يُمنح القوة اللازمة لذلك، ولذلك عليه أن يدمر نفسه، حتى لو خاطر بأنه لن يحصل من خلال ذلك على القوة اللازمة، لكن لا يبقى أمامه شيء آخر سوى هذه المحاولة الأخيرة. (وهذا يتوافق أيضًا مع التهديد: في اللحظ. . .يجب أن تموت) إنه يرتعد من هذه المحاولة. يريد أن يتراجع عن معرفة الخير والشر. وأيضًا يعود وصف الخطيئة الأولى إلى هذا الخوف. (لقد أدت الحية بمشورتها نصف عملها فحسب، والآن عليها فوق ذلك أيضًا أن تسعى لتزييف ما أحدثته، أي أن تعض ذيلها بالمعنى الحقيقي للكلمة.) لكن ما حدث لا يمكن إلغاؤه، وإنما فقط جعله ضبابيا. ولهذا الغرض تنشأ دعامات البناء. العالم كله مليء بها، أجل العالم المرئي كله ربما لا يكون شيئًا سوى دعامة بناء واحدة للإنسان الذي يريد أن يرتاح للحظة واحدة. جعل المعرفة هدفًا هو وسيلة لجعل حقيقة المعرفة موضع اشتباه.

بذهول نظرنا إلى الحصان الكبير. لقد اخترق سطح غرفتنا. امتدت السماء الملبدة بالغيوم واهنة بطول المجسم الضخم وطار العُرف مصدرًا حفيفًا في الريح.

موقف الفن والحياة هو أيضًا موقف مختلف داخل الفنان.

يطير الفن من أجل الحرية، لكن بنية محسومة إلا يحرق نفسه. تكمن قدرته في أن يجد مكانًا في الفراغ المظلم، حيث يمكن التقاط شعاع الضوء بقوة، دون أن يكون إدراك ذلك ممكنًا قبلها.

إيمان، مثل البلطة، ثقيل جدًا وخفيف جدًا.

---

٢٥. فجر

الموت أمامنا تقريبًا مثل لوحة معركة الإسكندر على حائط الفصل الدراسي. ويتوقف الأمر على أن تقوم أفعالنا بتعتيم الصورة أو بمحوها.

المنتحر هو السجين الذي يرى مشنقة تُنصب في فناء السجن ويظن خطأ أنها من أجله، فيهرب في الليل من زنزانته وينزل إلى الفناء ويشنق نفسه.

لدينا المعرفة. من يبذل من أجلها جهدًا مميزًا، يُشتبه في أنه يعمل ضدها.

قبل الدخول إلى قدس الأقداس عليك أن تخلع حذائك، لكن ليس الحذاء وحده، وإنما كل شيء، ملابس السفر والحقائب وتحتها العُري، وكل شيء مختبئ تحت العُري، ثم النواة ونواة النواة، ثم ما تبقى، والباقي، ومن بعد أيضًا بريق النار التي لا تفنى. وحدها النار

نفسها يمتصها قدس الأقداس وتتركه يمتصها، لا أحد منهما يمكنه مقاومة ذلك.

ليس نفض الذات وإنما أكل الذات

كانت ثمة ثلاثة إمكانيات عقاب للخطيئة الأولى: أخفها كانت هي الإمكانية الفعلية، أي الطرد من الجنة، والثانية هي تدمير الجنة- والثالثة كانت ستكون الأفظع- حجب شجرة الحياة وترك كل شيء آخر من دون تغيير.

---

٢٨ خيلاء، شرود، بضعة أيام

ثمة إمكانياتان: أن تصغر نفسك إلى ما لانهاية أو أن تكون هكذا. الإمكانية الأولى هي اكتمال، أي لا فعل، الثانية بداية، أي فعل.

لتجنب خطأ في الكلام: ما ينبغي تدميره فعليًا، لا بد من تثبيته مسبقا بالنظرة واليد: ما يتفتت، يتفتت، لكن لا يمكن أن يُدمر.

أ لم يستطيع أن يعيش على وفاق مع ذاته ولا أن يتركها، لذلك أطلق النار على نفسه، لقد ظن أنه يمكنه بهذه الطريقة أن يوحد ما لا يمكن توحيده، أي الذهاب مع نفسه إلى مكان آمن ومريح.

«إن. . .فلا بد أن تموت» تعني: المعرفة هي الأمران في الوقت ذاته: درجة نحو الحياة الأبدية وعائق أمامها. إذا ما أردت بعد المعرفة المكتسبة أن تصل إلى الحياة الأبدية- ولن يكون بإمكانك

سوى الرغبة في ذلك، لأن المعرفة هي هذه الإرادة- فسيتحتم عليك تحطيم العائق من أجل بناء الدرجة، وهذا هو التدمير. من هنا لم يكن الطرد من الجنة فعلًا وإنما حدثًا.

«الكراسة د»

من خلال إلقاء مسؤولية كبيرة للغاية أو بالأحرى كل المسؤولية على كاهلك تسحق نفسك. أول عبادة للأصنام كانت بالتأكيد خوفًا من الأشياء، لكن يرتبط بهذا أيضًا الخوف من ضرورة الأشياء ويرتبط بذلك الخوف من المسؤولية عن الأشياء. بدت هذه المسؤولية هائلة جدًا لدرجة أن المرء لم يكن يجرؤ أن يكلف بها حتى كائنًا غير بشري، لأنه حتى من خلال وساطة مجرد كائن، ما كانت المسؤولية البشرية لتخف بالقدر الكافي، فالتواصل مع هذا الكائن سيكون موصومًا بالمسؤولية للغاية، لذا أُعطى بقدر الإمكان لكل شيء المسؤولية عن ذاته، وفوق ذلك أُعطيت هذه الأشياء قدرًا من المسؤولية عن البشر. لم يكن بالإمكان القيام بما يكفي لخلق التوازنات، هذا العالم الساذج كان هو أعقد عالم موجود على الإطلاق، وانتعشت سذاجته في العاقبة الوحشية فحسب.

إذا فُرضت عليك المسؤولية، يمكنك أن تتحين اللحظة وترغب في القضاء على المسؤولية، لكن إذا حاولت، ستلاحظ أنه ليس ثمة شيء مفروض عليك، وإنما أنك أنت هذه المسؤولية ذاتها،

كان من الممكن لأطلس أن يرى أنه يجوز له، إن شاء، أن يترك

الأرض تسقط وأن يتسلل هاربًا؛ لكن لم يكن مسموحًا له بأكثر من هذا الرأي.

الصمت الظاهري الذي تتعاقب به الأيام والفصول والأجيال، يعني الإنصات: هكذا تسير الخيول بخبب أمام العربة.

---

٣١. بستنة، يأس

معركة ليس بها أي حماية للظهر بأي طريقة ولا في أي مرحلة. ورغم أن المرء يعرف، ينسى ذلك مرارًا وتكرارًا، وحتى لو لم ينس، يبحث مع ذلك عن مكان يحتمي فيه، فقط لكي يستريح خلال هذا البحث، ورغم هذا يعرف المرء أن لذلك عواقبه.

---

١ فبراير رسائل لينتس

للمرة الأخيرة علم النفس!

مهمتان لبدء الحياة: تضييق دائرتك أكثر فأكثر، والتأكد باستمرار بأنك لا تختبئ في مكان ما خارج دائرتك.

---

٢. رسالة من فولف[1]

يكون الشر في اليد أحيانًا مثل الأداة، سواء بإدراك أو غير إدراك، تُوضع بهدوء جانبًا، أجل إنها تقع تحت ناظريك.

---

(١) كورت فولف هو ناشر مؤلفات كافكا في هذا الوقت. (المترجم)

مباهج هذا العالم ليست مباهجه، وإنما خوفنا من الصعود إلى حياة أسمى، عذابات هذه الحياة ليست عذاباته، وإنما عذابنا الذاتي بسبب ذاك الخوف.

٤ رقاد لوقت طويل، أرق، أن تصبح واعيًا بالمعركة

في عالم للكذب، لا تُستأصل شأفة الكذب من العالم بنقيضه وإنما بعالم للحقيقة.

إلى أي أمر تُشير، ما الذي يبررك؟

ا: هل ترغب في أن تسعدني سعادة كبيرة؟

ب: بكل سرور

ا: بأن تجيبني من دون أن تسألني.

ب: أجل، أنا سعيد جدًا بأن شخصًا مستقلًا، على الأقل ظاهريًا، يسأل من تلقاء نفسه

ا: ليس على هذا النحو، لقد بدأت نوعًا ما في في طرح الأسئلة

ب: لن أفعل من بعد. لديك سؤال!

ا: أين يكمن تبريرك؟

ليس لدي تبرير

وتستطيع العيش.

تمامًا لهذا السبب، لأنني ما كنت لأستطيع العيش بالتبرير. كيف كان سيمكن لي تبرير كثرة أفعالي وظروف حياتي.

المعاناة هي العنصر الإيجابي لهذا العالم، أجل، إنها الصلة

الوحيدة بين هذا العالم والإيجابي. هنا فقط تكون المعاناة- معاناة. ليس وكأن هؤلاء الذين يعانون هنا، سينالون سموًا في مكان آخر بسبب هذه المعاناة، وإنما الأمر هو على هذا النحو، ما يسمى في هذا العالم معاناة، هو في عالم آخر -كما هو، وقد تحرر فقط من نقيضه- هناء.

---

٥. صباح الخير، مستحيل تذكر كل شيء

تدمير هذا العالم، ما كان سيكون هو المهمة إلا لو كان العالم أولًا شريرا، أي مناقضًا لفهمنا وثانيًا لو كنا قادرين على تدميره. لا نستطيع تدمير هذا العالم، لأننا لم نشيده كشيء مستقل، وإنما تهنا فيه، بل وأكثر من ذلك: هذا العالم هو تيهنا، لكنه بوصفه هذا يصبح هو ذاته غير قابل للتدمير، أو بالأحرى شيء يمكن تدميره من خلال إنهائه، وليس من خلال التخلي.

يوجد بالنسبة لنا وجهان للحقيقة، كما تصورهما شجرة المعرفة وشجرة الحياة. حقيقة الفاعلين وحقيقة الساكنين، في الحقيقة الأولى ينفصل الخير عن الشر وفي الثانية لا يوجد شيء سوى الخير ذاته، وهي لا تعرف خيرًا ولا شرًا. الحقيقة الأولى ممنوحة لنا فعلًا، أما الثانية فنستشعرها. هذا هو المنظر الحزين. أما المنظر البهيج فهو أن الحقيقة الأولى تنتمي للحظة أما الثانية فتنتمي للأبدية، لذلك تنطفئ الحقيقة الأولى أيضًا في ضوء الثانية.

---

٦. كنت في فلوهاو

هذا التصور عن الاتساع اللانهائي وزخم الكون هو نتيجة

للمزيج الأكثر حدة من الخَلق المضني والتأمل الذاتي الحر.

---

٧. جندي مع حجارة، جزيرة روغن

لا يعني التعب بالضرورة ضعف الإيمان أم يعني ذلك؟ يعني التعب في كل الأحوال عدم الرضا. أشعر بالضيق في كل شيء أعنيه، حتى الأبدية التي هي أنا ضيقة عليّ للغاية. لكن إذا قرأت على سبيل المثال كتابًا جيدًا، كوصف رحلة مثلًا، فإنه يوقظني، يرضيني، يكفيني. والدليل على ذلك أنني لم أُدخل هذا الكتاب قبل ذلك معي إلى أبديتي أو لم يتغلغل إلى إدراك تلك الأبدية، التي من الضروري أيضًا أن تضم هذا الكتاب. -عند درجة معينة من الإدراك يجب أن يختفي التعب وعدم الرضا والإحساس بالضيق، واحتقار الذات، تحديدًا هناك، حيثما امتلكت القوة لإدراك أن ما كان في الماضي ينعشني ويرضيني ويحررني، ويسمو بي بوصفه غريبًا، هو جوهري أنا ذاتي.

لكن كيف هو الأمر لو كان هذا التأثير لغريب متوهم فحسب وأنك من هذا المنظور لم تكسب شيئًا من المعرفة الجديدة، بل وخسرت فوق ذلك أيضًا السلوى القديمة. بالتأكيد أن له وحده كغريب هذا التأثير، لكن ليس هذا التأثير وحده، وإنما بامتداد الأثر سمى بي أنا أيضًا إلى هذه الدرجة الأعلى. لم يتوقف عن أن يكون غريبًا، وإنما بدأ فقط فوق ذلك في أن يكون «أنا». لكن الغربة التي هي أنت لا تعود غريبة. بذلك تنكر خلق العالم وتناقض نفسك.

من المفترض أن أرحب بوحدة الموقف، وعندما أجدها أكون حزينًا. من المفترض أن أشعر عبر وحدة الموقف بأنني أكثر اكتمالًا

وأشعر بانسحاقي؟

أنت تقول: ينبغي عليّ -أن أشعر؛ وتعبر بذلك عن إلزام موجود في داخلك؟

هذا ما أعنيه.

هل هو إلزام مستمر، أم مؤقت؟

لا أستطيع أن أقرر ذلك، لكنني أعتقد أنه إلزام مستمر، لكني أسمعه مؤقتًا؟

ومم تستنتج ذلك؟

من أنني أسمعه نوعًا ما، حتى لو لم أسمعه، على نحو أنه هو نفسه لن يكون مسموعًا، ولكنه يُخفض الصوت المضاد، أو يجعله تدريجيًا مريرًا، الصوت المضاد الذي يفسد عليّ وحدة الموقف.

وهل تسمع أيضًا الصوت المضاد عندئذ على نحو مماثل، عندما يتحدث الإلزام إلى وحدة الموقف؟

غالبًا أيضًا، أحيانًا أظن أنني لا أسمع شيئًا آخر سوى الصوت المضاد، وكل ما عداه هو مجرد حلم، وأنا أترك الحلم يمتزج بالنهار.

لماذا تقارن الإلزام الداخلي بحلم؟ هل يبدو عبثيًا مثل الحلم، غير مترابط ولا مفر منه وفريد ومفرح أو مخيف من دون سبب، لا يمكن حكيه بشكل مكتمل، والحاجة لحكيه ملحة؟

كل هذا، عبث، لأنه بمجرد ألا اتبعه يمكنني أن استمر هنا، من دون سياق، لا أعرف من يأمر به وما هو هدفه، لا مناص، يصيبني وأنا غير مستعد، وبالمفاجأة نفسها كما يصيب الحلم النائم، الذي يكون مع ذلك ولأنه يرقد للنوم مستعدًا حتمًا للحلم، إنه فريد أو يبدو

هكذا على الأقل، لأنني لا أستطيع أن أتتبعه، إنه يمتزج مع الواقع، وينال بذلك فرادته البكر، إنه يخيف ويسعد من دون سبب، ومع ذلك فالأولى أكثر ندرة من الثانية، لا يمكن روايته، لأنه غير ملموس وتتولد حاجة لحكيه للسبب نفسه.

المسيح، لحظة

---

٨. نهض سريعًا، فرصة عمل. عمولة

---

٩. هدأة الريح في بعض الأيام، وضجيج القادمين، وكيف يهرع ذوونا خارجين من البيوت للترحيب بهم، وأعلام معلقة هنا وهناك، يهرع المرء إلى القبو لإحضار النبيذ، وتسقط من النافذة وردة على الأسفلت، لا أحد يعرف الصبر، مئات الأيادي تمسك بالقوارب في وقت واحد لتدفعها إلى البر، الرجال الغرباء ينظرون حولهم ويرتقون السلم في الضوء البازغ للميدان.

لماذا الخفيف بهذا الثقل؟ كانت لدي إغواءات- . دعك من العد. الخفيف ثقيل. إنه خفيف جدًا وثقيل جدًا. مثل لعبة صيد يكون فيها مكان الاستراحة الوحيد هو شجرة على الجانب الآخر من المحيط. لكن لماذا رحلت من هناك؟

أشد ما يكون المنحدر عند الساحل، منطقته ضيقة جدًا ومنيعة جدًا

عدم السؤال كان من شأنه أن يعيدك، وأما السؤال فكان من شأنه أن يجعلك تجوب محيطًا آخر.

ليس هم من هاجروا، بل أنت.

مرارًا وتكرارًا يصيبني الضيق بالانقباض.

لكن الأبدية ليست هي توقف الزمنية.

ما هو مقبض في تصور الأبدي هو: التبرير غير المفهوم لنا الذي يتحتم على الزمن أن يشهده في الأبدية وما ينتج عن ذلك من تبرير لأنفسنا، كما نحن عليه.

ما هو أكثر كآبة من القناعة الأكثر صرامة بوضعنا الحالي الآثم، هو نفسه القناعة الأضعف بتبرير زمنيتنا في الأبدية. وحدها القدرة على احتمال هذه القناعة الثانية التي تشمل في نقائها القناعة الأولى تمامًا هي معيار الإيمان.

الأحد. ضجيج. سلام لأوكرانيا

يختفي ضباب قادة المعارك والفنانين، العشاق والأغنياء، السياسيين ولاعبي الجمباز، البحارة و

الحرية والتقيد هما في معناهما الجوهري شيء واحد. في أي معنى جوهري؟ ليس بمعنى أن العبد لا يستطيع فقدان حريته، أي أنه بمعنى ما أكثر حرية من الحر.

قيود الأجيال ليست قيود جوهرك، ومع ذلك ثمة روابط قائمة. أيها؟ تموت الأجيال مثلما تموت لحظات حياتك. أين يكمن الفرق؟

إنها المزحة القديمة: إننا نمسك بالعالم ونشكو من أنه يمسك بنا.

إنك تنكر بمعنى ما وجود هذا العالم.

إنك تفسر الوجود كاستراحة، كاستراحة في الحركة.

سلام لروسيا

يبقى بيته في العموم سالمًا من نيران الحرائق، ليس لأنه ورع، وإنما لأن هدفه هو أن يبقى بيته سالمًا.

المتأمل هو بمعنى ما المرافق للحياة، إنه متعلق بما هو حي، يسعى لأن يساير الريح في سرعتها. لا أرغب في ذلك.

تعني الحياة أن تكون في منتصف الحياة؛ أن تحدق بنظرك في الحياة فيما أنا أصنعها.

يمكن للعالم أن يكون حسنًا فقط من الموضع الذي خُلق منه، لأنه من هناك فقط قيل: وانظر، لقد كان حسنًا ومن هناك فقط يمكن الحكم عليه وتدميره. ولذلك يتحتم عليّ إذا ما أردت أن أصل لعلاقة صحيحة معه...

الطابع المميز الحاسم لهذا العالم هو فناؤه. وبهذا المعنى ليس لقرون أن تكون سابقة على اللحظة اللحظية. إذًا لا يمكن لاستمرار الفناء أن يمنح السلوى؛ وازدهار حياة جديدة من وسط الخراب يثبت بدرجة أقل استمرارية الحياة أكثر من الموت. إذا أردت محاربة هذا العالم، فعليّ أن أحاربه في طابعه المميز الحاسم أي في فنائه. هل يمكنني فعل ذلك في هذه الحياة، وأن أفعل ذلك حقًا وليس فقط من خلال الرجاء والإيمان؟

إنك تريد إذًا أن تحارب العالم بأسلحة أكثر واقعية من الرجاء والإيمان. من المحتمل أن تكون هذه الأسلحة موجودة، لكن التعرف عليها واستخدامها ممكن فقط بشروط معينة: أريد أن أرى أولًا إن كانت لديك هذه الشروط.

١٩ فبراير العودة من براغ أوتلا في تسارشن

أبهرت الليلة القمرية أعيننا. صاحت الطيور من شجرة لأخرى.

وفي الحقول هفهفت الريح.

زحفنا عبر التراب، زوج من الحيات.

الحدس والتجربة.

إذا كانت «التجربة» هي الاستراحة في المطلق، يمكن أن يكون الحدس هو مجرد الطريق الملتف عبر العالم إلى المطلق. لكن الكل يسعى للهدف والهدف واحد. إلا أن التعادل يمكن أن يكون ممكنًا لو كان التحلل مجرد تحلل في الوقت، أي أنه مجرد تحلل في كل لحظة حقًا، و لكنه ليس تحللًا مكتملًا على الإطلاق.

---

٢١. يمكن أن يكون ثمة علم خاص بما هو شيطاني، لكن لا يوجد إيمان به، فليس ثمة ما هو أكثر شيطنة من الموجود.

دائمًا ما تأتي الخطيئة صريحة ويمكن إدراكها على الفور بالحواس. شفافة بوصفها خالقة لنفسها. تأتي من الخارج وتذكر أصلها لمن يسألها عنه.

من يهتم فقط بالمستقبل هو أقل عناية من هذا الذي يهتم باللحظة، لأنه لا يهتم حتى باللحظة وإنما فقط بمدتها.

سيتحتم علينا أن نعاني أيضًا كل المعاناة من حولنا. لقد تألم المسيح من أجل البشرية، ويجب على البشرية أن تتألم من أجل المسيح. نحن جميعًا ليس لدينا جسد ولكن لدينا نمو وهذا يقودنا عبر كل الآلام، سواء بهذا الشكل أو ذاك. مثلما يتطور الطفل عبر كل مراحل الحياة حتى يصبح شيخًا وحتى الموت- وكل مرحلة في الأساس تبدو بالنسبة للمرحلة السابقة عليها من حيث المتطلبات ومن حيث الخوف بعيدة المنال- وكذلك نتطور نحن- ليس أقل عمقًا في الارتباط مع البشرية من الارتباط بأنفسنا-عبر كل معاناة هذا العالم معًا، مع كل رفاق الإنسانية. في هذا السياق لا مكان للعدالة، ولكن أيضًا لا مكان للخوف من المعاناة أو لتفسير المعاناة كفضيلة.

---

٢٢. رسالة من هـ

لكل من التفكر والفعل حقيقتهما الظاهرية، لكن الفعل المرسل

من التفكر أو بالأحرى العائد إليه هو الحقيقة.

يمكنك أن تنأى بنفسك عن معاناة العالم، هذا أمر متروك لك ويناسب طبيعتك، لكن ربما يكون هذا النأي هو المعاناة الوحيدة، التي قد يمكنك تجنبها.

للإنسان إرادة حرة وتحديدًا بثلاثة أشكال: إنه كان حرًا عندما أراد هذه الحياة، لكن الآن لم يعد باستطاعته الرجوع في الأمر، لأنه لم يعد ذاك الذي كان يريد ذلك في الماضي، إلا لو كان ذلك إلى الحد الذي ينفذ فيه إرادته السابقة من خلال أن يحيا. إنه ثانيًا حر في أنه يستطيع اختيار طريقة مشيه وطريقه في هذه الحياة. إنه ثالثًا حر في أنه بوصفه ذاك الذي سيكونه ذات مرة مجددًا، لديه الإرادة في أن يخوض غمار الحياة في ظل أي شروط ويتيح لنفسه بهذه الطريقة العودة إلى ذاته وتحديدًا عبر طريق اختياري حقًا ولكنه على أي حال متاهي لدرجة أنه لا يترك بقعة من هذه الحياة من دون أن يمسها. هذه هي الأشكال الثلاثة للإرادة الحرة، لكنها أيضًا، ولكونها متزامنة مع بعضها، سواء، بل إنها في الأساس سواء للغاية بحيث لا يوجد مكان لإرادة ما، حرة كانت أو غير حرة.

---

٢٣. رسالة لم تكتب

المرأة، وربما بتعبير أكثر حدة، الزواج، هو ممثل الحياة الذي ينبغي عليك أن تتصارع معه. وسيلة إغواء هذا العالم وكذلك إشارة الضمان، بأن هذا العالم مجرد معبر، هي الشيء نفسه. وعن حق، لأنه هكذا فقط يمكن للعالم أن يغوينا وهذا مطابق للحقيقة. السيء

فقط هو أننا بعد الإغواء الناجح، ننسى الضمان وهكذا حقا أغرانا الخير إلى الشر، هكذا أغوتنا نظرة المرأة إلى سريرها.

---

٢٤. هـ

التواضع يعطي كل شخص، حتى الوحيد اليائس، أقوى علاقة برفاقه من البشر وتحديدًا على الفور، لكن هذا يحدث فقط عند التواضع التام والدائم. يستطيع التواضعُ ذلك لأنه لغة الصلاة الحقيقية، وفي الوقت ذاته تعبد وأقوى رابطة. العلاقة بالبشر هي العلاقة بالصلاة، والعلاقة بالذات هي العلاقة بالسعي. من الصلاة تُستمد القوة من أجل السعي.

الاختراعات تسبقنا، مثلما يسبق الساحل الباخرة المترجرجة باستمرار بفعل ماكينتها. تنجز الاختراعات كل شيء يمكن إنجازه. من الظلم القول مثلا: لا تطير الطائرة مثلما يطير الطائر أو: لن نكون قادرين أبدًا على خلق طائر. بالتأكيد لا، لكن الخطأ يكمن في الحجة، كما لو أنه يُطلب من السفينة رغم طريقها المستقيم أن تتجه مجددًا إلى المحطة الأولى. لا يمكن خلق طائر عبر الفعل الأصلي، لأنه قد خُلق بالفعل، وهو ينشأ بسبب فعل الخلق الأول مرارًا وتكرارًا ومن المستحيل خرق هذه السلسلة الحية والقائمة على أساس إرادة أصلية مستمرة، مثلما ورد في إحدى الأساطير، بأن المرأة الأولى قد خُلقت حقًا من ضلع الرجل، لكن هذا لم يتكرر أبدًا، وإنما اتخذ الرجال منذ ذاك الحين بنات آخرين كزوجات لهن. لكن

ليس من الضروري أن يكون منهج وتوجه خلق الطائر والطائرة مختلفين- وعلى هذا يتوقف الأمر-وتفسير الطريدة البرية التي يمكن أن يختلط عليها صوت طلقة البندقية وصوت الرعد يمكن أن يكون به حقيقة محدودة.

دليل على حياة سابقة حقيقية: لقد رأيتك في الماضي، معجزات الزمن القديم وفي آخر الأزمنة.

وضوح الصباح

ليس الخمول أو النية الشريرة أو عدم الحذق -حتى لو كان ثمة وجود لشيء من كل هذا في الأمر، لأن «الحشرة قد خُلقت من العدم»- هو ما يُفشل كل أموري أو لا يفسح لها المجال حتى كي تفشل: الحياة العائلية والزواج والوظيفة والأدب، وإنما نقص الأرضية، والهواء والفرض. خلق ذلك هو مهمتي، ليس من أجل أن أتمكن من استعادة ما فات، وإنما لكي لا أكون قد فوت شيئًا، لأن المهمة هي مثلها مثل غيرها. بل إنها المهمة الأكثر أصالة أو على الأقل انعكاسها، مثلما يتمكن المرء أثناء تسلق مرتفع قليل الهواء أن يخطو فجأة وسط شعاع الشمس البعيدة. إنها أيضًا ليست مهمة استثنائية، لقد طُرحت بالتأكيد مرات عديدة، لكن لا أدرى إن كانت طرحت بهذا الحجم. بقدر ما أعرف، لم أجلب من متطلبات الحياة أي شيء على الإطلاق، وإنما فقط مجرد الضعف الإنساني العام، وبه -وهو من هذه الناحية قوة هائلة- استوعبت بقوة ما هو سلبي في

زمني المهم جدًا بالنسبة لي والذي لا أحاربه أبدًا، وإنما لدي الحق نوعًا ما في أن أمثله، وليس لي نصيب موروث في القليل الإيجابي ولا كذلك في السلبي الذي تحول إلى إيجابي. لا تقودني يد المسيحية المنكسة الثقيلة جدًا عبر هذه الحياة كما يفعل كيركغارد ولم أمسك بآخر ذيل تطاير من طليس الصلاة اليهودي كما يفعل الصهاينة. إنني بداية ونهاية.

لقد شعر بها عند فوده، مثلما يشعر الجدار بطرف الظفر الحاد الذي ينغرس فيه. أي أنه لم يشعر بشيء.

لا ينجز أحد هنا أكثر من إمكانية حياته الفكرية؛ أن يكون الظاهر وكأنه يعمل من أجل قوته وملابسه وما إلى ذلك هو شيء هامشي. ستُقدم له مع كل لقمة، لقمة غير مرئية، ومع كل ملبس، ملبس غير مرئي... إلخ. هذا هو تبرير كل إنسان. ويبدو ظاهرًا وكأنه يدعم أساس وجوده بتبريرات لاحقة، لكن هذا مجرد كتابة سيكولوجية معكوسة، إنه يؤسس حياته في الحقيقة على مبرراته. ومع ذلك ينبغي على كل إنسان أن يكون قادرًا على تبرير حياته (أو موته، وهو الشيء نفسه)، ولا يمكنه أن يتجنب هذه المهمة. هل نريد السمو عبر المنظر

نرى كل إنسان يحيا حياته (ويموت موته). من دون مبرر داخلي، ما كان هذا الإنجاز ممكنًا، لا يمكن لأي إنسان أن يحيا حياة غير مبررة. ويغري هذا بالرأي القائل، بأن الإنسان يدعم أساس حياته بالمبررات،

علم النفس هو قراءة الخط معكوسًا، أي أنه شاق، ومثمر فيما

يخص النتيجة الصحيحة دائمًا، لكن في الحقيقة لم يحدث شيء.

بعد وفاة إنسان ما يحل حتى على الأرض، فيما يخص الميت، ولفترة طويلة سكون مميز مريح، توقفت حمى دنيوية، لا يعود المرء يرى استمرارًا لموت، يبدو أن خطأ قد أُزيل، وحتى بالنسبة للأحياء هي فرصة لالتقاط الأنفاس، ولذلك يفتح المرء نافذة غرفة الميت، إلى أن يبدو كل شيء وكأنه مجرد مظهر، ويبدأ كل من الألم والنحيب.

تكمن بشاعة الموت في أنه يجلب الألم الحقيقي للنهاية، ولكن ليس -

---

بشاعة الموت: نهاية ظاهرية تسبب ألمًا حقيقيًا.

النحيب عند سرير الاحتضار هو في الحقيقة النحيب على أن الموت لن يحدث هنا بمعناه الحقيقي، لا يزال يتحتم علينا أن نكتفي بهذا الموت، ما زلنا نلعب اللعبة.

٢٦ صباح مشمس

تطور الإنسانية- نمو قدرة الموت.

نجاتنا هي الموت، ولكن ليس ذاك الموت.

الجميع ودود جدًا مع أ، على نحو يشبه سعى المرء لإخفاء كرة بلياردو مميزة عن اللاعبين الجيدين، حتى يأتي اللاعب الكبير، ويفحص الطاولة بدقة، ولا يتحمل وقوع خطأ قبل الأوان، لكن

عندما يبدأ هو نفسه في اللعب يهيج ويثور على نحو يخلو من أدنى مراعاة للآخرين.

«ثم عاد لعمله، وكأن شيئًا لم يحدث» هذه ملحوظة مألوفة لدينا من زخم غير واضح من القصص القديمة، لكنها لم ترد ربما في أي منها.

فارس اللانهاية

فارس الإيمان

فكرة إبراهيم الخفية

المعنى

الصوت نفسه أرسله إلى هناك وأعاده

يُطرح هنا على كل إنسان سؤالان عقيديان، أولًا عن مصداقية هذه الحياة والثاني عن مصداقية هدفها. يجيب كل شخص على كلا السؤالين من خلال حقيقة حياته بحزم شديد وعلى نحو مباشر بـ«نعم»، بحيث قد يصبح من غير المؤكد أن يكون السؤالان قد فُهما فهمًا صحيحًا. على أي حال يتحتم على المرء أولًا أن يعمل على إجابته المبدئية بنعم، لأنه ما زال بعيدًا

لا يمكن القول إن الإيمان ينقصنا، فوحدها الحقيقة البسيطة لحياتنا لا يمكن أن تستنفذ من حيث قيمتها الإيمانية.

هنا يُفترض أن تكون القيمة الإيمانية؟ لا يمكن للمرء ألا يحيا.

تمامًا في هذه الـ«لا يمكن» تكمن الطاقة الخرافية للإيمان، إنها تكتسب شكله في هذا النفي.

---

٢٧. ربما يكون انعدام إمكانية الإبلاغ عن المفارقة قائمًا، لكنه لا يعبر عن نفسه بهذا الوصف، فإبراهيم نفسه لا يفهمها. حسنًا ربما لا يحتاج أو لا ينبغي عليه أن يفهمها، أي أنه لن يحتاج إذًا إلى أن يفسرها لنفسه، لكن يجوز له على الأغلب أن يسعى لتفسيره للآخرين. والعمومي هو هنا أيضًا بهذا المعنى غير واضح، وهو ما تُفصح عنه حالة إيفغينيا بأن النبوءة لا تكون أبدًا واضحة.

السكون في العموم؟ غموض العمومي. يفسر العمومي ذات مرة على أنه السكون، ولكنه بخلاف ذلك التنقل «العمومي» ذهابًا وإيابًا بين الفردي والعام. يكون السكون أولًا هو العمومي الحقيقي، لكنه هو أيضًا الهدف النهائي.

يكون الأمر هكذا مثلما يحدث التنقل ذهابًا وإيابًا بين العام والفردي على المسرح الحقيقي، وفي المقابل فإن الحياة في العمومي ستكون مرسومة فقط على الكواليس الخلفية.

لا يوجد هذا التطور الذي قد تعييني عبثيته وقد أتسبب فيه أنا وحدي بشكل غير مباشر. لا يكفي العالم الفاني لرؤية أ المستقبلية، لذلك يقرر أن يهاجر معها إلى الأبدية. وسواء كانت بوابة الخروج أو الدخول ضيقة جدًا، فلن يعبرها بعربة الأثاث. وسيلقي باللائمة على ضعف صوته الآمر. إنه عذاب حياته.

فقر أ الفكري وثقل حركة هذا الفقر هو ميزة، إنه يسهل عليه التركيز، أو بالأحرى إنه بالفعل التركيز الذي يُفقده هذه الميزة التي تكمن في استعمال قوة التركيز.

أ مشغول بالخدعة التالية: إنه لا يستطيع تحمل رتابة العالم. لكن من المعروف أن العالم متنوع على نحو رائع، وهو ما يمكن التأكد منه في أي وقت، من خلال أن يأخذ المرء حفنة من العالم وينظر إليها عن كثب. الشكوى بشأن رتابة العالم هي إذًا شكوى بشأن عدم الامتزاج على نحو كافٍ بتنوع العالم.

يواكب سحرٌ تقديمه للبراهين. يمكن للمرء أن يتجنب تقديم البراهين في عالم السحر، وأن يتجنب السحر في المنطق، لكن كليهما في الوقت ذاته يقمعان، وبخاصة أنهما يشكلان معًا شيئًا ثالثًا، السحرَ الحي أو دمارَ العالم غير المدمِر، وإنما المُعمِر.

لديه فكر كثير، يجوب بفكره الأرض وكأنه على عربة سحرية، أيضًا حيثما لا توجد طرق. ولا يستطيع أيضًا أن يعرف من تلقاء نفسه أنه لا توجد طرق. ومن خلال ذلك يتحول رجاؤه المتواضع طلبًا لخليفة له إلى طغيان، وإيمانه الصادق بأن يكون «على الطريق» إلى تكبر.

الواجبات ١.) لا مال، لا امتلاك ولا قبول لأشياء نفيسة. الممتلك الوحيد المسموح به هو: أبسط ملبس (يُحدد ذلك بالتفصيل) ما يلزم للعمل، كتب، مواد غذائية للاستعمال الشخصي. كل ما خلا ذلك يخص الفقراء.

٢.) كسب القوت من خلال العمل فقط. عدم التحرج من أي عمل، تكفي القوى لإنجازه من دون الإضرار بالصحة. إما أن يختار المرء العمل بنفسه أو، إذا لم يكن ذلك ممكنًا، أن يذعن لأوامر مجلس العمل الذي يخضع للحكومة.

٣.) عدم العمل بأجر آخر سوى كسب القوت ليومين (تحديد التفاصيل حسب المنطقة)

٤.) حياة متواضعة. أكل ما هو ضروري فقط، مثلًا كأدنى أجر وهو بمعنى ما أقصى أجر، خبز وماء وتمر، طعام أفقر الناس، مخيم أفقر الناس.

٥.) التعامل مع العلاقة مع رب العمل على أنها علاقة ثقة، عدم المطالبة مطلقًا بوساطة المحاكم. إنجاز كل عمل يتم توليه حتى النهاية مهما كانت الظروف، إلا إذا حالت اعتبارات صحية خطيرة دون ذلك.

الحقوق ١.) الحد الأقصى لوقت العمل ست ساعات، وللأعمال البدنية أربع إلى خمس

٢.) في حالة المرض أو بلوغ سن العجز عن العمل الإيواء في دور المسنين والمستشفيات

اعتبار حياة العمل كمسألة ضمير ومسألة إيمان بالآخرين.

اهداء الممتلكات التي يجلبها المرء معه إلى الدولة لبناء المستشفيات ودور الرعاية.

على الأقل مؤقتًا، إقصاء أصحاب الأعمال الحرة والمتزوجين والنساء

يتوسط المجلس (مهام جسيمة) لدى الحكومة

حتى في المؤسسات الرأسمالية، يُفضل الفقراء

هناك حيثما يستطيع المرء المساعدة، في الأماكن المهجورة، وبيوت الفقراء

معلمون

الحد الأقصى خمسمئة رجل

سنة تجريبية

كل شيء سُخر له من أجل البناء. أحضر عمالٌ أجانب أحجار الرخام، لنحتها وتركيبها. وفقا للقياسات بحركة أصابعه استقامت الأحجار وتزحزحت. لم يسبق أن نشأ بناء كهذا المعبد بهذه السهولة

أو بالأحرى نشأ هذا المعبد وفقًا لفن المعابد الحقيقي. الشيء الوحيد فقط هو أنه على كل حجر-من أي محجر أتت هذه الأحجار- نُقشت شخبطات أطفال محيرة لا معنى لها أو بالأحرى كتابات سكان الجبال الهمجيين للمضايقة أو للتدنيس أو للتدمير التام ومن الواضح أنها نُقشت بآلات حادة للغاية من أجل خلود مستمر ما بعد المعبد.

باتجاه منبع الجدول في مواجهة الماء المرتحل دغل من عيدان الغاب. صوت المعلم الغاضب. همهمات الأطفال. شمس غاربة حمراء تهجر نفسها مرتجفة. باب الفرن المنصفق. تُعد القهوة. نجلس مستندين إلى المائدة وننتظر. شجيرات نحيلة تقف على جانب الطريق. مارس، ماذا تريد أكثر من ذلك؟ نهبط من المقابر ونريد أن نجوب هذا العالم، ليست لدينا خطة محددة.

هبط الحلم، أنزلته السماء، معجزة

تريد أن تذهب بعيدًا عني؟ حسنًا، قرار، مثله مثل غيره. إلى أين تريد الذهاب؟ أين هذا الـ -بعيد- عني؟ على سطح القمر؟ حتى هناك لن يكون موجودًا، ولن تذهب بعيدًا إلى هذا الحد بأي حال. ولم كل هذا؟ أليس من الأفضل أن تجلس في الزاوية وتبقى ساكنًا؟ ألن يكون شيئًا أفضل؟ هناك في الزاوية، دافئة ومظلمة؟ إنك لا تصغ؟ تتحسس باحثًا عن الباب. نعم، أين يوجد باب هنا يا ترى؟ بقدر ما أتذكر، فهو غير موجود في هذه الحجرة. من كان يفكر آنذاك عندما بُنيت هذه الحجرة في خطط تهز العالم مثل خططك. حسنًا، لم يضع شيء، مثل هذه الفكرة لم تذهب هباء، سنناقشها في المائدة المستديرة والضحكات المستهزئة ستكون أجرك.

بزغ القمر الشاحب، وعبرنا الغابة على ظهور الخيل.

سأم بوسيّدون بحاره. سقطت منه شوكته. جلس ساكنًا على الساحل الصخري، وحام حول رأسه نورس، أصابه خدر من حضور بوسيّدون، في دوائر مهزوزة.

العربة المندفعة الطائشة

آه ماذا يُعد لنا هنا
سرير ومخيم تحت الأشجار
خضرة داكنة، أوراق شجر جافة
قليل من الشمس، عبق نديّ
آه ماذا يُعد لنا هنا

إلى أين تدفعنا الرغبة
نيلُ هذا؟ فقدانُ ذاك؟
عبثًا نشرب الرماد
ونخنق أبانا
إلى أين تدفعنا الرغبة

سارت الإوزات بمحاذاة البركة ثم قفزت

إلى أين تدفعنا الرغبة
تجرفنا خارج البيت

الناي يجذب، و الجدول المنعش يجذب

ما بدا لك صابرًا، أصدر
حفيفه عبر قمة الشجرة
ثم تحدث سيد الحديقة

إن بحثت في تعاويذه حروفه الرونية
بحث في تمثيل فيكسل
الكلمة والدمامل

جلس الدوق للغداء، كان ظهرًا صيفيًا ساكنًا. انفتح الباب، ولكن هذه المرة ليس للخادم وإنما للأخ فيلوطاس. «أخي» قال الدوق ونهض، «ها أنا أراك مرة أخرى ولم أكن قد رأيتك منذ وقت طويل جدًا ولا حتى في الحلم.» تهشم لوح من الباب الزجاجي المؤدي للشرفة وطار إلى داخل الحجرة طائر بلون بني محمر مثل الحجل ولكن أكبر حجمًا وبمنقار أطول. «انتظر، سأمسك به في الحال»، قال الأخ، ولملم قفطانه بيد ومد الأخرى للإمساك بالطائر. وفي التو دخل الخادم بوعاء به فواكه جميلة، نقرها الطائر الطائر بقوة وهو يحوم بهدوء فوقها في دوائر ضيقة.

وكأنه تجمد، أمسك الخادم الوعاء، ولم ينظر في الحقيقة باندهاش إلى الفواكه والطائر والأخ المستمر في مطاردته. انفتح الباب الآخر ودخل سكان من القرية مع التماس، طلبوا السماح باستخدام طريق في الغابة يحتاجونه لزراعة حقولهم بشكل أفضل. لكنهم جاءوا في وقت غير مناسب، لأن الدوق كان لا يزال تلميذًا صغيرًا، وجلس على مقعد صغير يستذكر دروسه. بأي حال كان الدوق العجوز قد مات وهكذا كان يفترض أن يحكم الصبي، لكن

الأمر لم يكن كذلك، لقد كانت استراحة في التاريخ، ولذلك ذهب التفويض هباء. أين ينتهي؟ هل سيعود؟ هل سيدرك في الوقت المناسب، كيف هي الأوضاع؟ المعلم الذي شارك أيضًا أهل القرية، ينسحب من المجموعة ويتولى تدريس الدوق الصغير. بعصا خشبية يزيح من فوق الطاولة كل ما كان عليها، ويسحب لوحها للأمام رافعًا إياها كسبورة، ويكتب عليها بالطباشير الرقم ١.

شربنا، أصبحت الكنبة ضيقة علينا، من دون توقف دارت عقارب ساعة الحائط في دوائر. نظر الخادم داخل الغرفة، لوحنا له بأيادٍ مرفوعة. لكن منظرًا على الأريكة الملاصقة للشباك استحوذ على انتباهه. رجل مسن في ثوب أسود خفيف بلمعة حريرية نهض هناك ببطء، وأصابعه كانت لا تزال تعبث بمسندي المقعد. «أبي» نادى الابن، «إميل» صاح الأب

الطريق إلى الإنسان الآخر طويل جدًا بالنسبة لي.

براغ
تُضيع الأديان أنفسها مثلما يفعل الإنسان.

شذرات

مكتبة
t.me/soramnqraa

١

يمر الطريق الحقيقي فوق حبل غير مشدود على ارتفاع عالٍ، ولكن فوق الأرض بقليل. يبدو أنه مصنوع من أجل التعثر فيه أكثر من السير عليه.

٢

كل الأخطاء الإنسانية هي عدم صبر، إنهاء مبكر لما هو منهجي، ترسيخ ظاهري للشيء الظاهري.

٣

ثمة خطيئتان إنسانيتان أساسيتان، تنبثق منهما كل الخطايا الأخرى: عدم الصبر والإهمال. بسبب عدم الصبر طُردا من الجنة، وبسبب الإهمال لا يعودان إليها. وربما توجد خطيئة أساسية واحدة: عدم الصبر. بسبب عدم الصبر طردا من الجنة وبسبب عدم الصبر لا يعودان إليها.(*)

٤

تنشغل ظلال كثيرة للراحلين فقط بلعق فيضانات نهر الموت، لأنه

(*) المقاطع المذيلة بـ * شُطبت كلها في المخطوطة بالقلم الرصاص.

ينبع منا ولا يزال يحتفظ بالطعم المالح لبحارنا. ينتفض النهر متقززًا، ويعود بتياره للوراء ويطفو بالموتى عائدًا بهم إلى الحياة. لكنهم سعداء، ينشدون أغاني الامتنان ويربتون على الغاضب.

٥

عند نقطة معينة ليس ثمة تراجع. الوصول لهذه النقطة ممكن.

٦

اللحظة الحاسمة للتطور الإنساني مستمرة. لذلك تكون الحركات الفكرية الثورية التي تعلن بطلان كل ما هو سابق على حق، فلم يحدث شيء بعد.

٧

إحدى أكثر وسائل إغراء الشر فعالية هو الدعوة للنزال. إنه يشبه النزال مع النساء الذي ينتهي في السرير.*

٩/٨

كلبة نتنة الرائحة، كثيرة الولادات، وقد أصاب العطن أجزاءً من جسمها، لكنها كانت تمثل لي في طفولتي كل شيء، في وفاء كانت تتبعني على الدوام، لم تمكنني نفسي من ضربها، وأمامها كنت أتراجع خطوات للوراء، متقززًا من أنفاسها، وكانت هي التي ستدفعني، إن لم أتخذ قرارًا آخر، إلى زوايا الجدار المرئية، لكي تتحلل هناك تمامًا، فوقي ومعي، حتى النهاية، هل يشرفني ذلك؟- الصديد ولحم الدود في لسانها على يدي.

١٠

أ متكبر جدًا، ويظن أنه متقدم جدًا في الخير، لأنه يشعر أنه كموضوع جذاب دائمًا ما يكون عرضة على نحو متزايد للإغواءات القادمة من اتجاهات مجهولة له تمامًا حتى الآن. لكن التفسير الصحيح هو أن

شيطانًا كبيرًا قد اتخذ مكانًا داخله والعدد الذي لا يحصى من الشياطين الصغيرة يهرع لخدمة الكبير.

١٢/١١

اختلاف الرؤى، الذي يمكن للمرء أن يناله من تفاحة مثلًا. رؤية الصبي الصغير الذي يتحتم عليه مد عنقه لكي يتمكن بالكاد من رؤية التفاحة على لوح المائدة ورؤية سيد البيت الذي يأخذ التفاحة ويعطيها بتلقائية لرفيق المائدة.

١٣

أول علامات بدء العرفان هو الرغبة في الموت. تبدو هذه الحياة غير محتملة، وبلوغ حياة أخرى غير ممكن. لا يعود المرء يخجل من رغبته في الموت، يطلب نقله من الزنزانة القديمة التي يكرهها، إلى واحدة جديدة، سيبدأ في تعلم كراهيتها فيما بعد. وستسهم بقية من إيمان في ذلك، أثناء الانتقال سيأتي السيد بالصدفة عبر الممر، وينظر للسجين ويقول: «لا تحبسوا هذا ثانية. سيأتي إلي.»

١٤

لو سرت على سطح ما، وكانت لديك نية حسنة للسير، ثم تقهقرت مع ذلك، سيكون ذلك أمرًا ميئوسًا منه؛ لكن لأنك تصعد منحدرًا حادًا، حادًا جدًا لدرجة تشبه منظرك أنت نفسك من الأسفل، يبدو التقهقر ناتجًا فقط عن طبيعة الأرضية، ولا يتوجب عليك أن تيأس.*

١٥

مثل طريق في الخريف: بمجرد أن يُكنس، يُغطى مجددًا بالأوراق الجافة.

١٦

ذهب قفص للبحث عن طائر

١٧

لم أكن قط في هذا المكان من قبل: التنفس مختلف. بجانب الشمس يسطع نجم يفوقها إبهارًا.

١٨

لو كان ممكنًا بناء برج بابل دون تسلقه، لسُمح ببنائه.

١٩

لا تدع الشر يجعلك تعتقد أن بإمكانك إخفاء أسرار عنه.

٢٠

تقتحم فهود المعبد وتكرع كل ما بجرار القرابين حتى الثمالة؛ يتكرر حدوث ذلك مرارًا، ما يجعل المرء يتوقع حدوثه، ويصبح جزءًا من الاحتفال الطقسي.

٢١

بالإحكام نفسه الذي تقبض به اليد على الحجر. لكنها تمسكه فقط، كي ترميه لمسافة أبعد. إلا أن الطريق يقود أيضًا إلى هذا البعد.

٢٢

أنت المهمة. لا تلميذ سواك في أي مكان.

٢٣

من الخصم الحقيقي تسري فيك شجاعة لا حدود لها.

٢٤

فهم السعادة بمعنى أن الأرض التي تقف عليها لا يمكن أن تكون أكبر من القدمين اللتين تقفان عليها.

٢٥

كيف يمكن للمرء أن يفرح بالعالم، إلا إذا كان يهرب إليه.

٢٦

المخابئ لا حصر لها، والنجاة واحدة، لكن إمكانيات النجاة عديدة بعدد المخابئ.*

ثمة هدف، لكن لا طريق؛ ما نسميه طريقًا هو تردد.

٢٧

فعل ما هو سلبي لا يزال مفروضًا علينا، أما فعل ما هو إيجابي فممنوح لنا.

٢٨

إذا ما آوى المرء الشر عنده مرة واحدة، لا تعود ثمة حاجة لأن يصدقه أحد.

٢٩

الأفكار الخفية التي تأوي بها الشر في داخلك، هي ليست أفكارك، بل أفكار الشر.

ينتزع الحيوان السوط من السيد ويسوط نفسه كي يصبح سيدًا ويعرف أن ذلك مجرد خيال ناتج عن عقدة جديدة في جلد سوط السيد.

٣٠

توعًا ما لا أمل في الخير.

٣١

لا أطمح لضبط النفس. يعني ضبط النفس أنني أرغب في التأثير في موضع عشوائي من الإشعاع اللانهائي لوجودي الفكري. لكن إذا تحتم عليّ أن أوسع مثل هذا الأثر من حولي، فمن الأفضل أن أبقى

غير فاعل عبر التحديق المجرد في المركب الهائل وآخذ فقط الإنعاش الذي يمنحه هذا المنظر كحجة مقابلة إلى البيت.

٣٢

تزعم الغربان، أن بإمكان غراب واحد أن يدمر الجنة. هذا أمر لا شك فيه، لكنه لا يُدين الجنة، لأن الجنة تعني: استحالة الغربان.

٣٣

لا يستهين الشهداء بالجسد، إنهم يدعونه يرتفع فوق الصليب، وهم يتفقون في ذلك مع خصومهم.*

٣٤

إرهاقه هو إرهاق المصارع بعد القتال، وعمله كان تبييض زاوية في حجرة موظف.

٣٥

ليس ثمة امتلاك، هناك فقط كينونة، فقط كينونة ترغب فقط في النفس الأخير، في الاختناق.

٣٦

في الماضي لم أفهم، لماذا لم أحصل على إجابة على سؤالي، اليوم لا أفهم، كيف ظننت أن بإمكاني السؤال. لكنني لم أظن إطلاقًا، لقد سألت فحسب.

٣٧

إجابته على الزعم بإنه ربما يمتلك، لكنه غير كائن، كانت مجرد ارتعاش وخفقان للقلب.

٣٨

يندهش أحدهم، من سهولة سيره في طريق الأبدية، فقد اندفع فعليًا هابطًا إلى الأسفل.

٣٩

لا يمكن أن يدفع المرء للشر بالتقسيط- ويحاول فعل ذلك باستمرار.

كان من الممكن للإسكندر الأكبر رغم نجاحاته الحربية في شبابه، ورغم جيشه العظيم الذي دربه، ورغم شعوره بالقوى الموجَهَة لتغيير العالم في داخله، أن يتوقف عند هيلسبونت (مضيق الدردنيل) وألا يعبره أبدًا، وليس هذا عن خوف ولا عن تردد، وليس عن ضعف إرادة، وإنما عن تثاقل.

٣٩أ

الطريق لا نهائي، لا يمكن أن يُختصر أو يضاف إليه أي شيء، ومع ذلك يواصل كل واحد وضع ذراعه الطفولي عليه. «بالتأكيد، هذا الذراع من الطريق لا بد لك أن تسيره بعد، لن يُنسي لك ذلك.»*

٤٠

وحده مفهومنا للزمن يجعلنا ننعت يوم الحساب بهذا الاسم، إنه في الحقيقة محكمة عسكرية.

٤١

على سبيل المواساة يبدو اختلال وضع العالم مجرد مسألة أرقام.

٤٢

تنكيس الرأس المليء بالتقزز والكراهية على الصدر.

٤٣

ما زالت كلاب الصيد تلعب في الفناء، لكن الطريدة لا تفوتها، مهما أسرعت العدو الآن عبر الغابات.

٤٤

على نحو مثير للسخرية أعددت ركبك لهذا العالم.

٤٥

كلما استخدمت خيولًا أكثر، سارت الأمور أسرع- ليس بمعنى عدم نزع الكتلة من الأساس وهو مستحيل، وإنما تمزيق اللجام وبذلك تتحقق الرحلة الفارغة السعيدة.

٤٦

تعني كلمة "sein" أي «كينونة» في الألمانية أمرين: الوجود والتبعية له.

٤٧

لقد خُيروا بين أن يكون ملوكًا أو رسلًا للملوك. وعلى طريقة الأطفال، أرادوا جميعا أن يكونوا رسلًا. لذلك يوجد رسل كثر يجوبون العالم، ونظرًا لأنه لا يوجد ملوك، يصيحون لبعضهم البعض بالرسائل التي لم يعد لها معنى. يودون لو أنهوا حياتهم البائسة، لكنهم لا يجرؤون على ذلك بسبب قسم الوظيفة.

٤٨

الإيمان بالتقدم لا يعني الإيمان بأن التقدم قد حدث، وإلا لما كان ذلك إيمانًا.

٤٩

أ عفيف والسماء هي الشاهد له على ذلك.

٥٠

لا يستطيع الإنسان العيش دون الوثوق في شيء غير قابل للتدمير، رغم أن عدم القابلية للتدمير وكذلك الثقة يمكن أن يبقيا على الدوام مجهولين له. أحد طرق التعبير عن البقاء في الخفاء هو الإيمان بإله شخصي.

٥١

يحتاج الأمر لوساطة الحية: يمكن للشر أن يغوي الإنسان، لكنه لا يستطيع أن يصبح إنسانًا.

٥٢

في النزال بينك وبين العالم، كن ظهيرًا للعالم.

٥٣

لا يجوز للمرء غش أي أحد، ولا حتى غش العالم في انتصاره.

٥٤

يوجد فقط عالم فكري ولا شيء سواه، ما نسميه بالعالم الحسي هو الشر في العالم الفكري. وما نسميه شرًا هو مجرد ضرورة للحظة تطورنا الأبدي.

يمكن للمرء أن يذيب العالم بأقوى ضوء، أمام الأعين الضعيفة يصبح العالم صلبًا، أمام الأعين الأضعف يحصل على قبضات، أمام أعين أضعف وأضعف يصبح مستحيًا، ويحطم من يتجرأ على النظر إليه.

٥٥

كل شيء خداع: البحث عن الحد الأدنى من الخداعات، البقاء في العادي، البحث عن الحد الأقصى. في الحالة الأولى يغش المرء الخير، من خلال جعل نيله أمرًا سهلًا، ويغش الشر من خلال وضع شروط نزال غير ملائمة للغاية له، في الحالة الثانية يغش الخير عندما لا يطمح المرء إليه ولا حتى في الأمور الدنيوية، وفي الحالة الثالثة، يغش الخير من خلال ابتعاده عنه بأقصى قدر، والشر من خلال أمل المرء في أن تصعيده الأقصى سيجعل الشر من دون حول أو قوة. هنا

تُفضل الحالة الثانية، لأن المرء يغش الخير دائمًا، أما الشر في هذه الحالة، وعلى ما يبدو ظاهريًا على الأقل، فلا.

٥٦

توجد أسئلة ما كان بإمكاننا أن نتجاوزها، لو لم نكن بحكم الطبيعة معفيين منها.

٥٧

يمكن للغة أن تُستخدم لكل شيء خارج العالم الحسي على سبيل التلميح فقط، لكن لا يمكن أبدًا استخدامها على سبيل المقارنة حتى ولو بشكل تقريبي فقط، نظرًا لأنها لا تتناول طبقًا للعالم الحسي سوى الملكية وعلاقاتها.

٥٨

يكذب المرء قليلًا قدر المستطاع، فقط عندما يكذب قليلًا قدر المستطاع، وليس عندما تسنح له فرص قليلة لذلك قدر المستطاع.

٥٩

درجة السلم التي لم تصنع فيها الخطى تجويفًا عميقًا، هي من منظورها، مجرد شيء خشبي جُمعت أجزائه بشكل بائس.

٦٠

من يزهد في الدنيا، يتحتم عليه أن يحب كل البشر، لأنه يزهد أيضًا في دنياهم. ومن هنا يبدأ في إدراك الجوهر الإنساني الحقيقي، الذي لا سبيل آخر إلا محبته، بشرط أن يكون المرء على نفس قدره.

٦١

من يحب قريبه داخل العالم يكون ظالمًا، بقدر لا يزيد ولا ينقص من الظلم عمن يحب نفسه داخل العالم. يبقى فقط السؤال إن كان أولهما ممكنًا.*

٦٢

كون أنه لا يوجد سوى عالم فكري، يأخذ منا الأمل ويعطينا اليقين.

٦٣

فننا كائن مبهور بالحقيقة: الضوء على الوجه المشوه المنسحب حقيقي، ولا شيء سواه.

٦٤

الطرد من الجنة في جزئه الأساسي هو حدث أبدي خارج الزمن. صحيح أنه طرد نهائي من الجنة، ولا مناص من الحياة في الدنيا، لكن أبدية الحدث أو من منظور زمني، تكراره الأبدي يتيح لنا رغم ذلك ألا نتمكن من البقاء على الدوام في الجنة فحسب، وإنما أن نكون هناك باستمرار، بغض النظر عن إن كنا نعرف ذلك هنا أم لا.

٦٦

إنه مواطن أرضي حر ومضمون، لأنه مقيد بسلسلة طويلة بما يكفي لكي تتيح له كل المساحات الأرضية، لكنها مع ذلك طويلة بالقدر ذاته بحيث لا يمكن لشيء خارج حدود الأرض أن ينتزعه. وهو في الوقت ذاته مواطن سماوي حر ومضمون، لأنه مقيد بسلسلة سماوية شبيهة. إذا أراد الذهاب للأرض يخنقه طوق السماء، وإذا أراد الذهاب للسماء يخنقه طوق الأرض، ورغم ذلك لديه كل الإمكانات ويشعر بها، أجل، بل ويرفض إرجاع كل ذلك إلى خطأ في القيد الأول.

٦٧

إنه يتتبع الحقائق مثل مبتدئ في التزلج، يتدرب علاوة على ذلك في مكان ما يحظر فيه ذلك.

٦٨

هل ثمة ما هو أسعد من الايمان بإله منزلي!

٦٩

نظريًا توجد إمكانية سعادة كاملة. الإيمان بما هو غير قابل للتدمير في داخلك وليس السعي إليه.

٧٠/ ٧١

ما هو غير قابل للتدمير هو واحد: هو كل إنسان على حدة، وهو شيء مشترك بين الجميع في الوقت ذاته. ومن هنا الرابطة الفريدة التي لا تنفصم بين البشر

٧٢

توجد في الإنسان ذاته إدراكات، تتضمن مع اختلافها التام مع ذلك الموضوع ذاته، بحيث يتحتم الخلوص مجددًا فحسب إلى وجود ذوات مختلفة في ذات الإنسان.*

٧٣

إنه يأكل فضلات مائدته؛ ويصبح بذلك لبعض الوقت أكثر شبعًا من الكل، لكنه ينسى كيفية الأكل من فوق المائدة، وبذلك أيضًا لا يعود للفضلات وجود.

٧٤

لو كان الذي ينبغي تدميره في الجنة، قابلًا للتدمير، لما كان حاسمًا، لكن إذا كان غير قابل للتدمير، فإننا نعيش إذًا معتقدًا خاطئًا.

٧٥

اختبر نفسك لدى البشرية. إنها تجعل المتشكك يتشكك والمؤمن يؤمن.

٧٦

هذا الشعور: «لن أرسو هنا» والشعور في الوقت ذاته بالفيضان المتموج الحامل من حولك.

انتعاشة. متربصة، خائفة، راجية تلتف الإجابة حول السؤال متسللة، تبحث في يأس في وجهه المستغلق، تتبعه بأكثر الطرق عبثية أي بقدر الإمكان أكثر الطرق نأيًا عن الإجابة. مكتبة سُر مَن قرأ

٧٧

يغوي التعامل مع البشر بمراقبة الذات.

٧٨

يصبح الفكر حرًا، عندما يحجم عن أن يكون سندًا.

٧٩

يغطي الحب الحسي على الحب السماوي؛ وما كان باستطاعته أن يفعل ذلك بمفرده، ولكنه يستطيع ذلك لأن به ودون وعي منه عنصر الحب السماوي.

٨٠

الحقيقة غير قابلة للقسمة، ولا تستطيع إذًا إدراك ذاتها. من يريد إدراكها لا بد أن يكون كذبة.

٨١

لا يمكن لأحد أن يرغب فيما يضر به إضرارًا تامًا. لكن لو كان هذا هو الظاهر لدى إنسان بعينه، وكان هذا هو الحال دائمًا لدى هذا الإنسان- فتفسير ذلك أن شخصًا ما داخل هذا الإنسان يطلب شيئًا، يفيد هذا الشخص إلا أنه يضر شخصًا آخر، اعتُمد عليه نوعًا ما لتقييم القضية، ضررًا بالغًا. لو أن هذا الإنسان لم يتخذ من البداية

مباشرة، وليس عند تقييم القضية، جانب الشخص الثاني، لكان الشخص الأول قد اختفى واختفت معه رغبته.

٨٢

لماذا نشتكي بسبب الخطيئة الأولى؟ فليس بسببها طُردنا من الجنة، وإنما بسبب شجرة الحياة، كي لا نأكل منها.

٨٣

لسنا آثمين لأننا أكلنا فحسب من شجرة المعرفة، وإنما لأننا لم نأكل بعد من شجرة الحياة. آثم هو الوضع الذي نحن فيه، بعيدًا عن الذنب.

٨٤

لقد خُلقنا من أجل أن نعيش في الجنة، كان قدر الجنة أن تخدمنا. تغير مصيرنا؛ ما لم يُفصح عنه هو إن كان هذا قد حدث مع مصير الجنة أيضًا.

٨٥

الشر هو نشر الوعي الإنساني في مواضع انتقالية معينة. ليس العالم الحسي هو الظاهر في الحقيقة، ولكن شره هو الذي يشكل مع ذلك لأعيننا العالم الحسي.

٨٦

منذ الخطيئة الأولى وقدرتنا على معرفة الخير والشر في جوهرها متساوية؛ ورغم ذلك نبحث هنا بالذات عن امتيازاتنا الخاصة. لكن فقط على الجانب الآخر من هذه القدرة والمعرفة تبدأ الاختلافات الحقيقية. يُستدعى المظهر النقيض من خلال ما يلي: لا يمكن لأحد أن يكتفي بالمعرفة وحدها، بل عليه أن يطمح للتصرف وفقًا لها. لكنه لم يُمنح القوة اللازمة لذلك، ولذلك عليه أن يدمر نفسه، حتى

لو خاطر بأنه لن يحصل من خلال ذلك على القوة اللازمة، لكن لا يبقى أمامه شيء آخر سوى هذه المحاولة الأخيرة. (وهذا يتوافق أيضًا مع التهديد بالموت عند تحريم الأكل من شجرة المعرفة؛ وربما يكون هذا هو المغزى الأصلي للموت الطبيعي) إنه يخشى من هذه المحاولة. إنه يفضل التراجع عن معرفة الخير والشر (يعود وصف «الخطيئة الأولى» إلى هذا الخوف). لكن ما حدث لا يمكن إلغاؤه، وإنما فقط جعله ضبابيًا. ولهذا الغرض تنشأ المحفزات. العالم كله مليء بها، أجل العالم المرئي كله ربما لا يكون شيئًا آخر سوى محفز واحد للإنسان الذي يريد أن يرتاح للحظة واحدة. وجعل المعرفة هدفًا هو محاولة لتزييف حقيقة المعرفة.

٨٧

إيمان، كالبلطة، ثقيل جدًا وخفيف جدًا.

٨٨

الموت أمامنا هو تقريبًا مثل لوحة معركة الإسكندر على حائط الفصل الدراسي. ويتوقف الأمر على أن تقوم أفعالنا في هذه الحياة بتعتيم الصورة أو حتى بمحوها.

٩٠

ثمة إمكانياتان: أن تصغر نفسك إلى ما لانهاية أو أن تكون هكذا. الإمكانية الأولى هي اكتمال، أي لا فعل، الثانية بداية، أي فعل.*

٩١

لتجنب خطأ في الكلام: ما ينبغي تدميره فعليًا، لا بد من تثبيته تمامًا مسبقًا: ما يتفتت، يتفتت، لكن لا يمكن تدميره.*

٩٢

أول عبادة للأصنام كانت بالتأكيد خوفًا من الأشياء، لكن يرتبط بهذا

أيضًا الخوف من ضرورة الأشياء ويرتبط بذلك من المسؤولية عن الأشياء. بدت هذه المسؤولية هائلة جدًا لدرجة أن المرء لم يكن يجرؤ أن يكلف بها حتى كائنًا غير بشري، لأنه حتى من خلال وساطة مجرد كائن، ما كانت المسؤولية البشرية لتخف بالقدر الكافي، فالتواصل مع هذا الكائن سيكون موصومًا بالمسؤولية للغاية، لذا أُعطيت لكل شيء المسؤولية عن ذاته، وفوق ذلك أُعطيت هذه الأشياء قدرًا من المسؤولية عن البشر.

٩٣

للمرة الأخيرة علم النفس!*

٩٤

مهمتان لبدء الحياة: تضييق دائرتك أكثر فأكثر، والتأكد باستمرار بأنك لا تختبأ في مكان ما خارج دائرتك.

٩٥

يكون الشر في اليد أحيانًا مثل الأداة، سواء بإدراك أو غير إدراك، يضعها المرء، إذا كانت لديه الإرادة، جانبًا من دون اعتراض.

٩٦

مباهج هذا العالم ليست مباهجه، وإنما خوفنا من الصعود إلى حياة أسمى، عذابات هذه الحياة ليست عذاباته، وإنما عذابنا الذاتي بسبب ذاك الخوف.

٩٧

هنا فقط تكون المعاناة معاناة. ليس وكأن هؤلاء الذين يعانون هنا، سينالون سموًا في مكان آخر بسبب هذه المعاناة، وإنما الأمر هو على هذا النحو، ما يسمى في هذا العالم معاناة، هو في عالم آخر كما هو، وقد تحرر فقط من نقيضه، هناء.

٩٨

هذا التصور عن الاتساع اللانهائي وزخم الكون هو نتيجة للمزيج الأكثر حدة من الخَلق المضني والتأمل الذاتي الحر.*

٩٩

ما هو أكثر كآبة من القناعة الأكثر صرامة بوضعنا الحالي الآثم، هو نفسه القناعة الأضعف بالتبرير الأبدي السابق لزمنيتنا. وحدها القدرة على احتمال هذه القناعة الثانية التي تشمل في نقائها القناعة الأولى تمامًا هي معيار الإيمان.

البعض يفترضون أنه إلى جانب الخدعة الأصلية الكبرى، تُدبر لهم خصيصًا في كل الأحوال خدعة صغيرة خاصة، أي أنه عندما تعرض مسرحية غرامية على المسرح، وتكون للممثلة بالإضافة إلى الابتسامة الكاذبة لحبيبها، أيضًا ابتسامة خبيثة مميزة لمتفرج بعينه في اللوج الأخير. وهذا يعني الذهاب بعيدًا.

١٠٠

يمكن أن يكون ثمة علم خاص بما هو شيطاني، لكن لا يوجد إيمان به، فليس ثمة ما هو أكثر شيطنة من الموجود.

١٠١

دائمًا ما تأتي الخطيئة صريحة ويمكن إدراكها على الفور بالحواس. إنها تسير على جذورها وليس من الضروري انتزاعها.[١]

---

(١) على طرف الورقة التي كُتبت عليها هذه الشذرة كُتب بالإضافة لذلك: كرسي ذو مسند عند النافذة

١٠٢

سيتحتم علينا أن نعاني أيضًا كل المعاناة من حولنا. نحن جميعًا ليس لدينا جسد ولكن لدينا نمو وهذا يقودنا عبر كل الآلام، سواء بهذا الشكل أو ذاك. مثلما يتطور الطفل عبر كل مراحل الحياة حتى يصبح شيخًا وحتى الموت (وكل مرحلة في الأساس تبدو بالنسبة للمرحلة السابقة عليها من حيث المتطلبات ومن حيث الخوف بعيدة المنال) وكذلك نتطور نحن (ليس أقل عمقًا في الارتباط مع البشرية من الارتباط بأنفسنا) عبر كل معاناة هذا العالم. في هذا السياق لا مكان للعدالة، ولكن أيضًا لا مكان للخوف من المعاناة أو لتفسير المعاناة كفضيلة.

١٠٣

يمكنك أن تنأى بنفسك عن معاناة العالم، هذا أمر متروك لك ويناسب طبيعتك، لكن ربما يكون هذا النأي هو المعاناة الوحيدة، التي قد يمكنك تجنبها.

١٠٤

للإنسان إرادة حرة وتحديدًا بثلاثة أشكال:

أولًا إنه كان حرًا عندما أراد هذه الحياة؛ لكن الآن لم يعد باستطاعته الرجوع في الأمر، لأنه لم يعد ذاك الذي كان يريد ذلك في الماضي، إلا لو كان ذلك إلى الحد الذي ينفذ فيه إرادته السابقة من خلال أن يحيا.

ثانيًا إنه حر في أنه يستطيع اختيار طريقة مشيه وطريقه في هذه الحياة. إنه ثالثًا حر في أنه بوصفه ذاك الذي سيكونه ذات مرة مجددًا، لديه الإرادة في أن يخوض غمار الحياة تحت أي شروط ويتيح لنفسه بهذه

الطريقة العودة إلى ذاته وتحديدًا عبر طريق اختياري حقًا ولكنه على أي حال متاهي بحيث لا يترك بقعة من هذه الحياة دون أن يمسها.

هذه هي الأشكال الثلاثة للإرادة الحرة، لكنها أيضًا، ولكونها متزامنة مع بعضها، سواء، وهي في الأساس سواء للغاية بحيث لا يوجد مكان لإرادة ما، حرة كانت أو غير حرة.

١٠٥

وسيلة إغواء هذا العالم وكذلك إشارة الضمان، بأن هذا العالم مجرد معبر، هي الشيء نفسه. وعن حق، لأنه هكذا فقط يمكن للعالم أن يغوينا وهذا مطابق للحقيقة. السيء فقط هو أننا بعد الإغواء الناجح، ننسى الضمان وهكذا حقًا أغرانا الخير إلى الشر، هكذا أغوتنا نظرة المرأة إلى سريرها.

١٠٦

التواضع يعطي كل شخص، حتى الوحيد اليائس، أقوى علاقة برفاقه من البشر وتحديدًا على الفور، لكن هذا يحدث فقط عند التواضع التام والدائم. يستطيع التواضع ذلك لأنه لغة الصلاة الحقيقية، وفي الوقت ذاته تعبد وأقوى رابطة. العلاقة بالبشر هي العلاقة بالصلاة، والعلاقة بالذات هي العلاقة بالسعي. من الصلاة تُستمد القوة من أجل السعي.

هل تعرف شيئًا آخر سوى الخداع؟ إذا ما دُمر الخداع ذات مرة، فلا ينبغي عليك أن تنظر وإلا ستتحول إلى عمود من الملح.

١٠٧

الجميع ودود جدًا مع أ، على نحو يشبه سعي المرء لإخفاء كرة

بلياردو مميزة عن اللاعبين الجيدين، حتى يأتي اللاعب الكبير، ويفحص الطاولة بدقة، ولا يتحمل وقوع خطأ قبل الأوان، لكن عندما يبدأ هو نفسه في اللعب يهيج ويثور على نحو يخلو من أدنى مراعاة للآخرين.

١٠٨

«ثم عاد لعمله، وكأن شيئًا لم يحدث» هذه ملاحظة مألوفة لدينا من زخم غير واضح من القصص القديمة، لكنها لم ترد ربما في أي منها.

١٠٩

«لا يمكن القول إن الإيمان ينقصنا، فوحدها الحقيقة البسيطة لحياتنا لا يمكن أن تستنفذ من حيث قيمتها الإيمانية.»

«هنا يُفترض أن تكون القيمة الإيمانية؟ لا يمكن للمرء ألا يحيا.»

«تمامًا في هذه الـ«لا يمكن» تكمن الطاقة الخرافية للإيمان؛ إنها تكتسب شكله في هذا النفي.»

ليس من الضروري أن تخرج من المنزل. ابق عند طاولتك وانصت. لا تنصت حتى، انتظر فقط. لا تنتظر حتى، ابق ساكنًا تمامًا ووحيدًا. سيعرض العالم نفسه عليك لكشفه، فهو لا يستطيع شيئًا آخر، مفتونًا سيتلوى أمامك.

مكتبة
t.me/soramnqraa

المحتويات

مقدمة المترجم ٥

«الكراسة أ» ١٧

«الكراسة ب» ٥١

«الكراسة ت» ٧٥

«الكراسة ث» ١٠٢

«الكراسة ج» ١٢٦

«الكراسة ح» ١٤١

«الكراسة خ» ١٧٢

«الكراسة د» ٢٠٨

شذرات ٢٣٥

مكتبة
t.me/soramnqraa

هذا الكتاب

«إننا، من منظور العين ذات الوصمة الدنيوية، في وضع راكبي القطار الذين ينقلب بهم القطار داخل نفق طويل، وتحديدًا في موضع لا تعود رؤية ضوء بداية النفق ممكنة فيه، لكن ضوء نهايته يبدو ضعيفًا جدًّا بحيث تسعى العين دائمًا لتتبعه ودائمًا ما تفقده، رغم أنه لا البداية والنهاية أكيدتان».

كراسات كافكا الثماني هي وثيقة مهمة على مرحلة حاسمة في علاقته بالكتابة والحياة، ورغم طبيعتها الشذرية فقد كانت الأساس لمجموعة «طبيب الأرياف» التي نُشرت في حياته، وأيضًا لتأملات وجودية تكثفت في صورة شذرات بعد اكتشاف إصابته بالسل ودنوه من الموت. ونحن نقدم هنا ترجمة لنصوص الكراسات وفقًا لترتيبها الأصلي وليس في الصورة المختزلة التي قدّمها بها ماكس برود في مسعى منه لتقديم نصوص متماسكة وذات مغزى. ومع اقتراب الذكرى المئوية لوفاة صاحب «التحوّل» سيكون مواتيًا الاطلاع على هذه النصوص البكر وعلى ورشة الكتابة لدى الكاتب الذي يقول عنه الناقد ميشائيل مار: «في كل مرة يقرأ المرء فيها كافكا ويصبح أسيرًا لنثره الذي لا يضاهى في قوة تعبيره ونقائه، تلحّ عليه شكوك جديدة ومختلفة تمامًا. ربما لم يكن هذا الرجل لغزًا ولا سرًّا، وإنما كان معجزة».

الغلاف : سكينة صلوّن
ISBN 978-9922220802
9 789922 220802